الملل والنحل

ابن حزم

جلد پنجم

﴿ الجزء الخامس ﴾

كتاب

الفصل فى الملل والاهواء والنحل

للامام ابي محمد على بن احمد بن حزم

الظاهري المتوفي سنة ٤٥٦

الفصل بكسر ففتح جمع فصلة بفتح فسكون كقصعة وقصع النخلة المنقولة

من محلها الى محل آخر لتثمر

(طبع على نفقة احمد ناجي الجمالي ومحمد امين الخانجي وأخيه)

﴿ الطبعة الأولى ﴾

(طبع بمطبعة الموسوعات بشارع باب الخلق بمصر)

« لصاحبيها اسماعيل حافظ الخبير بالمحاكم الاهلية »



﴿ المعاني التي يسميها اهل الكلام اللطائف والكلام في السحر ﴾

(وفي المعجزات التي فيها احالة الطبائع يجوز واحدها لغير الانبياء م لا)

﴿قال ابو محمد﴾ ذهب قوم الى ان السحر قلب للاعيان واحالة للطبائع وانهم يرون اعين الناس مالا يرى واجازوا للصالحين على سبيل كرامة الله عز وجل لهم اختراع الاجسام وقلب الاعيان وجميع احالة الطبائع وكل معجز للانبياء عليهم السلام ورأيت لمحمد ابن الطيب الباقلاني ان الساحر يمشي على الماء على الحقيقة وفي الهواء ويقلب الانسان حماراً على الحقيقة وان كل هذا موجود من الصالحين على سبيل الكرامة وانه لا فرق بين آيات الانبياء وبين مايظهر من الانسان الفاضل ومن الساحر أصلا الا بالتحدي فان النبي يتحدي الناس بان يأتوا بمثل ماجاء هو به فلايقدر أحد على ذلك فقط وان كل مالم يتحد به النبي صلى الله عليه وسلم الناس فليست آية له وقطع بان الله تعالى لايقدر على اظهار آية على لسان متنبئ كاذب وذهب اهل الحق الى انه لايقلب احد عينا ولا يحيل طبيعة الا الله عز وجل لانبيائه فقط سواء تحدوا بذلك أو لم يتحدوا وكل ذلك آيات لهم عليهم الصلاة والسلام تحدوا بذلك املا والتحدي لامعنى له وانه لايمكن وجود شيء من ذلك لصالح ولا لساحر ولا لاحد غير الانبياء عليهم الصلاة والسلام والله تعالى قادر على اظهار الآيات على ايدي الكذابين المدعين للنبوة لكنه تعالى لايفعل كما لايفعل مالا يريد ان يفعله من سائر ماهو قادر عليه

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا هو الحق الذي لايجوز غيره برهان ذلك قوله عز وجل * وتمت كلمات ربك صدقا وعدلا لامبدل لكلماته * وقال عز وجل * وعلم آدم الاسماء كلها * وقال تعالى * انما أمره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون * فصح ان كل مافي العالم مما قد رتبه الله عز وجل الترتيب الذي لايتبدل وصح ان الله عز وجل اوقع كل اسم على مسماه فلا يجوز ان

يوقع

يوقع اسم من تلك الاسماء على غير مسماه الذي اوقعه الله تعالى عليه لانه كان يكون تبديلا لكلمات الله تعالى التي ابطل عز وجل ان تبدل ومنع من ان يكون لها مبدل ولو جاز ان تحال صفات مسمى منها التي بوجودها فيه استحق وقوع ذلك الاسم عليه لوجب ان يسقط عنه ذلك الاسم الذي أوقعه الله تعالى عليه فاذ ذلك كذلك فقد وجب ان كل ما في العالم مما قد رتبه الله على ماهو عليه من فصوله الذاتية وانواعه واجناسه فلا يتبدل شيء منه قطعاً الا حيث قام البرهان على تبدله وليس ذلك الا على احد وجهين اما استحالة معهودة جارية على رتبة واحدة وعلى ما بني الله تعالى عليه العالم من استحالة المني حيواناً والنوي والبزور شجرة ونباتا وسائر الاستحالات المعهودات واما استحالة لم تعهد قط ولا بني الله تعالى العالم عليها ولذلك قد صح للانبياء عليهم السلام شواهد لهم على صحة نبوتهم وُجود ذلك بالمشاهدة ممن شهدهم ونقله الى من لم يشاهدهم بالتواتر الموجب للعلم الضروري فوجب الاقرار بذلك وبقي ماعدا أمر الانبياء عليهم السلام على الامتناع فلا يجوز البتة وجود ذلك لا من ساحر ولا من صالح بوجه من الوجوه لانه لم يقم برهان بوجود ذلك ولا صح به نقل وهو ممتنع في العقل كما قدمنا ولو كان ذلك ممكنا لاستوى الممتنع والممكن والواجب وبطلت الحقائق كلها وامكن كل ممتنع ومن لحق هاهنا لحق بالسوفسطائية على الحقيقة ونسأل من جوز ذلك للساحر والفاضل هل يجوز لكل احد غير هذين ام لا يجوز الا لهذين فقط فان قال ان ذلك للساحر والفاضل فقط وهذا هو قولهم سألناهم عن الفرق بين هذين وبين سائر الناس ولا سبيل لهم الي الفرق بين هؤلاء وبين غيرهم الا بالدعوى التي لا يعجز عنها احد وان قالوا ان ذلك جائز ايضا لغير الساحر والفاضل لحقوا بالسوفسطائية حقا ولم يثبتوا حقيقة وجاز تصديق من يدّعي أنه يصعد الى السماء ويرى الملائكة وانه يكلم الطير ويجتني من شجر الخروب التمر والعناب وان رجالا حملوا وولدوا وسائر التخليط الذي من صار اليه وجب ان يعامل بما هو اهله ان امكن او ان يعرض عنه لجنونه وقلة حيائه

﴿قال ابو محمد﴾ لا فرق بين من ادعى شيئاً مما ذكرنا لفاضل وبين دعوى الرافضة رد الشمس على عليّ بن ابي طالب مرتين حتى ادعى بعضهم ان حبيب بن اوس قال

فردت علينا الشمس والليل راغم * بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

نضا ضوءها صبغ الدجنة وانطوى * لبهجتها فوق السماء المرجع

فوالله ما ادري علي بدا لنا * فردت له ام كان في القوم يوشع

وكذلك دعوى النصارى لرهبانهم وقدمائهم فانهم يدعون لهم من قلب الاعيان اضعاف مايدعيه هؤلاء وكذلك دعوى اليهود لاحبارهم ورؤس المثايب عندهم ان رجلا منهم رحل من بغداد الى قرطبة في يوم واحد وانه انبت قرنين في رأس رجل مسلم من بني الاسكندراني كان يسكن بقرطبة عند باب اليهود وهذا كله باطل موضوع وبنو الاسكندراني كانوا اقواما اشرافاً معروفين لم يعرف لاحد منهم شيء من هذا والحماقة لاحد لها وهذا برهان كاف لمن نصح نفسه

قال ابو محمد واما السحر فانه ضروب منه ماهو من قبل الكواكب كالطابع المنقوش فيه صورة عقرب في وقت كون القمر في العقرب فينفع امساكه من لدغة العقرب ومن هذا الباب كانت الطلسمات وليست احالة طبيعة ولا قلب عين ولكنها قوي ركبها الله عز وجل مدافعة لقوى اخر كدفع الحر للبرد ودفع البرد للحر وكقتل القمر للدابة الدبرة اذا لاقى الدبرة ضوءه اذا كانت دبرتها مكشوفة للقمر ولا يمكن دفع الطلسمات لاننا قد شاهدنا انفسنا آثارها ظاهرة الى الآن من قرى لا تدخلها جرادة ولا يقع فيه برد وكسر قسطة التي لا يدخلها جيش الا ان يدخل كرها وغير ذلك كثير جدا لا ينكره الا معاند وهي اعمال قد ذهب من كان يحسنها جملة وانقطع من العالم ولم يبق الا آثار صناعاتهم فقط ومن هذا الباب كان ماتذكره الاوائل في كتبهم في الموسيقا وانه كان يؤلف به بين الطبائع وينافر به ايضاً بينها ونوع آخر من السحر يكون بالرقى وهو كلام مجموع من حروف مقطعة في طوالع معروفة ايضاً يحدث لذلك التركيب قوة تستثار بها الطبائع وتدافع قوى أخر وقد شاهدنا وجربنا من كان يرقي الدمل الحاد القوى الظهور في أول ظهوره فيبس يبدأ من يومه ذلك بالذبول ويتم يبسه في اليوم الثالث ويقلع كما تقلع قشرة القرحة اذا تم يبسها جربنا من ذلك مالا نحصيه وكانت هذه المرأة ترقي احد دملين قد دفعا على انسان واحد ولا ترقي الثاني فييبس الذي رقت ويتم ظهور الذي لم ترق ويلقي حامله منه الاذي الشديد وشاهدنا من كان يرقي الورم المعروف بالخنازير فيندمل مايفتح منها ويذبل مالم ينفتح ويبرأ كل ذي ذلك البرء

التام كان لا يزال يفعل ذلك في الناس والدواب ومثل هذا كثير جدا وقد اخبرنا من خبره عندنا كمشاهدتنا لثقته وتجريبنا لصدقه وفضله انه شاهد مالا يحصى نساء يتكلمن على الذين يمخضون الزبد من اللبن بكلام فلا يخرج من ذلك اللبن زبد ولا فرق بين هذين الوجهين وبين ملاقاة فضلة الصفراء بالسقمونيا وملاقاة ضعف القلب بالكندر وكل هذه المعاني جارية على رتبة واحدة من طلب علم ذلك أدركه ومنه ما يكون بالخاصة كالحجر الجاذب للحديد وما اشبه ذلك ومنه ما يكون لعلف يد كحيل ابي العجائب التي شاهدها الناس وهي اعمال لطيفة لا تحيل طبعا اصلا

﴿قال ابو محمد﴾ وكل هذه الوجوه التي ذكرناها ليست من باب معجزات الانبياء عليهم السلام ولا من باب ما يدعيه اهل الكذب للسحرة والصالحين لان معجز الانبياء هو خارج عن الرتب وعن طبائع كل ما في العالم وعن بنية العالم لا يجري شيء من ذلك على قانون ولا على سنن معلوم لكن قلب عين واحالة صفات ذاتية كشق القمر وفلق البحر واختراع طعام وماء وقلب العصا حية واحياء ميت قد أرم واخراج ناقة من صخرة ومنع الناس من ان يتكلموا بكلام مذكورا ومن ان يأتوا بمثله وما اشبه هذا من احالة الصفات الذاتية التي بوجودها تستحق الاسماء* ومنها تقوم الحدود وهذا بعينه هو الذي يدعيه المبطلون للساحر والفاضل

﴿قال ابو محمد﴾ وانما يلوح الفرق جدا بين هذين السبيلين لاهل العلم بحدود الاسماء والمسميات وبطبائع العالم وانقسامه من مبدئه من اجناس اجناسه الى انواعه الى اشخاصه وما هو من اعراضه ذاتي وما هو منها غيري وما يسرع الاستحالة والزوال من الغيري منها وما يبطئ زواله منها وما يثبت منها ثبات الذاتي وان لم يكن ذاتيا والفرق بين البرهان وبين ما نظن انه برهان وليس برهانا والحمد لله على ما وهب وانعم به علينا لا إله الا هو حدثنا محمد بن سعيد بن بيان ثنا احمد بن عبد البصير قال ثنا قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن عبد السلام الخشني ثنا محمد بن المثني ثنا عبد الرحمن ابن مهدي ثنا سفيان الثوري عن ابي اسحاق الشيباني عن بشير بن عمرو قال ذكر الغيلان عند عمر بن الخطاب فقالوا انهم يتحولون فقال عمر انه ليس أحد يتحول عن خلقه الذي خلق له ولكن لهم سحرة كسحرتكم فاذا خشيتم شيئاً من ذلك فاذنوا فهذا عمر رضي الله عنه يبطل احالة الطبائع وهذا نص قولنا والحمد لله رب العالمين كثيراً وقد نص الله عزوجل

علي ماقلنا فقال تعالى* فاذا حبالهم وعصيهم يخيل اليه من سحرهم انها تسعى* فاخبر تعالى ان عمل أولئك السحرة انما كان تخييلا لا حقيقة له وقال تعالى *انما صنعوا كيد ساحر ولا يفلح السّاحر حيث أتي *فاخبر تعالى انه كيد لا حقيقة له فان قيل قد قال الله عزوجل *سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحرهم عظيم * قلنا نعم انها حيل عظيمة واثم عظيم اذ قصدوا بها معارضة معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم وانهم كادوا عيون الناس اذ أوهموهم ان تلك الحبال والعصي تسعى فاتفقت الآيات كلها والحمد لله رب العالمين وكان الذي قدر ممن لا يدري حيلهم من أنها تسعى ظنا أصله اليقين وذلك انهم رأوا صفة حيات رقط طوال تضطرب فسارعوا الي الظن وقدروا انها ذات حيات ولوا معنُوا الظن وفتشوها لوقفوا على الحيلة فيها وانها ملئت زئبقا ولد فيها تلك الحركات كما يفعل العجائبي الذي يضرب بسكينة في جسم انسان فيظن من رآه ممن لا يدري حيلته ان السكين غاصت في جسد المضروب وليس كذلك بل كان نصاب السكين مثقوبا فقط فغاصت السكين في النصاب وكادخاله خيطا في حلقة خاتم يمسك انسان غير متهم طرفي الخيط بيديه ثم يأخذ العجائبي الخاتم الذي فيه الخيط بفيه وفي ذلك المقام ادخله تحت يده وكان في فيه خاتم اخري يري من حضر حلقة الخاتم الذي في فيه يوهمهم انه قد أخرجه من الخيط ثم يرد فمه الي الخيط ويرفع يديه وفمه فينظر الخاتم الذي كان فيه الخيط وكذلك سائر حيلهم وقد وقفنا على جميعها فهذا هو معنى قوله تعالى سحروا أعين الناس واسترهبوهم أي انهم أوهموا الناس فيما رأوا ظنونا متوهمة لا حقيقة لها ولو فتشوها للاح لهم الحق وكذلك قوله تعالى * فيتعلمون منهما مايفرقون به بين المرء وزوجه * فهذا أمر ممكن يفعله النمام وكذلك ماروي ان النبي صلى الله عليه وسلم سحره لبيد بن الاعصم فولد ذلك عليه مرضاً حتي كان يظن انه فعل الشيْ وهو لم يفعله فليس في هذا أيضاً احالة طبيعة ولا قلب عين وانما هو تأثير بقوة لتلك الصناعه كما قلنا في الطلسمات والرقي فلا فرق ونحن نجد الانسان يسب أو يقابل بحركة يغضب منها فيستحيل من الحلم الى الطيش وعن السكون الى الحركة والنزق حتي يقارب حال المجانين وربما أمرضه ذلك وقد قال عليه السلام إن من البيان لسحرا لان من البيان ما يؤثر في النفس فيثيرها او يسكنها عن ثورانها ويحيلها عن عزماتها وعلى هذا المعنى استعملت الشعراء ذكر سحر

العيون لا ستمالتها للنفوس فقط

قال ابو محمد ويقال لمن قال ان السحر يحيل الاعيان ويقلب الطبائع اخبرونا اذا جاز هذا فاى فرق بين النبي صلى الله عليه وسلم والساحر ولعل جميع الانبياء كانوا سحرة كما قال فرعون عن موسى عليه السلام * انه لكبيركم الذى علمكم السحر * وان هذا لمكر مكرتموه في المدينة لتخرجوا منها اهلها* واذا جاز ان يقلب سحرة موسى عليه السلام عصيهم وحبالهم حيات وقلب موسى عليه السلام عصاه حية وكان كلا الامرين حقيقة فقد صدق فرعون بلا شك في انه ساحر مثلهم الا انه أعلم منهم به فقط وحاشا لله من هذا بل ما كان فعل السحرة الا من حيل ابي العجائب فقط فان لجؤا الى ما ذكره الباقلاني من التحدى قيل لهم هذا باطل من وجوه احدها ان اشتراط التحدى في كون آية النبي آية دعوى كاذبة سخيفة لادليل على صحتها لا من قرآن ولا من سنة صحيحة ولا سقيمة ولا من اجماع ولا من قول صاحب ولا من حجة عقل ولا قال بهذا احد قط قبل هذه الفرقة الضعيفة وما كان هكذا فهو في غاية السقوط والهجنة قال الله عز وجل *قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فوجب ضرورة ان من لا برهان له على صحة قوله فهو كاذب فيها غير صادق وثانيها * انه لو كان ما قالوا لسقطت اكثر آيات رسول الله صلى الله عليه وسلم كنبعان الماء من بين اصابعه واطعامه المئين والعشرات من صاع شعير وعناق ومرة اخرى من كسر ملفوفة في خمار وكتفله فى العين فجاشت بماء غزير الى اليوم وحنين الجذع وتكليم الذراع وشكوى البعير والذئب والاخبار بالغيوب وتمر جابر وسائر معجزاته العظام لانه عليه الصلاة والسلام لم يتحد بذلك كله احدا ولا عمله الا بحضرة اهل اليقين من اصحابه رضى الله عنهم ولم يبق له آية حاشا القرآن ودعاء اليهود الى تمنى الموت وشق القمر فقط وكفى نحسا بقول أدى الى مثل هذا فان ادعوا انه عليه السلام تحدى بها من حضر وغاب كذبوا واخترعوا هذه الدعوى لأنه لم يات فى شىء من تلك الاخبار انه تحدى بها احدا وان تمادوا على ان كل هذه ليست معجزات ولا آيات ا كذبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله اذ فعل ذلك اشهد اني رسول الله والثالث وهو البرهان الدافع هو قول الله تعالى * واقسموا بالله جهد ايمانهم لئن جاءتهم آية ليؤمنن بها قل انما الآيات عند الله وما يشعركم انها

اذا جاءت لا يؤمنون*وقوله* ومامنعنا ان نرسل بالآيات الا ان كذب بها الاولون *فسمى الله تعالى تلك المعجزات المطلوبة من الانبياء عليهم السلام آيات ولم يشترط عز وجل فى ذلك تحديا من غيره فصح ان اشتراط التحدى باطل محض وصح انها اذا ظهرت فهى آية كان هنا لك تحد اولم يكن وقد صح اجماع الامة المتيقن على ان الآيات لا يأتي بها ساحر ولا غير نبي فصح ان المعجزات اذا هي آيات لا تكون لساحر ولا لاحد ليس نبيا والرابع انه لو صح حكم التحدى لكان حجة عليه لان التحدي عندهم يوجب ان لا يقدر على مثل ذلك احد اذ لو امكن ان يوجد مثل ذلك من احد لكان قد بطل تحديه وقيل له قد وجد من يعمل مثل عملك هذا اما صالح واما ساحر والخامس انه لو كان ما قالوا وجاز ظهور معجزة من ساحر لا يتحدى بها او فاضل لا يتحدى بها لامكن ان يتحدى لهما بها بعد موتهما من ضل فيهما كما فعلت الغلاة بعلي رضي الله عنه فعلى كل حال قولهم ساقط والحمد لله رب العالمين

﴿قال ابو محمد﴾ واما من ادعى انه يشبه الساحر على العيون فيريهم مالا يرى فان هذه الطائفة لم تكتف بالكفر بابطال النبوات اذ امل ما اتي به النبي صلى الله عليه وسلم كان تشبيهاً على العيون لا حقيقة له حتى رامت ابطال الحقائق كلها اولها عن آخرها ولحقت بالسوفسطائية لحاقا صحيحاً بلا تكلف ويقال لهم اذا جاز ان يشبه على العيون حتى يرى المشبه عليها مالا حقيقة له ومالا تراه فما يدريكم لعلكم كلكم الآن مشبه على عيونكم ولعل بعض السحرة قد شبه عليكم فاراكم انكم تتوضؤن وتصلون وانتم لا تعقلون شيئاً من ذلك ولعلكم تظنون انكم تزوجتم وانما في بيوتكم ضأن ولا معز ولعلكم الآن على ظهر البحر ولعل كل ما تعتقدون من الدين تشبيه عليكم وهذا كله لا مخلص لهم منه وقد عاب الله عز وجل من ذهب الى هذا فقال * ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت ابصارنا بل نحن قوم مسحورون* فلو جاز ان يكون للسحر حقيقة ويشبه ما يأتي به الانبياء عليهم السلام وامكن ان يشبه على البصر ما ذمهم الله عز وجل بان قالوا شيئاً يمكن كونه لكنهم لما قالوا مالا يمكن البتة وتعلقوا بذلك فى دفع الحقائق عابهم الله تعالى بذلك وانكره عليهم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وليس غلط الحواس في بعض الاوقات من باب التشبيه عليها في شئ لان احدنا قد يرى شخصاً على بعد لا يشك فيه الا انه شارع فقطع انه انسان او انه فلان فقطع بظنه ولو انه لم يعمل ظنه ولا قطع به لكان باقيا على ما ادرك من الحقيقة وهكذا في كل ما حكم فيه المرء بظنه واما ذو الآفة كمن فيه ابتداء نزول الماء فيرى خيالات لا حقيقة لها فهو ايضا كما ذكرنا وإنما الماء المطل على حدقته يوهمه انه رأى شيأ وقطع بذلك فاذا تثبت في كل ذلك لاح له الحق من الظن وكذلك من فسد مكان التخيل من دماغه فان نفسه تظن ما يتوهمه فتقطع به ولو قوي تميزها لفرقت بين الحق والباطل وهكذا القول في ادراك السمع والذوق وهذا كله يجرى على رتب مختلفة بمن اعمل ظنه وعلى رتب غير مختلفة في جمل هذه الاوقات بل هي ثابتة عند اهل التحقيق والمعرفة معروفة العلاج حتى يعود منها الى صلاحه مالم يستحكم فساده ولا يظن ظان انه ممكن ان نكون في مثل حال هؤلاء اذ لو كان هذا لم نعرف شيئا من العلوم على رتبه واحكامه الجارية على سنن واحد وبالله تعالى التوفيق ثم نسألهم باي شئ يعرفون انه لم يشبه على عيونكم فقد عرفناكم نحن بماذا نعرف ان حواسنا سليمة وان عقولنا سليمة مادامت سالمة وبماذا نعرف الحواس المدخولة والعقول المدخولة وغير المدخولة وهو أجراء ما أدرك بالحواس السليمة والعقول السليمة على رتب محدودة معلومة لاتبدل عن حدودها ابداً واجرأ ما ادرك بالحواس الفاسدة والعقول المدخولة على غير رتب محدودة فانهم لا يقدرون على فرق اصلا وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكذلك ما ذكر عمن ليس نبياً من قلب عين او إحالة طبيعة فهو كذب إلا ما وجد من ذلك في عصر نبي فانه آية كذلك لذلك النبي وذلك الذي ظهرت عليه آية بمنزلة الجذع الذي ظهر فيه الحنين والذراع الذي ظهر فيه النطق والعصا التي ظهرت فيها الحياة وسواء كان الذي ظهرت فيه الآية صالحا او فاسقا وذلك كنحو النور الذي ظهر في سوط عمر بن حممه الدوسي وبرهان ذلك انه لم يظهر فيه بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان قيل اذا أجزتم ان تظهر المعجزة في غير نبي لكن في عصر نبي لتكون آية لذلك النبي فهلا اجزتموه كذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لتكون آية له ايضاً ولا فرق بين الامرين . قلنا انما اجزنا ذلك الشئ في الجماد وسائر الحيوان وفيمن شاء الله تعالى إظهار ذلك

فيه من الناس لا نخص بذلك فاضلا لفضله ولا نمنع ذلك في فاسق لفسقه او كافر وانما ننكر على من خص بذلك الفاضل فجعلها كرامة له فلو جاز ذلك بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم لاشكل الامر ولم نكن في أمن من دعوي من ادعى انها آية لذلك الفاضل ولذلك الفاسق والانسان من الناس يدعيها آية له ولو كان ذلك لكان اشكالا في الدين وتلبيسا من الله تعالى على جميع عباده اولهم عن آخرهم وهذا خلاف وعد الله تعالى لنا واخباره بانه قد بين علينا الرشد من الغي وليس كذلك ما كان في عصر النبي صلى الله عليه وسلم لانه لا يكون الامن قبل النبي صلى الله عليه وسلم وباخباره وانذاره فبدت بذلك انها له لا للذي ظهرت منه وهذا في غاية البيان والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما الذي روي في ذلك عن الثلاثة اصحاب الغار وانفراج الصخرة ثلثا ثلثا عند ماذكروا من اعمالهم فلا تعلق لهم به لان تكسير الصخرة ممكن في كل وقت ولكل احد بلا إعجاز وما كان هكذا فجائز وقوعه بالدعاء وبغير الدعاء لكن وقع وفاقا لتمنيه كمن دعا في موت عدوه او تفريج همه او بلوغ امنيته في دنياه ولقد حدثني حكم بن منذر بن سعيد ان اباه رحمه الله كان في جماعة في سفرة في صحراء فعطشوا وأيقنوا بالهلكة ونزلوا في ظل جبل ينتظرون الموت قال فاسندت رأسي الى حجر ناتئ فتأذيت به فقلعته فاندفع الماء العذب من تحته فشربنا وتزودنا ومثل هذا كثير مما يفرج وحتي لو كانت معجزة لوجب بلا شك أن يكونوا انبياء او لنبي ممن في زمن نبي لابد مما قدمناه

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا عجب اعجب من قول من يجيز قلب الاعيان للساحر وهو عندهم فاسق اوكافر ويجيز مثل ذلك للصالح وللنبي فقد جاز عندهم قلب الاعيان للنبي وللصالح وللفاسق وللكافر فوجب ان قلب الاعيان جائز من كل احد وبؤسا لقول ادى الى مثل هذا وهم يجيزون للمغيرة بن سعيد وبيان ومنصور الكشف وقلب الاعيان على سبيل السحر وقد جاء بعدهم من يدعي لهم النبوة بها فاستوي عند هؤلاء المخذولين النبي والساحر نعوذ بالله من الضلال المبين

﴿ قال ابو محمد ﴾ فان اعترضوا بقول الله تعالى * وقال ربكم ادعوني استجب لكم * وبقوله تعالى * أجيب دعوة الداع اذا دعان * فهذا حق وانما هو بلا شك انه في الممكنات التي علم الله تعالى انها تكون لا فيما في علم الله تعالى انها لا تكون ولا في المحال ونسألهم عمن دعا الى الله تعالى في أن يجعله نبيًا او في ان ينسخ دين الاسلام او بان يجعل القيامة قبل وقتها

او

او يمسخ الناس كلهم قردة او بان يجعل له عينا ثالثة او بان يدخل الكفار الجنة او المؤمنين النار وما اشبه هذا فان اجازوا كل هذا كفروا ولحقوا مع كفرهم بالمجانين وإن منعوا من كل هذا تركوا استدلالهم بالآيات المذكورة وصح ان الاجابة إنما تكون في خاص من الدعاء لا في العموم وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وصح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لاسامة وخالد هلاشققت عن قلبه لتعلم أقالها متعوذاً أم لا

﴿ قال ابو محمد ﴾ فلو جاز ظهور المعجزة على غير نبي على سبيل الكرامة لوجب القطع على ما في قلبه وانه ولي الله تعالى وهذا لا يعلم من أحد بعد الصحابة رضي الله عنهم الذين ورد فيهم النص وأما قول الباقلاني ان الله تعالى لا يقدر على إظهار آية على يد كذاب فهو داخل في جملة تعجيزه الباري تعالى وهو ايضاً تعجيز سخيف داخل في جملة المحال وذلك انه جعل الله تعالى قادراً على إظهار الآيات على كل ساحر فان علم انه يقول انه نبي لم يقدر على أن يظهرها عليه وهذا قول في غاية الفساد لان من قدر على شيء لم يجز أن يبطل قوته عليه علمه بان ذلك الذي يظهر فيه الفعل يقول أنا نبي ولا يتوهم هذا ولا يتشكل في العقل ولا يمكن البتة وإنما هم قوم اهملوا حكم الله تعالى عليهم وأطلقوا احكامهم عليه تعالى وما في الكفر اسمج من هذا ولا اطم ولا ابرد

﴿ قال ابو محمد ﴾ ورأيت للباقلاني في فصل من كلامه ان الناس ليسوا عاجزين عن مثل هذا القرآن ولا قادرين عليه ولا هم عاجزون عن الصعود الى السماء ولا عن إحياء الموتى ولا عن خلق الاجسام ولا اختراعها ولا قادرين على ذلك هذا نص كلامه دون تأويل منا عليه ثم قال إن القدرة لا تقع إلا حيث يقع العجز[1]

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل هذا هوس لا يأتي به الا الممرور وأطم من ذلك احتجاجه بان العجز لا يقع إلا حيث تقع القدرة ولا ندري في أي لغة وجدوا هذا الكذب أم في أي عقل وجد هذا السخف وما شك ذو علم باللغة من الخاصة والعامة في بطلان قوله وفي أن العجز

---

(١) هذا المبحث لم يوافقه عليه غير بعض أهل الاعتزال وأما سائر من سواهم حتى متفلسفة أهل الاسلام فجوزوا وقوع الكرامة ممن صفت نفسه وتنور سره بالمعارف القدسية فلا يغتر بما هول به فانه لا معول عليه وهو سفسطة ومقدمات غير مسلمات تأمل اه مصححه

ضد القدرة وان ما قدر الانسان عليه فلم يعجز عنه في حين قدرته عليه وأن ما عجز عنه فلم يقدر عليه في حين عجزه عنه وأن نفي القدرة إثبات للعجز وأن نفي العجز إثبات للقدرة ما يجهل هذا عاميّ ولا خاصي اصلا وهو ايضاً معروف باول العقل والعجب أن ياتي بمثل هذه الدعاوي السخيفة بغير دليل اصلا لكن حماقات وضلالات يطلقها هذا الجاهل وامثاله من الفساق في دين الله تعالى فيتلقفها عنهم من اضله الله تعالى ونعوذ بالله من الخذلان وقد قال الله تعالى * واعلموا انكم غير معجزي الله * فاقتضى هذا انهم مقدور عليهم لله تعالى وقال تعالى * ليس بمعجز في الارض * فوجب انه مقدور عليه وقال تعالى * والله على كل شئ قدير * فصح انه غير عاجز وبالله تعالى التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه اجمعين

الكلام في الجن ووسوسة الشيطان وفعله في المصروع

﴿ قال ابو محمد ﴾ لم ندرك بالحواس ولا علمنا وجوب كونهم ولا وجوب امتناع كونهم في العالم ايضاً بضرورة العقل لكن علمنا بضرورة العقل امكان كونهم لان قدرة الله تعالى لا نهاية لها وهو عز وجل يخلق ما يشاء ولا فرق بين أن يخلق خلقا عنصرهم التراب والماء فيسكنهم الارض والهواء والماء وبين أن يخلق خلقا عنصرهم النار والهواء فيسكنهم الهواء والنار والارض بل كل ذلك سواء وممكن في قدرته لكن لما أخبرت الرسل الذين شهد الله عز وجل بصدقهم بما ابدى على أيديهم من المعجزات المحيلة للطبائع بنص الله عز وجل على وجود الجن في العالم وجب ضرورة العلم بخلقهم ووجودهم وقد جاء النص بذلك وبانهم أمة عاقلة مميزة متعبدة موعودة متوعدة متناسلة يموتون وأجمع المسلمون كلهم على ذلك نعم والنصارى والمجوس والصابئون واكثر اليهود حاشا السامرة فقط فمن انكر الجن او تأول فيهم تأويلا يخرجهم به عن هذا الظاهر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال قال تعالى * افتتخذونه وذريته أولياء من دوني *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهم يروننا ولا نراهم قال الله تعالى * انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم * فصح ان الجن قبيل ابليس قال الله عز وجل * إلا إبليس كان من الجن *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وإذ أخبرنا الله عز وجل أنا لا نراهم فمن ادعى انه يراهم أو رآهم فهو كاذب إلا أن يكون من الانبياء عليهم السلام فذلك معجزة لهم كما نص رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تفلت عليه الشيطان ليقطع عليه صلاته قال فاخذته فذكرت دعوة أخي سليمان

ولولا ذلك لأصبح موثقا يراه أهل المدينة أو كما قال عليه السلام وكذلك في رواية عن أبي هريرة الذي رأى إنما هى معجزة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى وجود خبر يصح برؤية جني بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما هي منقطعات أو عمن لا خير فيه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهم أجسام رقاق صافية هوآئية لا ألوان لهم وعنصرهم النار كما انّ عنصرنا التراب وبذلك جاء القرآن قال الله عز وجلّ (والجان خلقناه من قبل من نار السموم) والنار والهواء عنصران لا ألوان لهما وإنما حدث اللون في النار المشتعلة عندنا لامتزاجها برطوبات ماتشتعل فيه من الحطب والكتان والادهان وغير ذلك ولو كانت لهم الوان لرأيناهم بحاسة البصر ولو لم يكونوا أجساما صافية رقاقا هوائية لأدركناهم بحاسة اللمس وصح النص بانهم يوسوسون في صدور الناس وأن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم فوجب التصديق بكل ذلك حقيقة وعلمنا أن الله عز وجل جعل لهم قوة يتوصلون بها إلى قذف ما يوسوسون به في النفوس برهان ذلك قول الله تعالى * من شر الوسواس الخناس الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس * ونحن نشاهد الانسان يرى من له عنده ثار فيضطرب وتتبدل أعراضه وصورته وأخلاقه وتثور ناريته ويرى من يحب فيثور له حال أخرى ويبتهج وينبسط ويري من يخاف فتحدث له حال أخري من صفرة ورعشة وضعف نفس ويشير إلي إنسان آخر باشارات يحل بها طبائعه فيغضبه مرة ويخجله اخري ويفرعه ثالثة ويرضيه رابعة وكذلك يحيله ايضا بالكلام الي جميع هذه الاحوال فعلمنا ان الله عز وجل جعل للجن قوى يتوصلون بها إلي تغيير النفوس والقذف فيها بما يستدعونها اليه نعوذ بالله من الشيطان الرجيم ووسوسته ومن شرار الناس وهذا هو جريه من ابن آدم مجري الدم كما قال الشاعر

وقد كنت اجري في حشاهن مرة * كجري معين الماء في قصب الآس

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما الصرع فان الله عز وجل قال * كالذي يتخبطه الشيطان من المس * فذكر عز وجل تأثير الشيطان في المصروع إنما هو بالمماسة فلا يجوز لاحد ان يزيد على ذلك شيئا ومن زاد على هذا شيئا فقد قال مالا علم له به وهذا حرام لا يحل قال عز وجل * ولا تقف ما ليس لك به علم * وهذه الامور لا يمكن ان تعرف البتة إلا بخبر صحيح عنه صلى الله عليه وسلم ولا خبر عنه عليه السلام بغير ما ذكرنا وبالله تعالي التوفيق فصح أن الشيطان يمس الانسان الذي

يسلطه الله عليه مسا كما جاء في القرآن يثير به من طبائعه السوداء والابخرة المتصاعدة إلي الدماغ كما يخبر به عن نفسه كل مصروع بلا خلاف منهم فيحدث الله عزوجل له الصرع والتخبط حينئذ كما نشاهده وهذا هو نص القرآن وما توجبه المشاهدة وما زاد على هذا فخرافات من توليد العزّامين والكذابين وبالله تعالى نتايد وأما قول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الشمس تطلع ومعها قرن الشيطان فاذا ارتفعت فارقها فاذا استوت قارنها فاذا زالت فارقها فاذا أجنحت للغروب قارنها فاذا غربت فارقها ونهى عن الصلاة في هذه الاوقات او كما قال عليه السلام مما هذا معناه بلا شك فقد قلنا انه عليه السلام لا يقول الا الحق وان كلامه كله على ظاهره الا ان ياتي نص بان هذا النص ليس على ظاهره فنسمع ونطيع او يقوم بذلك برهان من ضرورة حسّ او اول عقل فنعلم أنه عليه السلام انما اراد ما قد قام بصحته البرهان لا يجوز غير ذلك وقد علمنا يقينا ان الشمس في كل دقيقة طالعة على افق من الآفاق مرتفعة على آخر مستوية على ثالث زائلة عن رابع جانحة للغروب على خامس غاربة على سادس هذا مالا شك فيه عند كل ذي علم بالهيئة فاذ ذلك كذلك فقد صح يقينا انه عليه السلام انما عني بذلك افقاً مّا دون سائر الآفاق لا يجوز غير ذلك اذ لو اراد كل افق لكان الاخبار بانه يفارقها كذبا وحاشا له من ذلك فاذ لا شك في هذا كله فلا مرية انه عليه الصلاة والسلام انما عني به افق المدينة اذ هو الافق الذي اخبر اهله بهذا الخبر فانبأهم بما يقارن الشمس في تلك الاحوال وبما يفارقها من الشيطان والله اعلم بذلك القران ما هو لا نزيد على هذا اذ لا بيان عندنا فيما بينه الا انه ليس شئ من ذلك بممتنع أصلا فصح بما ذكرنا ان اول الخبر خاص كما وصفنا وان نهيه عن الصلاة في الاوقات قصة اخرى وقضية ثانية وحكم غير الاول فهو على عمومه في كل زمان وكل مكان الا ما قام البرهان على تخصيصه من هذا الحكم بنص آخر كما بينا في غير هذا الكتاب في كتب الصلاة من تآليفنا والحمد لله رب العالمين كثيراً

الكلام في الطبائع

﴿قال ابو محمد﴾ ذهبت الاشعرية الى انكار الطبائع جملة وقالوا ليس في النار حر ولا في الثلج برد ولا في العالم طبيعة أصلا وقالوا انما حدث حر النار جملة وبرد الثلج عند

الملامسة قالوا ولا في الخمر طبيعة اسكار ولا في المني قوة يحدث بها ولكن الله عز وجل يخلق منه ما شاء وقد كان ممكنا ان يحدث من مني الرجال جملا ومن منى الحمار انسانا ومن زريعة الكزبر نخلا

﴿ قال ابو محمد ﴾ مانعلم لهم حجة شغبوا بها في هذا الهوس اصلا وقد ناظرت بعضهم في ذلك فقلت له ان اللغة التي نزل بها القرآن تبطل قولكم لان من لغة العرب القديمة ذكر الطبيعة والخليقة والسليقة والبحيرة والغريزة والسجية والسيمة والجبلة بالجيم ولا يشك ذوعلم في ان هذه الالفاظ استعملت في الجاهلية وسمعها النبي صلى الله عليه وسلم فلم ينكرها قط ولا انكرها احد من الصحابة رضي الله عنهم ولا احد ممن بعدهم حتى حدث من لا يعتد به وقد قال امرؤ القيس

وان كنت قد ساءتك مني خليقة * فسلي ثيابي من ثيابك تنسل

وقال حميد بن ثور الهلالي الكندي

لكل امرئ يا ام عمرو طبيعة * وتفريق ما بين الرجال الطبائع

وقال النابغة

لهم سيمة لم يعطها الله غيرهم * من الجود والاحلام غير عوازب

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للجارود اذ أخبره ان فيه الحلم والاناة فقال له الجارود الله جبلني عليهما يارسول الله ام هما كسب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل الله جبلك عليهما ومثل هذا كثير وكل هذه الالفاظ اسماء مترادفة بمعني واحد عندهم وهو قوة في الشيء يوجد بها على ماهو عليه فاضطرب ولجأ الى ان قال اقول بهذا في الناس خاصة فقلت له وأني لك بالتخصيص وهذا موجود بالحس وببديهة العقل في كل مخلوق في العالم فلم يكن عنده تمويه

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا المذهب الفاسد حداهم على ان سموا ما تأتى به الانبياء عليهم الصلاة والسلام من الآيات المعجزات خرق العادة لانهم جعلوا امتناع شق القمر وشق البحر وامتناع احياء الموتي واخراج ناقة من صخرة وسائر معجزاتهم انما هى عادات فقط

﴿ قال ابو محمد ﴾ معاذ الله من هذا ولو كان ذلك عادته لما كان فيها اعجاز اصلا لان

العادة في لغة العرب والدأب والدين والديدن والهجري ألفاظ مترادفة على معني واحد وهي في اكثر استعمال الانسان له مما لا يؤمن تركه اياه ولا ينكر زواله عنه بل هو ممكن وجود غيره ومثله بخلاف الطبيعة التي الخروج عنها ممتنع فالعادة في استعمال العرب العامة التلحي وحمل القناة وتحمل بعض الناس القلنسوة وكاستعمال بعضهم حلق الشعر وبعضهم توفيره قال الشاعر -

تقول وقد دارت لها وضيني * اهذا دينه ابدا وديني

وقال اخر * ومن عاداته الخلق الكريم

وقال آخر

قد عود الطير عادات وثقن بها * فهن يصحبنه في كل مرتحل

وقال آخر * عودت كندة عادات فصبرا لها *

وقال آخر * وشديد عادة منتزعة *

فذكر أن انتزاع العادة يشتد الا انه ممكن غير ممتنع بخلاف ازالة الطبيعة التي لا سبيل اليها وربما وضعت العرب لفظة العادة مكان لفظة الطبيعة كما قال حميد بن ثور الهلالي

سلي الربع ان يمت يا ام سالم * وهل عادة للربع ان يتكلما

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل هذه الطبائع والعادات مخلوقة خلقها الله عز وجل فرتب الطبيعة على انها لا تستحيل ابدا ولا يمكن تبدلها عند كل ذي عقل كطبيعة الانسان بان يكون ممكنا له التصرف في العلوم والصناعات إن لم يعترضه آفة وطبيعة الحمير والبغال بانه غير ممكن منها ذلك وكطبيعة البر ان لا ينبت شعيرا ولا جوزا وهكذا كل ما في العالم والقوم مقرون بالصفات وهي الطبيعة نفسها لان من الصفات المحمولة في الموصوف ما هو ذاتي به لا يتوهم زواله الا بفساد حامله وسقوط الاسم عنه كصفات الخمر التي ان زالت عنها صارت خلا وبطل اسم الخمر عنها وكصفات الخبز واللحم التي اذا زالت عنها صارت زبلا وسقط اسم الخبز واللحم عنهما وهكذا كل شئ له صفة ذاتية فهذه هي الطبيعة ومن الصفات المحمولة في الموصوف ما لو توهم زواله عنه لم يبطل حامله ولا فارقه اسمه وهذا القسم ينقسم اقساما ثلاثة فاحدها ممتنع الزوال كالفطس والقصر والزرق وسواد الزنجي ونحو ذلك إلا انه لو توهم زايلا لبقي الانسان انسانا

بحاله وثانيها بطيء لزوال كالمرودة وسواد الشعر وما أشبه ذلك وثالثها سريع الزوال كحمرة الخجل وصفرة الوجل وكمدة الهم ونحو ذلك فهذه هي حقيقة الكلام في الصفات وما عدا ذلك فطريق السوفسطائية الذين لا يحققون حقيقة ونعوذ بالله من الخذلان

نبوة النساء

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذا فصل لانعلمه حدث التنازع المظيم فيه الا عندنا بقرطبة وفي زماننا فان طائفة ذهبت الى ابطال كون النبوة فى النساء جملة وبدعت من قال ذلك وذهبت طائفة الى القول بانه قد كانت في النساء نبوة وذهبت طائفة الى التوقف فى ذلك

﴿ قال ابوا محمد ﴾ ما نعلم للمانعين من ذلك حجة اصلا الا ان بعضهم نزع فى ذلك بقول الله تعالى * وما ارسلنا من قبلك الا رجالا نوحي اليهم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا امر لا ينازعون فيه ولم يدع احد ان الله تعالى ارسل أمراة وانما الكلام في النبوة دون الرسالة فوجب طلب الحق في ذلك بان ينظر في معنى لفظة النبوة في اللغة التي خاطبنا الله بها عز وجل فوجدناهذه اللفظة ماخوذة من الانباء وهو الاعلام فمن اعلمه الله عز وجل بما يكون قبل ان يكون او اوحي اليه منبئاً له بامر مافهو نبي بلاشك وليس هذا من باب الالهام الذي هو طبيعة كقول الله تعالى * واوحي ربك الي النحل * ولا من باب الظن والتوهم الذي لا يقطع بحقيقته الا مجنون ولا من باب الكهانة التي هي من استراق الشياطين السمع من السماء فيرمون بالشهب الثواقب وفيه يقول الله عز وجل * شياطين الانس والجن يوحي بعضهم الي بعض زخرف القول غرورا * وقد انقطعت الكهانة بمجيء رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من باب النجوم التي هي مجارب تتعلم ولا من باب الرؤيا التى لا يدري اصدقت ام كذبت بل الوحي الذي هو النبوة قصد من الله تعالى الي اعلام من يوحي اليه بما يعلمه به ويكون عند الوحي به اليه حقيقة خارجة عن الوجوه المذكورة يحدث الله عز وجل لمن اوحي به اليه علما ضروريا بصحة ما اوحي به كعلمه بما ادرك بحواسه وبديهة عقله سواء لا مجال للشك في شيء منه اما بمجيء الملك به اليه واما بخطاب يخاطب به في نفسه وهو تعليم من الله تعالي لمن يعلمه دون وساطة معلم فان انكروا ان يكون هذا هو معنى النبوة فليعرفونا ما معناها فانهم لا يأتون بشيء اصلا فاذ ذلك كذلك فقد جاء القرآن بان الله عز وجل

ارسل ملائكة الي نساء فاخبروهن بوحي حق من الله تعالي فبشروا ام اسحاق باسحاق عن الله تعالي قال عز وجل*وامرأته قائمة فضحكت فبشرناها باسحاق ومن وراء اسحاق يعقوب قالت ياوليتا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا ان هذا لشئ عجيب قالوا أتعجبين من امر الله رحمة الله وبركاته عليكم اهل البيت*فهذا خطاب الملائكة لام اسحاق عن الله عز وجل بالبشارة لها باسحاق ثم يعقوب ثم بقولهم لها أتعجبين من امر الله ولا يمكن البتة ان يكون هذا الخطاب من ملك لغير نبي بوجه من الوجوه ووجدناه تعالي قد ارسل جبريل الي مريم ام عيسي عليهما السلام بخطابها وقال لها*انما انا رسول ربك لاهب لك غلاما زكيا*فهذه نبوة صحيحة بوحي صحيح ورسالة من الله تعالي اليها وكان زكريا عليه السلام يجد عندها من الله تعالي رزقا وارداً تمني من اجله ولدا فاضلا ووجدنا ام موسي عليهما الصلاة والسلام قد اوحي الله اليها بالقاء ولدها في اليم واعلمها انه سيرده اليها ويجعله نبيا مرسلا فهذه نبوة لاشك فيها وبضرورة العقل يدري كل ذي تمييز صحيح انها لو لم تكن واثقة بنبوة الله عز وجل لها لكانت بالقائها ولدها في اليم برؤيا تراها او بما يقع في نفسها او قام في هاجستها في غاية الجنون والمرار الهائج ولو فعل ذلك احدنا لكان غاية الفسق او في غاية الجنون مستحقا لمعاناة دماغه في البيمارستان لايشك في هذا احد فصح يقينا ان الوحي الذي وردلها في القاء ولدها في اليم كالوحي الوارد على ابراهيم في الرؤيا في ذبح ولده فان ابراهيم عليه الصلاة والسلام لولم يكن نبيا واثقا بصحة الوحي والنبوة الوارد عليه من ذبح ولده لكنه ذبح ولده لرؤيا رآها او ظن وقع في نفسه لكان بلا شك فاعل ذلك من غير الانبياء فاسقا في نهاية الفسق او مجنونا في غاية الجن هذا مالا يشك فيه احد من الناس فصحت نبوتهن بيقين ووجدنا الله تعالي قد قال وقد ذكر من الانبياء عليهم السلام في سورة كهيعص ذكر مريم في جملتهم ثم قال عز وجل*أؤلئك الذين انعم الله عليهم من النبيين من ذرية آدم وممن حملنا مع نوح*وهذا هو عموم لها معهم لا يجوز تخصيصها من جملتهم وليس قوله عز وجل وامه صديقة بمانع من ان تكون نبية فقد قال تعالي*يوسف ايها الصديق*وهو مع ذلك نبي رسول وهذا ظاهر وبالله تعالي التوفيق ويلحق بهن عليهن السلام في ذلك امرأة فرعون بقول رسول الله صلي الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء الا مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم

امرأة فرعون او كما قال عليه الصلاة والسلام والكمال في الرجال لا يكون الا لبعض المرسلين عليهم الصلاة والسلام لان من دونهم ناقص عنهم بلا شك وكان تخصيصه صلى الله عليه وسلم مريم وامرأة فرعون تفضيلا لهما على سائر من اوتيت النبوة من النساء بلا شك اذ من نقص عن منزلة آخر ولو بدقيقة فلم يكمل فصح بهذا الخبر ان هاتين المرأتين كملتا كمالا لم يلحقها فيه امرأة غيرهما اصلا وان كن بنصوص القرآن نبيات وقد قال تعالى * تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض * فالكامل في نوعه هو الذي لا يلحقه احد من أهل نوعه فهم من الرجال الرسل الذين فضلهم الله تعالى على سائر الرسل ومنهم نبينا وابراهيم عليهما الصلاة والسلام بلا شك للنصوص الواردة بذلك في فضلهما على غيرهما وكمل من النسآء من ذكر عليه الصلاة والسلام

الكلام في الرؤيا

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهب صالح تلميذ النظام الى ان الذي يري احدنا في الرؤيا حق كما هو وانه من رأي انه بالصين وهو بالاندلس فان الله عز وجل اخترعه في ذلك الوقت بالصين ﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا القول في غاية الفساد لان العيان والعقل يضطر ان الي كذب هذا القول وبطلانه اما العيان فلاننا نشاهد حينئذٍ هذا النائم عندنا وهو يري نفسه في ذلك الوقت بالصين واما من طريق العقل فهو معرفتنا بما يري الحالم من المحالات من كونه مقطوع الرأس حياً وما اشبه ذلك وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان رجلا قص عليه رؤيا فقال لا تخبر بتلعب الشيطان بك

﴿ قال ابو محمد ﴾ والقول الصحيح في الرؤيا هو انها انواع فمنها ما يكون من قبل الشيطان وهو ما كان من الاضغاث والتخاليط الذي لا ينضبط ومنها ما يكون من حديث النفس وهو ما يشتغل به المرء في اليقظة فيراه في النوم من خوف عدو أو لقاء حبيب او خلاص من خوف او نحو ذلك ومنها ما يكون من غلبة الطبع كرؤية من غلب عليه الدم للانوار والزهر والحمرة والسرور ورؤية من غلب عليه الصفراء للنيران ورؤية صاحب البلغم للثلوج والمياه وكرؤية من غلب عليه السوداء الكهوف والظلم والمخاوف ومنها ما يريه الله عز وجل نفس الحالم اذا صفت من اكدار الجسد وتخلصت من الافكار الفاسدة فيشرف الله تعالي به على كثير من المغيبات التي لم تأت بعد وعلى قدر تفاضل النفس

في النقاء والصفاء يكون تفاضل ما يراه في الصدق وقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه لم يبق بعده من النبوّة الا المبشرات وهي الرؤيا الصالحة يراها الرجل او ترى له وانها جزء من ستة وعشرين جزأ من النبوة الى جزء من ستة واربعين جزأ من النبوة الى جزء من سبعين جزأ من النبوة وهذا نص جلي على ماذكرنا من تفاضلها في الصدق والوضوح والصفاء من كل تخليط وقد تخرج هذه النسب والاقسام على انه عليه السلام انما أراد بذلك رؤيا الانبياء عليهم السلام فنهم من رؤياه جزء من ستة وعشرين جزأ من أجزاء نبوته وخصائصه وفضائله ومنهم من رؤياه جزء من ستة واربعين جزأ من نبوته وخصايصه وفضايله ومنهم من رؤياه جزء من سبعين جزأ من نبوته وخصائصه وفضائله وهذا هو الاظهر والله أعلم ويكون خارجا على مقتضى الفاظ الحديث بلا تأويل بتكلف وأما رؤيا غير الانبياء فقد تكذب وقد تصدق الا أنه لا يقطع على صحة شيء منه إلا بعد ظهور صحته حاشا رؤيا الانبياء فانها كلها وحي مقطوع على صحته كرؤيا ابراهيم عليه السلام ولو رأى ذلك غير نبي في الرؤيا فانفذه في اليقظة لكان فاسقاً عابثاً او مجنونا ذاهب التميز بلا شك وقد تصدق رؤيا الكافر ولا تكون حينئذ جزأ من النبوة ولا مبشرات ولكن انذارا له أو لغيره ووعظا وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام في أي الخلق افضل ﴾

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهب قوم الا ان الانبياء عليهم السلام افضل من الملائكة وذهبت طائفة تنتسب إلى الاسلام ان الصالحين غير النبيين افضل من الملائكة وذهب بعضهم الى ان الوليّ افضل من النبي وانه يكون في هذه الأمة من هو افضل من عيسى بن مريم ورأيت الباقلاني يقول جائز ان يكون في هذه الأمة من هو افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم من حين بعث الى أن مات ورأيت لأبي هاشم الجبائي انه لو طال عمر انسان من المسلمين في الاعمال الصالحة لامكن أن يوازي عمل النبي صلى الله عليه وسلم كذب لعنه الله

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولولا انه استحيا قليلا مما لم يستحي من نظيره الباقلاني لقال مايوجبه هذا القول من انه كان يزيد فضلا على رسول الله صلى الله عليه وسلم

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذه الاقوال كفر مجرد لا تردد فيه وحاشا لله تعالى من ان يكون احد ولو عمر عمر الدهر يلحق فضل صاحب فكيف فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم او نبي من الانبياء

عليهم السلام فكيف ان يكون افضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا مالا تقبله نفس مسلم كانهم ما سمعوا قول الله عز وجل * لا يستوي منكم من انفق من قبل الفتح وقاتل اولئك اعظم درجة من الذين انفقوا من بعد وقاتلوا * وقول النبي صلى الله عليه وسلم دعوا لى اصحابي فلو كان لاحدكم مثل أحد ذهبا فانفقه في سبيل الله ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه ﴿ قال ابو محمد ﴾ فكيف يلحق ابدا من ان تصدق هو بمثل جبل احد ذهبا وتصدق الصاحب بنصف مد من شعير كان نصف مد الشعير لا يلحقه في الفضل جبل الذهب فكيف برسول الله صلى الله عليه وسلم قال أهل الحق ان الملائكة أفضل من كل خلق خلقه الله تعالى ثم بعدهم الرسل من النبيين عليهم السلام ثم بعدهم الانبياء غير الرسل عليهم السلام ثم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم على مارتبنا قبل

﴿ قال ابو محمد ﴾ ومن صحب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الجن له من الفضل ما لسائر الصحابة بعموم قوله صلى الله عليه وسلم دعوا لى أصحابي وافضل الرسل محمد صلى الله عليه وسلم اما فضل الملائكة على الرسل من غير الملائكة فلبراهين منها قول الله عز وجل امرا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ان يقول * قل لا اقول لكم عندي خزائن الله ولا اعلم الغيب ولا اقول انى ملك ان اتبع الا ما يوحي الى * فلو كان الرسول أرفع من الملك او مثله ما امر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول لهم هذا القول الذى انما قاله منحطا عن الترفع بأن يظن انه عنده خزائن الله اوانه يعلم الغيب أو أنه ملك منزل لنفسه المقدسة في مرتبته التي هى دون هذه المراتب بلا شك إذ لا يمكن البتة أن يقول هذا عن مراتب هو ارفع منها وأيضا فان الله عز وجل ذكر محمداً الذي هو أفضل الرسل بعد الملائكة وذكر جبريل عليهما السلام وكان التباين من الله عز وجل بينهما تباينا بعيداً وهو انه عز وجل قال * انه لقول رسول كريم ذي قوة عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين * فهذه صفة جبريل عليه السلام ثم ذكر محمداً صلى الله عليه وسلم فقال * وما صاحبكم بمجنون * ثم زاد تعالى بيانا رافعاً للاشكال جملة فقال * ولقد رآه بالأفق المبين * فعظم الله تعالى من شأن أكرم الانبياء والرسل بأن رأى جبريل عليه السلام ثم قال * ولقد رآه نزلة أخرى عند سدرة المنتهي عندها جنة المأوى إذ يغشى السدرة ما يغشى ما زاغ البصر وما طغي لقد رأي من آيات ربه الكبرى * فامتن الله تعالى كما

ترى على محمد صلى الله عليه وسلم بان أراه جبريل مرتين وإنما يتفاضل الناس كما قدمنا بوجهين فقط أحدهما الاختصاص المجرد واعظم الاختصاص الرسالة والتعظيم فقد حصل ذلك للملائكة قال تعالى * جاعل الملائكة رسلا * فهم كلهم رسل الله ثم اختصهم تعالى بان ابتدأهم في الجنة وحوالي عرشه في المكان الذي وعد رسله ومن اتبعهم بان نهاية كرامتهم تصيرهم اليه وهو موضع خلق الملائكة ومحلهم بلا نهاية مذ خلقوا وذكرهم عز وجل في غير موضع من كتابه فاثنى على جميعهم ووصفهم بانهم لا يفترون ولا يسأمون ولا يعصون الله فنفي عنهم الزلل والفترة والسآمة والسهو وهذا امر لم ينفه عز وجل عن الرسل صلوات الله عليهم بل السهو جائز عليهم وبالضرورة نعلم من عصم من السهو افضل ممن لم يعصم منه وان من عصم من العمد كالانبياء عليهم السلام افضل ممن لم يعصم ممن سواهم فان اعترض معترض بقول الله عز وجل * الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس * قيل له ليس هذا معارضاً لقوله تعالي جاعل الملائكة رسلا فان كل آية فانما تحمل على مقتضاها وموجب لفظها ففي هذه الآية ان بعض الملائكة رسل وهذا حق لا شك فيه وليس اخباراً عن سائرهم بشيء لا بانهم رسل ولا بانهم ليسوا رسلا فلا يحل لاحد ان يزيد في الآية ما ليس فيها ثم في الآية الاخري زيادة على ما في هذه الآية واخبار بان جميع الملائكة رسل ففي تلك الآية بعض ما في هذه الآية وفي هذه الآية كل ما في تلك وزيادة ففرض قبول كل ذلك كما ان الله عز وجل اذ ذكر في كهيعص من ذكر من النبيين فقال * اولئك الذين انعم الله عليهم من النبيين * وقد قال تعالى * ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك * افترى الرسل الذين لم يقصصهم الله تعالى عليه جملة او في هذه السورة خاصة لم ينعم عليهم معاذ الله من هذا فما يقوله مسلم والوجه الثاني من اوجه الفضل هو تفاضل العاملين بتفاضل منازلهم في اعمال الطاعة والعصمة من المعاصي والدنيات وقد نص الله تعالى على ان الملائكة لا يفترون من الطاعة ولا يسأمون منها ولا يعصون البتة في شيء امروا به فقد صح ان الله عز وجل عصمهم من الطبائع الناقصة الداعية الى الفتور والكسل كالطعام والتغوط وشهوة الجماع والنوم فصح يقينا انهم افضل من الرسل الذين لم يعصموا من الفتور والكسل ودواعيها

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتج بعض المخالفين في هذا بان قال قال الله عز وجل * ان الله اصطفي آدم

ونوحا

ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين* قالوا فدخل في العالمين الملائكة وغيرهم

﴿قال ابو محمد﴾ وهذه الآية قد صح البرهان بانها ليست على عمومها لانه تعالى لم يذكر فيها محمداً صلى الله عليه وسلم ولا خلاف في انه افضل الناس قال الله تعالى* كنتم خير امة اخرجت للناس* فان قال ان آل ابراهيم هم آل محمد قيل له فنحن اذا افضل من جميع الانبياء حاشا آل عمران وآدم ونوحا فقط وهذا لا يقوله مسلم فصح يقينا ان هذه الآية ليست على عمومها فاذ لاشك في ذلك فقد صح ان الله عز وجل إنما اراد بها عالمي زمانهم من الناس لا من الرسل ولا من النبيين نعم ولا من عالمي غير زمانهم لاننا بلا شك افضل من آل عمران فبطل تعلقهم بهذه الآية جملة وبالله تعالى التوفيق وصح انها مثل قوله تعالى* يابني اسرائيل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم واني فضلتكم على العالمين* ولا شك في انهم لم يفضلوا على الرسل ولا على النبيين ولا على امتنا ولا على الصالحين من غيرهم فكيف على الملائكة ونحن لا ننكر ازالة النص عن ظاهره وعمومه ببرهان من نص آخر او اجماع متيقن او ضرورة حس وانما ننكر ونمنع من ازالة النص عن ظاهره وعمومه بالدعوى فهذا هو الباطل الذى لا يحل في دين ولا يصح في امكان العقل وبالله تعالى التوفيق

﴿قال ابو محمد﴾ وذكر بعضهم قول الله عز وجل* الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية*

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا مما لا حجة لهم فيه اصلا لان هذه الصفة تعم كل مؤمن صالح من الانس ومن الجن نعم وجميع الملائكة عموما مستويا فانما هذه الآية تفضيل الملائكة والصالحين من الانس والجن على سائر البرية وبالله تعالى التوفيق

﴿قال ابو محمد﴾ واحتجوا بامر الله عز وجل الملائكة بالسجود لآدم على جميعهم السلام

﴿قال ابو محمد﴾ وهذا أعظم حجة عليهم لان السجود المأمور به لا يخلو من ان يكون سجود عبادة وهذا كفر ممن قاله لايجيز ان يكون الله عز وجل يامر احدا من خلقه بعبادة غيره واما ان يكون سجود تحية وكرامة وهو كذلك بلا خلاف من احد من الناس فاذ هو كذلك فلا دليل أدل على فضل الملائكة على آدم من أن يكون الله تعالى بلغ الغاية في اعظامه وكرامته بان تحييه الملائكة لانهم لو كانوا دونه لم يكن له كرامة

ولا مزية في تحيتهم له وقد أخبر الله عز وجل عن يوسف عليه السلام فقال * ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً * وكانت رؤياه هي التي ذكر الله عز وجل عنه إذ يقول * اني رأيت أحدعشر كوكباوالشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين *

﴿ قال ابو محمد ﴾ وليس في سجود يعقوب عليه السلام ليوسف مايوجب ان يوسف افضل من يعقوب واحتجوا ايضاً بان الملائكة لم يعلموا أسماء الاشياء حتى انبأهم بها آدم على جميعهم السلام بتعليم الله عز وجل آدم إياها

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا لا حجة لهم فيه لأن الله عز وجل يعلم من هو انقص فضلاوعلما في الجملة أشياء لا يعلمها من هو افضل منه واعلم منه بما عدا تلك الاشياءفعلم الملائكة مالايعلمه آدم وعلم آدم اسماء الاشياء ثم أمره بان يعلمها الملائكة كما خص الخضر عليه السلام بعلم لم يعلمه موسى عليه السلام حتى اتبعه موسى عليه السلام ليتعلم منه وعلم أيضاًموسى عليه السلام علوما لم يعلمها الخضر وهكذا صح عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الخضر قال لموسى عليه السلام إني على علم من علم الله لا تعلمه أنت وأنت على علم من علم الله لا أعلمه أنا

﴿ قال ابو محمد ﴾ وليس في هذا أن الخضر أفضل من موسي عليه السلام

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد قال بعض الجهال إن الله تعالى جعل الملائكة خدام أهل الجنه ياتونهم بالتحف من عند ربهم عز وجل قال تعالى * تتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون * وقال تعالى * والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ أما خدمة الملائكة لاهل الجنة وإقبالهم اليهم بالتحف فشئ ما علمناه قط ولا سمعناه إلا من القصاص بالخرافات والتكاذيب وإنما الحق من ذلك ماذكره الله عزوجل في النص الذى اوردنا وهو ولله الحمد من اقوي الحجج في فضل الملائكة على من سواهم ويلزم هذا المحتج اذا كان إقبال الملائكة بالبشارات إلى أهل الجنة دليلا على فضل اهل الجنة عليهم أن يكون إقبال الرسل الينا مبشرين ومنذرين بالبشارات من عند الله عز وجل دليلا على أننا أفضل منهم وهذا كفر مجرد ولكن الحقيقة هي أن الفضل إذا كان للانبياء عليهم السلام على الناس بانهم رسل الله اليهم ووسائط بين ربهم تعالى وبينهم فالفضل واجب للملائكة

على

على الانبياء والرسل لكونهم رسل الله تعالى اليهم ووسائط بينهم وبين ربهم تعالى واما تفضل الله تعالى على اهل الجنة بالاكل والشرب والجماع واللباس والآلات والقصور فانما فضلهم الله عز وجل من ذلك بما يوافق طباعهم وقد نزه الله سبحانه الملائكة عن هذه الطبائع المستدعية لهذه اللذات بل ابانهم وفضلهم بل جعل طبائعهم لاتلتذ بشيء من ذلك الا بذكر الله عز وجل وعبادته وطاعته في تنفيذ اوامره تعالى فلا منزلة أعلى من هذه وعجل لهم سكنى المحل الرفيع الذي جعل تعالى غاية اكرامنا الوصول اليه بعدلقاء الامرين في التعب في عمارة هذه الدنيا النكدة وفي كلف الاعمال ففي ذلك المكان خاق الله عز وجل الملائكة منذ ابتدأهم وفيه خلدهم وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقال بعض السخفاء ان الملائكة بمنزلة الهواء والرياح

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا كذب وقحة وجنون لان الملائكة بنص القرآن والسنن واجماع جميع من يقر بالملائكة من اهل الاديان المختلفة عقلا متعبدون منهيون مأمورون وليس كذلك الهواء والرياح لكنها لا تعقل ولا هي متكلفة متعبدة بل هي مسخرة مصرفة لا اختيار لها قال تعالى *والسحاب المسخر بين السماء والارض* وقال تعالى *سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام* وذكر تعالى الملائكة فقال *بل عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون* وقال تعالى *ويستغفرون لمن في الارض* وقال تعالى *وقال الذين لا يرجون لقاءنا لولا انزل علينا الملائكة او نرى ربنا لقد استكبروا في انفسهم وعتوا عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لا بشري يومئذ للمجرمين* فقرن تعالى نزول الملائكة برؤيته تعالى وقرن تعالى اتيانه باتيان الملائكة فقال عز وجل *هل ينظرون الا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة* واعلم ان اعراب الملائكة هاهنا بالرفع عطفاً على الله عز وجل لا على الغمام ونص تعالى على ان آدم عليه الصلاة والسلام انما اكل من الشجرة ليكون ملكا او ليخلد كما قص تعالى علينا اذ يقول عز وجل *مانها كما ربكما عن هذه الشجرة الا ان تكونا ملكين او تكونا من الخالدين*

﴿ قال ابو محمد ﴾ فبيقين ندري ان آدم عليه السلام لولا يقينه بان الملائكة افضل منه وطمعه بان يصير ملكا لما قبل من ابليس ماغره به من اكل الشجرة التي نهاه الله عز وجل عنها ولو علم آدم ان الملك مثله او دونه لما حمل نفسه على مخالفة امر الله تعالى لينحط عن

منزلته الرفيعة الى الدون هذا مالا يظنه ذو عقل اصلا

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقال الله عز وجل *لن يستنكف المسيح ان يكون عبداً لله ولا الملائكة المقربون* فقوله عز وجل بعد ذكر المسيح ولا الملائكة المقربون بلوغ الغاية في علو درجتهم على المسيح عليه السلام لان بنية الكلام ورتبته انما هي اذا أراد القائل نفي صفة ما عن متواضع عنها أن يبدأ بالادني ثم بالاعلى واذا اراد نفي صفة ما عن مترفع عنها ان يبدأ بالاعلى ثم بالادني فتقول في القسم الاول ما يطمع في الجلوس بين يدي الخليفة خازنه ولا وزيره ولا اخوه ونقول في القسم الثاني ما ينحط الى الا كل في السوق والٍ ولا ذو مرتبة ولا متصاون من التجار او الصناع لايجوز البتة غير هذا وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وايضا فان رسول الله صلى الله عليه وسلم اخبر بان الله سبحانه وتعالى خلق الملائكة من نور وخلق الانسان من طين وخلق الجن من نار

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا يجهل فضل النور على الطين وعلى النار احد الا من لم يجعل الله له نوراً ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور وقد صح ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا ربه في ان يجعل في قلبه نوراً فالملائكة من جوهر دعا افضل البشر ربه في ان يجعل في قلبه منه وبالله تعالى التوفيق وفي هذا كفاية لمن عقل

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقال عز وجل *ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر* الي قوله *وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا* فانما فضل الله تعالى بنص كلامه عز وجل بني آدم على كثير ممن خلق لا على كل من خلق وبلا شك ان بني آدم يفضلون على الجن وعلى جميع الحيوان الصامت وعلى ماليس حيواناً فلم يبق خلق يستثني من تفضيل الله تعالى بني آدم عليه الا الملائكة فقط

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما فضل رسول الله صلى الله عليه وسلم على كل رسول قبله فالثابت عنه عليه السلام انه قال فضلت على الانبياء بست وروي بخمس وروي باربع وروي بثلاث رواه جابر بن عبد الله وانس بن مالك وحذيفة بن اليمان وابو هريرة وبقوله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر وانه عليه السلام بعث الى الاحمر والاسود وانه عليه السلام اكثر الانبياء اتباعا وانه ذو الشفاعة التي يحتاج اليه يوم القيامة فيها النبيون فمن دونهم اماتنا

الله على ملته ولا خالف بناعنه وهو ايضاً عليه السلام خليل الله وكليمه

الكلام في الفقر والغنى

﴿ قال أبو محمد ﴾ اختلف قوم في اي الامرين افضل الفقر ام الغنى

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا سؤال فاسد لان تفاضل العمل والجزاء في الجنة انما هو للعامل لا لحالة محمولة فيه الا ان يأتي نص بتفضيل الله عز وجل حالا على حال وليس هاهنا نص في فضل احدي هاتين الحالتين على الاخري

﴿ قال ابو محمد ﴾ وانما الصواب ان يقال ايما افضل الغني ام الفقير والجواب هاهنا هو ما قاله الله تعالى اذ يقول *هل تجزون الا ما كنتم تعملون* فان كان الغني افضل عملا من الفقير فالغنى افضل وان كان الفقير افضل عملا من الغني فالفقير افضل وان كان عملهما متساوياً فهما سواء قال عز وجل * ومن يعمل مثقال ذرّة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرّة شراً يره * وقد استعاذ النبي صلى الله عليه من فتنة الفقر وفتنة الغنى وجعل الله عز وجل الشكر بازاء الغني والصبر بازاء الفقر فمن اتقي الله عز وجل فهو الفاضل غنيا كان او فقيراً وقد اعترض بعضهم هاهنا بالحديث الوارد ان فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل اغنيائهم بكذا وكذا خريفا ونزع الآخرون بقول الله عز وجل *ووجدك ضالا فهدي ووجدك عائلا فاغنى*

﴿ قال ابو محمد ﴾ والغنى نعمة اذا قام بها حاملها بالواجب عليه فيها واما فقراء المهاجرين فهم كانوا اكثر وكان الغني فيهم قليلا والامر كله منهم وفي غيرهم راجع الى العمل بالنص والاجماع على انه تعالى لا يجزي بالجنة على فقر ليس معه عمل خير ولا على غنى ليس معه عمل خير وبالله التوفيق

الكلام في الاسم والمسمي

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهب قوم الى ان الاسم هو المسمي وقال آخرون الاسم غير المسمي واحتج من قال ان الاسم هو المسمي بقول الله تعالى * تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام * ويقرأ أيضاً ذو الجلال والاكرام قال ولا يجوز ان يقال تبارك غير الله فلو كان الاسم غير المسمي ما جاز أن يقال تبارك اسم ربك وبقوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * فقالوا ومن الممتنع ان يأمر الله عز وجل بان يسبح غيره وبقوله عز وجل *ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم* وقالوا الاسم مشتق من السموّ وانكروا على من قال انه مشتق من الوسم وهو

العلامة وذكروا قول لبيد

الى الحول ثم اسم السلام عليكما * ومن يبك حولا كاملا فقد اعتذر

وقالوا قال سيبويه الافعال امثلة احدث من لفظ احداث الاسماء قالوا وانما اراد المسمين هذا كل ما احتجوا به قد تقصيناه لهم ولا حجة لهم في شئ منه اما قول الله عزوجل تبارك اسم ربك ذي الجلال والاكرام وذو الجلال لحق ومعنى تبارك تفاعل من البركة والبركة واجبة لاسم الله عز وجل الذي هو كلمة مؤلفة من حروف الهجاء ونحن نتبرك بالذكر له وبتعظيمه ونجله ونكرمه فله التبارك وله الاجلال منا ومن الله تعالى وله الاكرام من الله تعالى ومنا حيثما كان من قرطاس او فى شئ منقوش فيه او مذكور بالالسنة ومن لم يجل اسم الله عز وجل كذلك ولا اكرمه فهو كافر بلاشك فالآية على ظاهرها دون تاويل فبطل تعلقهم بها جملة ولله تعالى الحمد وكل شيء نص الله تعالى عليه انه تبارك فذلك حق ولو نص تعالى بذلك على اي شيء كان من خلقه كان ذلك واجبا لذلك الشيء واما قوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * فهو على ظاهره دون تأويل لان التسبيح في اللغة التي بها نزل القرآن وبها خاطبنا الله عز وجل هو تنزيه الشيء عن السوء وبلا شك ان الله تعالى امرنا ان ننزه اسمه الذي هو كلمة مجموعة من حروف الهجاء عن كل سوء حيث كان من كتاب او منطوقا به ووجه آخر وهو ان معني قوله تعالى * سبح اسم ربك الاعلى * ومعني قوله تعالى * ان هذا لهو حق اليقين فسبح باسم ربك العظيم * معني واحد وهو ان يسبح الله تعالى باسمه ولا سبيل الي تسبيحه تعالي ولا الي دعائه ولا الي ذكره الا بتوسط اسمه فكلا الوجهين صحيح حق وتسابيح الله تعالي وتسبيح اسمه كل ذلك واجب بالنص ولا فرق بين قوله تعالي * فسبح باسم ربك العظيم * وبين قوله * فسبح بحمد ربك حين تقوم ومن الليل فسبحه وادبار النجوم * والحمد بلا شك هو غير الله وهو تعالي نسبح بحمده كما نسبح باسمه ولا فرق فبطل تعلقهم بهذه الآية والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ اما قوله تعالي * ما تعبدون من دونه الا اسماء سميتموها انتم وآباؤكم * فقول الله عز وجل حق على ظاهره ولهذه الآية وجهان كلاهما صحيح احدهما ان معني قوله عز وجل * ما تعبدون من دونه الا اسماء اي الا اصحاب اسماء برهان هذا قوله تعالي اثر ذلك

متصلا بها سميتموها انتم وآباؤكم فصح يقينا انه تعالي لم يعن بالاسماء هاهنا ذوات المعبودين لان العابدين لها لم يحدثوا قط ذوات المعبودين بل الله تعالى توحد باحداثها هذا مالا شك فيه والوجه الثاني ان اؤلئك الكفار انما كانوا يعبدون اوثانا من حجارة او بعض المعادن او من خشب وبيقين ندري انهم قبل ان يسموا تلك الجمل من الحجارة ومن المعادن ومن الخشب باسم اللات والعزي ومناة وهبل وود وسواع ويغوث ويعوق ونسراً وبعل قد كانت ذواتها بلا شك موجودات قائمة وهم لا يعبدونها ولا تستحق عندهم عبادة فلما اوقعوا عليها هذه الاسماء عبدوها حينئذ فصح يقيناً انهم لم يقصدوا بالعبادة الا الاسماء كما قال الله تعالى لا الذوات المسميات فمادت الآية حجة عليهم وبرهانا على ان الاسم غير المسمي بلا شك وبالله تعالي التوفيق واما قولهم ان الاسم مشتق من السمو وقول بعض من خالفهم انه مشتق من الوسم فقولان فاسدان كلاهما باطل افتعله اهل النحو لم يصح قط عن العرب شيئاً منهما وما اشتق لفظ الاسم قط من شيء بل هو اسم موضوع مثل حجر وجبل وخشبة وسائر الاسماء لا اشتقاق لها واول ما تبطل به دعواهم هذه الفاسدة ان يقال لهم قال الله عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * فصح ان من لا برهان له على صحة دعواه فليس صادقا في قوله فهاتوا برهانكم على ان الاسم مشتق من السموّ او من الوسم والا فهى كذبة كذبتموها على العرب وافتريتموها عليهم او على الله تعالى الواضع للغات كلها وقول عليه تعالى او على العرب بغير علم والا فمن اين لكم ان العرب اجتمعوا فقالوا نشتق لفظة اسم من السموّ او من الوسم والكذب لا يستحله مسلم ولا يستسهله فاضل ولا سبيل لهم الى برهان اصلا بذلك وأيضا فلو كان الاسم مشتقا من السموّ كما تزعمون فتسمية العذرة والكلب والجيفة والقذر والشرك والخنزير والخساسة رفعة لها وسموّ لهذه المسميات وتبا لكل قول ادي الى هذا الهوس البارد وايضا فهبك انه قد سلم لهم قولهم ان الاسم مشتق من السموّ اي حجة في ذلك على ان الاسم هو المسمي بل هو حجة عليهم لان ذات المسمي ليست مشتقة اصلا ولا يجوز عليها الاشتقاق من السموّ ولا من غيره فصح بلا شك ان ما كان مشتقا فهو غير ما ليس مشتقا والاسم باقرارهم مشتق والذات المسماة غير مشتقة فالاسم غير الذات المسماة وهذا يابيح لكل من نصح نفسه ان المحتج بمثل هذا السفه عيار مستهزئ

بالناس متلاعب بكلامه ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا قول يؤدي من اتبعه وطرده الى الكفر المجرد لانهم قطعوا ان الاسم مشتق من السمو وقطعوا ان الاسم هو الله نفسه فعلي قولهم المهلك الخبيث ان الله يشتق وان ذاته نفسها مشتقة وهذا مالا ندري كافراً بلغه والحمد لله على ما من به من الهدي وايضا فان الله تعالي يقول *وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين* الى قوله تعالي *قال يا آدم انبئهم باسمائهم*

﴿ قال ابو محمد ﴾ فلا يخلو ان يكون الله عز وجل علم آدم الاسماء كلها كما قال عز وجل اما بالعربية واما بلغة اخرى او بكل لغة فان كان عز وجل علمه الاسماء بالعربية فان لفظة اسم من جملة ما علمه لقوله تعالي الاسماء كلها ولأمره تعالي آدم بان يقول للملائكة انبئوني باسماء هؤلاء فلا يجوز ان يخص من هذا العموم شيء اصلا بل هو لفظ موقف عليه كسائر الاسماء ولا فرق وهو من جملة ما علمه الله تعالي آدم عليه السلام الا ان يدعوا ان الله تعالي اشتقه فالقوم كثيراً مايستسهلون الكذب على الله تعالى والاخبار عنه بمالا علم لهم به فصح يقينا ان لفظة الاسم لااشتقاق لها وانما هي اسم مبتدأ كسائر الاسماء والانواع والاجناس وان كان الله تعالي علم آدم الاسماء كلها بغير العربية فان اللغة العربية موضوعة للترجمة عن تلك اللغة بدل كل اسم من تلك اللغة اسم من العربية موضوع للعبارة عن تلك الالفاظ واذا كان هذا فلا مدخل للاشتقاق في شيء من الاسماء اصلا لا لفظة اسم ولا غيرها وان كان تعالي علمه الاسماء بالعربية وبغيرها من اللغات العربية فلفظة اسم من جملة ما علمه وبطل ان يكون مشتقا اصلا والحمد لله رب العالمين فبطل قولهم في اشتقاق الاسم وعاد حجة عليهم وبالله تعالي التوفيق واما بيت لبيد فانه يخرج على وجهين احدهما ان السلام اسم من اسماء الله تعالي قال تعالي * الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن * ولبيد رحمه الله مسلم صحيح الصحبة للنبي صلى الله عليه وسلم ومعناه ثم اسم الله عليكما حافظ لكما والوجه الثاني انه اراد بالسلام التحية ولبيد لايقدر هو ولا غيره على ايقاع التحية عليهما وانما يقدر لبيد وغيره على ايقاع اسم التحية والدعاء بها فقط فاي الامرين كان فاسم السلام في بيت لبيد هو غير معني السلام فالاسم في ذلك البيت غير المسمي ولا بد ثم لوصح مايدعونه علي لبيد ولو صح

لكان

لكان قول عائشة رحمها الله ورضي الله عنها انما اهجر اسمك بيانا ان الاسم غير المسمى وان اسمه عليه السلام غيره لانها اخبرت انها لا تهجره وانما تهجر اسمه رضوان الله عليها وهي ليست في الفصاحة دون لبيد وهي اولي بان تكون حجة من لبيد فكيف وقول لبيد حجة عليهم لا لهم والحمد لله رب العالمين وقد قال رؤبة باسم الذي في كل سورة سمر ورؤبة ليس دون لبيد في الفصاحة وذات الباري تعالى ليست في كل سورة وانما في السورة اسم الله تعالى فلا شك ان الذي في السورة غير الذي ليس فيها وقال ابو ساسان حصين بن المنذر ابن الحارث بن وعلة الرقاشي لابنه غياظ

وسميت غياظا ولست بغايظ * عدواً ولكن الصديق تغيظ

فصرح بان الاسم غير المسمي تصريحا لا يحتمل التأويل بخلاف ما ادعوه على لبيد واما قول سيبويه ان الافعال امثلة احداث من لفظ احداث الاسماء فلا حجة لهم فيه فبيقين ندري انه اراد احداث اصحاب الاسماء برهان ذلك قوله في غير ما موضع من كتابه امثلة الاسماء من الثلاثي والرباعي والخماسي والسداسي والسباعي وقطعه بان السداسي والسباعي من الاسماء مزيدان ولا بد وان الثلاثي من الاسماء اصلي ولا بد وان الرباعي والخماسي من الاسماء يكونان اصليين كجعفر وسفرجل ويكونان مزيدين وان الثنائي من الاسماء منقوص مثل يد ودم ولو تتبعنا قطعه على ان الاسماء هي الابنية المسموعة الموضوعة ليعرف بها المسميات لبلغ ازيد من ثلثمائة موضع أفلا يستحي من يدرى هذا من كلام سيبويه اطلاقا لعلمه بان مراده لا يخفي على احد قرأ من كتابه ورقتين ونعوذ بالله من قلة الحياء واول سطر في كتاب سيبويه بعد البسملة هذا باب علم ما الكلم من العربية فالكلم اسم وفعل وحرف جاء لمعني ليس باسم ولا فعل فالاسم رجل وفرس فهذا بيان جلي من سيبويه ومن كل من تكلم في النحو قبله وبعده على ان الاسماء هي بعض الكلام وان الاسم هو كلمة من الكلم ولا خلاف بين احد له حس سليم في ان المسمي ليس كلمة ثم قال بعد اسطر يسيرة والرفع والجر والنصب والجزم بحروف الاعراب وحروف الاعراب الاسماء المتمكنة والافعال المضارعة لاسماء الفاعلين وهذا منه بيان لا اشكال فيه ان الاسماء غير الفاعلين وهي التي تضارعها الافعال التي في اوائلها الزوائد الاربع وما

قال قط من يرمي بالحجارة ان الافعال تضارع المسمين ثم قال والنصب في الاسماء رأيت زيدا والجر مررت بزيدوالرفع هذا زيد وليس في الاسماء جزم لتمكنهاوالحاق التنوين وهذا كله بيان ان الاسماء هي الكلمات المؤلفة من الحروف المقطعة لا المسمون بهاولو تتبع هذافي ابواب الجمع وابواب التصغير والنداء والترخيم وغيرها لكثر جداً وكاد يفوت التحصيل

﴿ قال ابو محمد ﴾ فسقط كل ما شغب به القائلون بان الاسم هو المسمي وكل قول سقط احتجاج اهله وعري عن برهان فهو باطل ثم نظرنا فيما احتج به القائلون ان الاسم غير المسمى فوجدناهم يحتجون بقول الله تعالي *ولله الاسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في اسمائه* قالوا والله عز وجل واحد والاسماء كثيرة وقد تعالى الله عن ان يكون اثنين او اكثر وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما مائة غير واحد من احصاها دخل الجنة قالوا ومن قال ان خالقه او معبوده تسعة وتسعون فهو شر من النصاري الذين لم يجعلوه الا ثلاثة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا برهان ضروري لازم ورأيت لمحمد بن الطيب الباقلاني ولمحمد بن الحسن بن فورك الاصبهاني انه ليس لله تعالى الا اسم واحد فقط

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا معارضة وتكذيب لله عز وجل وللقرآن ولرسول الله صلي الله عليه وسلم ولجميع العالمين ثم عطفا فقالا معني قول الله عز وجل ولله الاسماء الحسني وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله تسعة وتسعين اسما انماهو التسمية لا الاسماء

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكان هذا التقسيم ادخل في الضلال من ذلك الاجمال ويقال لهم فعلي قولكم هذا اراد الله تعالي ان يقول لله التسميات الحسني فقال الاسماء الحسني واراد رسوله صلى الله عليه وسلم ان يقول ان لله تسعة وتسعين تسمية فقال تسعة وتسعين اسما أعن غلط وخطأ قال الله تعالي ذلك ورسوله صلي الله عليه وسلم أم عن عمد ليضل بذلك اهل الاسلام ام عن جهل باللغه التي تنبهتما لها انتما ولا بد من احد هذه الوجوه ضرورة لا محيد عنها وكلها كفر مجرد ولا بد لهم من احدها او ترك ما قالوه من الكذب على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم هذا ودعواهم في ذلك ظاهر الكذب بلا دليل ولا يرضي بهذا لنفسه عاقل

الاسم على المسمي فهي شيء ثالث غير الاسم وغير المسمي فذات الخالق تعالى هي الله المسمي والتسمية هي تحريكنا عضل الصدر واللسان عند نطقنا بهذه الحروف وهي غير الحروف لان الحروف هي الهواء المندفع بالتحريك فهو المحرك بفتح الراء والانسان هو المحرك بكسر الراء والحركة هي فعل المحرك في دفع المحرك وهذا أمر معلوم بالحس مشاهد بالضرورة متفق عليه في جميع اللغات واحتجوا أيضاً بقول الله تعالى* ان الله يبشرك بغلام اسمه يحيي لم نجعل له من قبل سميا* وهذا نص لا يحتمل تأويلا في ان الاسم هو الياء والحاء والياء والالف ولو كان الاسم هو المسمي لما عقل احد معنى قوله تعالى لم نجعل له من قبل سميا ولا فهم ولكان فارغا حاشا لله من هذا ولا خلاف في ان معناه لم يعلق هذا الاسم على احد قبله وذكروا ايضا قول الله عز وجل عن نفسه هل تعلم له سميا وهذا نص جلي على ان اسماء الله تعالى التي اختص بها لا تقع على غيره ولو كان مايدعونه لما عقل هذا اللفظ احد ايضاً حاشا لله من هذا واحتجوا ايضا بقول الله تعالى مبشراً برسول يأتي من بعدي اسمه احمد وهذا نص على ان الاسم هو الالف والحاء والميم والدال اذا اجتمعت واحتجوا ايضا بقول الله عز وجل وعلم آدم الاسماء كلها ثم عرضهم على الملائكة فقال انبئوني باسماء هؤلاء ان كنتم صادقين الى قوله قال يا آدم انبئهم باسمائهم فلما انبأهم باسمائهم قال ألم أقل لكم الآية وهذا نص جلي على ان الاسماء كلها غير المسميات لان المسميات كانت اعيانا قائمة وذوات ثابتة تراها الملائكة وانما جهلت الاسماء فقط التي علمها الله آدم وعلمها آدم الملائكة وذكروا قول الله تعالى قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن اياما تدعوا فله الاسماء الحسنى وهذا مالا حيلة لهم فيه لان لفظة الله هي غير لفظة الرحمن بلا شك وهي بنص القرآن اسماء الله تعالى والمسمي واحد لا يتغاير بلا شك وذكروا قول الله عز وجل* ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه* وهذا بيان ايضا جلي مجمع عليه من اهل الاسلام ان الذي عنده التذكية فهو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة مثل الله والرحمن والرحيم وسائر اسمائه عز وجل واحتجوا من الاجماع بان جميع اهل الاسلام لا نحاشي منهم احدا قد اجمعوا على القول بان من حلف باسم من أسماء الله عز وجل فحنث فعليه الكفارة ولا خلاف في ان ذلك لازم فيمن قال والله او والرحمن او والصمد او أي اسم من اسماء الله

عز وجل حلف بها فما أسخف عقولا يدخل فيها تخطئة ما جاءبه الله عز وجل في القرآن وما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم وما اجمع عليه اهل الاسلام وما اصفق عليه اهل الارض قاطبة من ان الاسم هو الكلمة المجموعة من الحروف المقطعة وتصويب الباقلاني وابن فورك في ان ذلك ليس هو الاسم وانما هو التسمية والحمد لله الذى لم يجعلنا من اهل هذه الصنعة المرذولة ولا من هذه العصابة المخذولة واحتجوا ايضا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أرسلت كلبك فذكرت اسم الله فكل فصح ان اللفظ المذكور هواسم الله تعالى وقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان له اسماء وهي احمد ومحمد والعاقب والحاشر والماحي فيالله ويالالمسلمين ايجوز ان يظن ذو مسكة عقل ان رسول الله صلى الله عليه وسلم خمس ذوات تبارك الذي يخلق مالا نعلم وذكروا قول رسول الله صلي الله عليه وسلم تسموا باسمى ولا تكنوا بكنيتي فصح ان الاسم هو الميم والحاء والميم والدال بيقين لاشك فيه واحتجوا بقول عائشة رضى الله عنها بحضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد قال لها عليه السلام اذا كنت راضية عني قلت لا ورب محمد واذا كنت ساخطة قلت لا ورب ابراهيم قالت اجل والله يارسول الله ما اهجر الا اسمك فلم ينكر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها ذلك القول فصح ان اسمه غيره بلا شك لانها لم تهجر ذاته وانما هجرت اسمه واحتجوا ايضا بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم احب الاسماء الى الله عز وجل عبد الله وعبد الرحمن واصدق الاسماء همام والحارث وروى اكذبهما خالد ومالك وهذا كله يبين ان الاسم غير المسمى فقد يسمى عبد الله وعبد الرحمن من يبغضه الله عز وجل وقد يسمى من يكون كذابا الحارث وهماما ويسمى الصادق خالدا ومالكا فهم بخلاف اسمائهم واحتجوا ايضا بان قالوا قد اجتمعت الامم كلها على انه اذا سئل المرء ما اسمك قال فلان واذاقيل له كيف سميت ابنك وعبدك قال سميته فلانا فصح ان تسميته هي اختياره وايقاعه ذلك الاسم على المسمى وان الاسم غير المسمى واحتجوا من طريق النظر بان قالوا انتم تقولون ان اسم الله تعالى هو الله نفسه ثم لا يبالون بان يقولوا اسماء الله تعالى مشتقة من صفاته فعليم مشتق من علم وقدير مشتق من قدرة وحي من حياة فاذا اسم الله هو الله واسم الله مشتق فالله تعالى على قولكم مشتق وهذا كفر بارد وكلام سخيف ولا مخلص

لهم منه فصحت البراهين المذكورة من القرآن والسنن والاجماع والعقل واللغة والنحو على ان الاسم غير المسمى بلا شك ولقد أحسن احمد بن جدار ما شاء أن يحسن إذ يقول

هيهات يا أخت آل يعا * غلطت في الاسم والمسمى
لو كان هذا وقيل سم * مات إذاً من يقول سما

﴿ قال ابو محمد ﴾ وأخبرني ابو عبد الله السائح القطان أنه شاهد بعضهم قد كتب الله في سحاة وجعل يصلي اليها قال فقلت له ما هذا قال معبودي قال فنفخت فيها فطارت فقلت له قد طار معبودك قال فضربني

﴿ قال ابو محمد ﴾ وموهوا فقالوا فاسماء الله عز وجل اذاً مخلوقة إذ هي كثيرة وإذ هي غير الله تعالى قلنا لهم وبالله تعالي التوفيق ان كنتم تعنون الاصوات التي هي حروف الهجاء والمداد المخطوط به في القراطيس فما يختلف مسلمان في ان كل ذلك مخلوق وإن كنتم تريدون الايهام والتمويه باطلاق الخلق على الله تعالى فمن اطلق ذلك فهو كافر بل ان أشار مشير الى كتاب مكتوب فيه الله أو بعض أسماء الله تعالى او الى كلامه إذ قال يا الله أو قال بعض اسمائه عز وجل فقال هذا مخلوق أو هذا ليس ربكم أو تكفرون بهذا لما حل لمسلم الا أن يقول حاشا لله من أن يكون مخلوقا بل هو ربي وخالقي أؤمن به ولا أكفر به ولو قال غير هذا لكان كافرا حلال الدم لانه لا يمكن أن يسأل عن ذات الباري تعالى ولا عن الذي هو ربنا عز وجل وخالقنا والذي هو المسمى بهذه الاسماء ولا الى الذي يخبر عنه ولا الى الذي يذكر إلا بذكر اسمه ولا بد فلما كان الجواب في هذه المسألة يموه أهل الجهل بايصال ما لا يجوز الى ذات الله تعالي لم يجز أن يطلق الجواب في ذلك البتة إلا بتقسيم كما ذكرنا وكذلك لو كتب انسان محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم أو نطق بذلك ثم قال لنا هذا رسول الله صلي الله عليه وسلم أم ليس رسول الله وتؤمنون بهذا أو تكفرون به لكان من قال ليس رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا أكفر به كافراً حلال الدم باجماع اهل الاسلام ولكن نقول بل هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نؤمن به ولا يختلف اثنان في الصوت المسموع والخط المكتوب ليس هو الله ولا رسول الله وبالله تعالى التوفيق فان قالوا ان احمد بن حنبل وأبا زرعة عبيد الله بن عبد الكريم وأبا حاتم محمد بن ادريس الحنظلي الراويين رحمهم الله تعالى يقولون ان الاسم هو المسمى قلنا

لهم هؤلاء رضي الله عنهم وإن كانو من أهل السنة ومن أئمتنا فليسوا معصومين من الخطأ ولا أمرنا الله عز وجل بتقليدهم واتباعهم في كل ما قالوه وهؤلاء رحمهم الله أراهم اختيار هذا القول قولهم الصحيح ان القرآن هو المسموع من القرآن المخطوط في المصاحف نفسه وهذا قول صحيح ولا يوجب أن يكون الاسم هو المسمى على ما قد بينا فى هذا الباب وفى باب الكلام فى القرآن والحمد لله رب العالمين وإنما العجب كله ممن قلب الحق وفارق هؤلاء المذكورين حيث اصابوا وحيث لا يحل خلافهم وتعلق بهم حيث وهموا من هؤلاء المنتمين إلى الاشعري القائلين بأن القرآن لم ينزل قط الينا ولا سمعناه قط ولا نزل به جبريل على قلب رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي فى المصاحف هو شيء آخر غير القرآن ثم أتبعوا هذه الكفرة الصلعاء بان قالوا إن اسم الله هو الله وانه ليس لله الا اسم واحد وكذبوا الله تعالى ورسوله في ان لله أسماء كثيرة تسعة وتسعين ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولو أن إنسانا يشير إلى كتاب مكتوب فيه الله فقال هذا ليس ربي وأنا كافر بهذا لكان كافرا ولو قال هذا المداد ليس ربى وأنا كافر بربوبية هذا الصوت لكان صادقا وهذا لا ينكر وانما نقف حيث وقفنا ولو أن انسانا قال محمد رسول الله رحمه الله لم يبعد من الاستخفاف فلو قال اللهم ارحم محمدا وآل محمد لكان محسنا ولو أن انسانا يذكر من أبويه العضو المستور باسمه لكان عاقا أتي كبيرة وان كان صادقا وبالله تعالى التوفيق

الكلام في قضايا النجوم والكلام في هل يعقل الفلك والنجوم ام لا

﴿ قال ابو محمد ﴾ زعم قوم ان الفلك والنجوم تعقل وانها ترى وتسمع ولا تذوق ولا تشم وهذه دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل مردود عند كل طائفة باول العقل اذ ليست اصح من دعوى اخرى تضادها وتعارضها وبرهان صحة الحكم بان الفلك والنجوم لا تعقل اصلا هو ان حركتها ابدا على رتبة واحدة لا تتبدل عنها وهذه صفة الجماد المدبر الذي لا اختيار له فقالوا الدليل على هذا ان الافضل لا يختار الا الافضل العمل فقلنا لهم ومن اين لكم بان الحركة افضل من السكون الاختياري لانا وجدنا الحركة حركتين اختيارية واضطرارية ووجدنا السكون سكونين اختياريا واضطراريا فلا دليل على ان الحركة الاختيارية افضل من السكون الاختياري ثم من لكم بان الحركة الدورية افضل من سائر الحركات يمينا

او يساراً او امام او وراء ثم من لكم بان الحركة من شرق الى غرب كما يتحرك الفلك الاكبر أفضل من الحركة من غرب الي شرق كما تتحرك سائر الافلاك وجميع الكواكب فلاح ان قولهم مخرقة فاسدة ودعوى كاذبة مموهة وقال بعضهم لما كنا نحن نعقل وكانت الكواكب تدبرنا كانت اولي بالعقل والحياة منا فقلنا هاتان دعوتان مجموعتان في نسق احدهما القول بانها تدبرنا فهي دعوي كاذبة بلا برهان على ما نذكره بعد هذا ان شاء الله تعالي والثاني الحكم بان من تدبرنا احق بالعقل والحياة منا فقد وجدنا التدبير يكون طبيعيا ويكون اختياريا فلو صح انها يدبرنا لكان تدبيرا طبيعيا كتدبير الغذاء لنا وكتدبير الهواء والماء لنا وكل ذلك ليس حياً ولا عاقلا بالمشاهدة وقد أبطلنا الآن ان يكون تدبير الكواكب لنا اختياريا بما ذكرنا من جريها على حركة واحدة ورتبة واحدة لا تنتقل عنها اصلا واما القول بقضايا النجوم فانا نقول في ذلك قولا لائحاً ظاهراً ان شاء الله تعالي

﴿قال ابو محمد﴾ اما معرفة قطعها في افلاكها وآناء ذلك ومطالعها وابعادها وارتفاعاتها واختلاف مراكز افلاكها فعلم حسن صحيح رفيع يشرف به الناظر فيه على عظيم قدرة الله عز وجل وعلى يقين تأثيره وصنعته واختراعه تعالي للعالم بما فيه وفيه الذي يضطر كل ذلك الي الاقرار بالخالق ولا يستغني عن ذلك في معرفة القبلة وأوقات الصلاة وينتج من هذا معرفة رؤية الاهلة لفرض الصوم والفطر ومعرفة الكسوفين برهان ذلك قول الله تعالي ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق وقال تعالي والقمر قدرناه منازل حتى عاد كالعرجون القديم لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل فى فلك يسبحون وقال تعالى والسماء ذات البروج وقال تعالي لتعلموا عدد السنين والحساب وهذا هو نفس ما قلنا وبالله تعالى التوفيق

واما القضاء بها فالقطع به خطأ لما نذكره ان شاء الله تعالى واهل القضاء ينقسمون قسمين احدهما القائلون بانها والفلك عاقلة مميزة فاعلة مدبرة دون الله تعالي او معه وانها لم تزل * فهذه الطائفة كفار مشركون حلال دماؤهم واموالهم باجماع الامة وهؤلاء عني رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ يقول ان الله تعالى قال اصبح من عبادي كافر بي مؤمن بالكواكب وفسره رسول الله صلي الله عليه وسلم انه القائل مطرنا بنوء كذا وكذا واما من قال بانها

مخلوقة وانها غير عاقلة لكن الله عز وجل خلقها وجعلها دلائل على الكوائن فهذا ليس كافراً ولا مبتدعاوهذا هو الذي قلنا فيه انه خطأ لان قائل هذا انما يحيل على التجارب فما كان من تلك التجارب ظاهراً الى الحس كالمد والجزر الحادثين عند طلوع القمر واستوائه وافوله وامتلائه ونقصانه وكتأثير القمر في قتل الدابة الدبرة اذا لاقى الدبرة ضوءه وكتأثيره في القرع والقثاء المسموع لنموها مع القمر صوت قوي وكتاثيره في الدماغ والدم والشعر وكتاثير الشمس في عكس الحر وتصعيد الرطوبات وكتاثيرهافي اعين السنانير غدوة ونصف النهار وبالعشي ونصف الليل وسائر ما يوجد حسا فهو حق لا يدفعه ذو حس سليم وكل ذلك خلق الله عز وجل فهو خلق القوي وما يتولد عنها ويوجد بها كما قال تعالى * فاحيينا به بلدة ميتا فاحيينا به الارض بعدموتها واخرجنا به من كل الثمرات فانبتنا به جنات وحبّ الحصيد* واما ما كان من تلك التجارب خارجا عما ذكرنا فهودعاوي لا تصح لوجوه احدها ان التجربة لا تصح الا بتكرر كثير موثوق بدوامه تضطر النفوس الى الاقرار به كاضطرارنا الى الاقرار بان الانسان ان بقي ثلاث ساعات تحت الماء مات وان ادخل يده في النار احترق ولا يمكن هذا في القضاء بالنجوم لان النصب الدالة عندهم على الكائنات لا تعود الا في عشرات آلاف من السنين لا سبيل الى ان يصح منها تجربة ولا الى ان تبقى دورة تراعي تكرار تلك الادوار وهذابرهان مقطوع به على بطلان دعواهم في صحة القضايا بالنجوم وبرهان آخر وهو ان شروطهم في القضاء لا تمكنهم الاحاطة بها اصلا من معرفة مواقع السهام ومطارح الشعاعات وتحقيق الدرج النيرة والغيمة والمظلمة والآثار والكواكب البنيانية وسائر شروطهم التي يقرون انه لا يصح القضاء الا بتحقيقها وبرهان ثالث وهو انه ما دام يشتغل المعدل في تعديل كوكب زل عنه سائر الكواكب ولو دقيقة ولا بد وفي هذا فساد القضاء باقرارهم وبرهان رابع وهو ظهور اليقين بالباطل في دعواهم اذ جعلوا طبع زحل البرد واليبس وطبع المريخ الحر واليبس وطبع القمر البرد والرطوبة وهذه الصفات انما هي للعناصر التي دون فلك القمر وليس شيء منها في الاجرام العلوية لانها خارجة عن محل حوامل هذه الصفات والاعراض لا تتعدى حواملها والحوامل لا تتعدى مواضعها التي رتبها الله فيها وبرهان خامس وهو ظهور كذبهم في قسمتهم الارض على البروج والدراري ولسنا نقول

في المدن التي يمكنهم فيها دعوى ان بناءها كان في طالع كذا ونصه كذا لكن في الاقاليم والقطع من الارض التي لم يتقدم كون بعضها كون بعض كذبهم فيما عليه بنوا قضاياهم فى النجوم وكذلك قسمتهم اعضاء الجسم والفلزات على الدرارى ايضا وبرهان سادس انا نجد نوعا وانواعا من انواع الحيوان قد فشافيها الذبح فلا تكاد يموت شيء منها الامذبوحا كالدجاج والحمام والضان والمعز والبقر التي لايموت منها حتف انفه الا في غاية الشذوذ ونوعا وانواعا لا تكاد تموت الاحتف انوفها كالحمير والبغال وكثير من السباع وبالضرورة يدرى كل احد انها قد تستوي اوقات ولادتها فبطل قضاؤهم بما يوجب الموت الطبيعي وبما يوجب الكرهي لاستواء جميعها في الولادات واختلافها في انواع المنايا وبرهان سابع وهو انا نرى الخصافا شيئاً في سكان الاقليم الاول وسكان الاقليم السابع ولا سبيل الي وجوده البتة في سكان سائر الاقاليم ولا شك ولا مرية في استوائهم في اوقات الولادة فبطل يقينا قضاؤهم بما يوجب الخصا وبما لا يوجبه بما ذكرنا من تساويهم في اوقات التكون والولادة واختلافهم في الحكم ويكفي من هذا ان كلامهم في ذلك دعوى بلا برهان وما كان هكذا فهو باطل مع اختلافهم فيما يوجبه الحكم عندهم والحق لا يكون فى قولين مختلفين وايضا فان المشاهدة توجب انا قادرون على مخالفة احكامهم متى اخبرونا بها فلو كانت حقا وحتما ما قدر احد على خلافها واذا امكن خلافها فليست حقا فصح انها تخرص كالطرق بالحصا والضرب بالحب والنظر فى الكتف والزجر والطيرة وسائر ما يدعي اهله فيه تقديم المعرفة بلا شك وما يخص ما شاهدناه وما صح عندنا مما حققه حذاقهم من التمديل في الموالد والمناجات وتحاول السنين ثم قضوا فيه فاخطؤا وما تقع اصابتهم من خطئهم الا في جزء يسير فصح انه تخرص لا حقيقة فيه لاسيا دعواهم في اخراج الضمير فهو كله كذب لمن تأمله وبالله تعالى التوفيق وكذلك قولهم في القرانات ايضا ولو امكن تحقيق تلك التجارب في كل ما ذكرنا لصدقناها وما يبدوا منها ولم يكن ذلك علم غيب لان كل ماقام عليه دليل من خط اوكتف او زجرا وتطير فليس غيبا لو صح وجه كل ذلك وانما الغيب وعلمه هو ان يخبر المرء بكائنة من الكائنات دون صناعة اصلا من شيء مما ذكرنا ولا من غيره فيصيب الجزئي والكلي وهذا لايكون الا لنبي وهو معجزة حينئذٍ واما الكهانة فقد بطلت بمجيء

النبي صلى الله عليه وسلم فكان هذا من اعلامه وآياته وبالله تعالى التوفيق

الكلام في خلق الله تعالى للشيء اهو المخلوق نفسه ام غيره وهل فعل الله من دون الله تعالى هو المفعول أم غيره

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهب قوم الى ان خلق الشيء هو غير الشيء المخلوق واحتج هؤلاء بقول الله عز وجل * ما اشهدتهم خلق السموات والارض ولا خلق انفسهم *

﴿ قال ابو محمد ﴾ ولا حجة لهم في هذه الآية لان الاشهاد هاهنا هو الاحضار بالمعرفة وهذا حق لان الله تعالى لم يحضرنا عارفين ابتداء خلق السموات والارض وابتداء انفسنا ووجدنا من قال ان خلق الشيء هو الشيء نفسه يحتج بقول الله تعالى هذا خلق الله وهذه اشارة الى جميع المخلوقات فقد سمي الله تعالى جميع المخلوقات كلها خلقا له وهذا برهان لا يعارض

﴿ قال ابو محمد ﴾ ثم نسأل من قال ان خلق الشيء هو غير الشيء فنقول له اخبرنا عن خلق الله تعالى لما خلق المخلوق هو ايضا ام غير مخلوق فلا بد من احد الامرين فان قالوا هو غير مخلوق اوجبوا بازاء كل مخلوق شيئا موجوداً غير مخلوق وهذا مضاهاة لقول الدهرية والبرهان قد قام بخلاف هذا وقال تعالى * خلق كل شيء فقدره تقديراً * وان قالوا بل خلقه تعالى لما خلق مخلوق قلنا فخلقه تعالى لذلك الخلق أبخلق ام بغير خلق فان قالو بغير خلق قيل لهم من اين قلتم ان خلقه للاشياء بخلق هو غير المخلوق وقلتم في خلقه لذلك الخلق انه بغير خلق وهذا تخليط وان قالوا بل خلقه بخلق سألناهم الخلق هو ام بخلق هو غيره وهكذا ابداً فان وقفوا في شيء من ذلك فقالوا خلقه هو هو سألناهم عن الفرق بين ما قالوا ان خلقه هو غيره وبين ما قالوا ان خلقه هو هو وان تماد واخرجوا الى وجود اشياء لا نهاية لها وهذا محال ممتنع وقد قطع بهذا معمر بن عمرو العطار احد رؤساء المعتزلة وسنذكر كلامه بعد هذا ان شاء الله تعالي متصلا بهذا الباب وبالله تعالي نتأيد وايضا فان الجميع مطبقون على ان الله عز وجل خالق ما خلق بلا معاياة فاذ لا شك في ذلك فقد صح يقينا انه لا واسطة بين الله تعالى وبين ما خلق ولا ثالث في الوجود غير الخالق والمخلوق وخلق الله تعالى ما خلق حق موجود وهو بلا شك مخلوق وهو بلاشك ليس هو الخالق فهو المخلوق نفسه بيقين لاشك فيه اذ لا ثالث هاهنا أصلا وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل من دون الله تعالى فعله هو مفعوله نفسه لا غير لانه لا يفعل احد دون الله تعالى الا حركة او سكوناً او تأثيراً او معرفة او فكرة او ارادة ولا مفعول لشئ دون الله تعالى الا ما ذكرنا فهي مفعولات الفاعلين وهي افعال الفاعلين ولا فرق وما عدا هذا فانما هو مفعول فيه كالمضروب والمقتول او مفعول به كالسوط والابرة وماشبه ذلك او مفعول له كالمطاع والمخدوم ومفعول من اجله كالمكسوب والمطلوب فهذه اوجه المفعولات

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما سائر افعال الله تعالى فبخلاف ما قلنا في الخلق بل هي غير المفعول فيه اوله او به او من اجله وذلك كالاحياء فهو غير المحيا بلا شك وكلاهما مخلوق لله تعالى وخالقه تعالى لكل ذلك هو المخلوق نفسه كما قلنا وكالاماتة فهي غير المماة ولو كان غير هذا وكان الاحياء هو المحيا والاماتة هي المماة وبيقين لوندري ان المحيا هو المماة نفسه لوجب ان يكون الاحياء هو الاماتة وهذا محال وكالابقاء فهو غير المبقي للبرهان الذي ذكرنا وبيقين ندري ان الشيء غير اعراضه التي هي قائمة به وقتا وفانية عنه تارة وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام في البقاء والفناء والمعاني التى يدعيها معمر ﴾

والاحوال التي تدعيها الاشعرية وهل المعدوم شيء ام ليس شيئاً ومسئلة الاجزاء وهل يتجدد خلق الله للاشياء ام لا يتجدد

﴿ قال ابو محمد ﴾ ذهب قوم الى ان البقاء والفناء صفتان للباقي والفاني لا هما الباقي ولا الفاني ولا هما غير الباقي والفاني

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا قول في غاية الفساد لان القضية الثانية نقيض الاولى والاولى نقيض الثانية لانه اذا قال ليست هي فقد اوجب انها غيره واذا قال ليست غيره فقد اوجب انه هو وهذا تناقض ظاهر وايضاً فانه لافرق بين قول القائلين ليس هو هو ولا غيره وبين قوله هو هو وهو غيره والمعنى في تلك القضيتين سواء وأيضاً فلو كان البقاء ليس هو الباقي ولا هو غيره والفناء ليس هو الفاني ولا هو غيره فالباقي هو الفاني نفسه والباقي ليس هو الباقي ولا غيره وهذا مزيد من الجنون ومن التناقض وذهب معمر الي ان الفناء صفة قائمة بغير الفاني

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا تخبيط لا يعقل ولا يتوهم ولا يقوم عليه دليل اصلا وما كان هكذا فهو باطل والحقيقة في ذلك ظاهرة وهي ان البقاء هو وجود الشيء وكونه ثابتاً قائماً مدة زمان ما فاذ هو قائم كذلك فهو صفة موجودة في الباقي محمولة فيه قائمة به موجودة بوجوده فانية بفنائه واما الفناء فهو عدم الشيء وبطلانه جملة وليس هو شيئاً اصلا والفناء المذكور ليس موجوداً البتة في شيء من الجواهر وانما هو عدم العرض فقط كحمرة الخجل اذا ذهبت عبر عن المعنى المراد بالاخبار عن ذهابها بلفظة الفناء كالغضب يفني ويعقبه رضاً وما اشبه ذلك ولو شاء الله عز وجل ان يعدم الجواهر لقدر على ذلك ولكنه لم يوجد ذلك الي الآن ولا جاء به نص فيقف عنده فالفناء عدم كما قلنا

الكلام في المعدوم اهو شيء ام لا

﴿ قال ابو محمد ﴾ وقد اختلف الناس في المعدوم اهو شيء ام لا فقال اهل السنة وطوائف من المرجئة كالاشعرية وغيرهم ليس شيئاً وبه يقول هشام بن عمرو الفوطي احد شيوخ المعتزلة وقال سائر المعتزلة المعدوم شيء وقال عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط احد شيوخ المعتزلة ان المعدوم جسم في حال عدمه الا انه ليس متحركا ولا ساكناً ولا مخلوقاً ولا محدثاً في حال عدمه

﴿ قال ابو محمد ﴾ واحتج من قال بان المعدوم شيء بان قالوا قال عز وجل ان زلزلة الساعة شيء عظيم فقالوا فقد اخبر الله عز وجل بانها شيء وهي معدومة ومن الدليل على ان المعدوم شيء انه يخبر عنه ويوصف ويتمنى ومن المحال ان يكون ما هذه صفته ليس شيئاً

﴿ قال ابو محمد ﴾ اما قول الله عز وجل ان زلزلة الساعة شيء عظيم فان هذه القصة موصولة بقوله تعالي يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما ارضعت وتضع كل ذات حمل حملها وتري الناس سكاري وما هم بسكاري فانما تم الكلام عند قوله يوم ترونها فصح ان زلزلة الساعة يوم ترونها شيء عظيم وهذا هو قولنا ولم يقل تعالي قط انها الآن شيء عظيم ثم اخبر تعالي بما يكون يومئذ من هول المرضعات ووضع الاحمال وكون الناس سكارى من غير خمر فبطل تعلقهم بالآية وما نعلم انهم شغبوا بشيء غيرها واما قولهم ان المعدوم يخبر عنه ويوصف ويتمنى ويسمى فجهل شديد وظن فاسد وذلك ان قولنا في شيء يذكر انه معدوم ويخبر عنه انه معدوم

ويتمني به انما هو ان يذكر اسم ما فذلك الاسم موجود بلا شك يعرف ذلك بالحس كقولنا العنقاء وابن آوى وحبين وعرس ونبوة مسيلمة وما اشبه ذلك ثم كل اسم ينطق به ويوجد ملفوظا اومكتوباً فانه ضرورة لابد له من احد وجهين اما ان يكون له مسمي واما ان يكون ليس له مسمي فان كان له مسمي فهو موجود وهو شيء حينئذ وان كان ليس له مسمي فاخبارنا بالعدم وتمنينا للمريض الصحة انما هو اخبار عن ذلك الاسم الموجود انه ليس له مسمي ولا تحته شيء وتمن منا الان يكون تحته مسمي فهكذا هو الامر لا كما ظنه اهل الجهل فصح ان المعدوم لايخبر عنه ولا يتمني ونسالهم عمن قال ليت لي ثوبا احمر وغلاما اسود اخبرونا هل الثوب المتمني به عندكم أحمر ام لا فان اثبتوا معني وهو الثوب اثبتوا عرضاً محمولا فيه وهو الحمرة فوجب ان المعدوم يحمل الاعراض وان قالوا لم يتمن شيأ اصلا صدقوا وصح ان المعدوم لا يتمني لانه ليس شيأ ولا فرق بين قول القائل تمنيت لاشيء وبين قوله لم تمن شيأ بل هما متلايمان بمعني واحد وهذا ايضاً يخرج علي وجه آخر وهو انه لا يتمني الاّ شيأ موجودا في العالم كثوب موجود أوغلام موجود واما من اخرج لفظة التمني لما ليس في العالم فلم يتمن شيأ واما قولهم يوصف فطريق عجب جدا لان معني قول القائل يوصف اخبار بان له صفة محمولة فيه موجودة به فليت شعري كيف يحمل المعدوم الصفات من الحمرة والخضرة والقوة والطول والعرض ان هذا العجب جداً فظهر فساد ماموهوا به والحمد لله رب العالمين

﴿قال﴾ ابو محمد رضي الله عنه واذ قد عريا قولهم عن الدليل فقد صح انه دعوي كاذبة ثم نقول وبالله التوفيق من البرهان على ان المعدوم اسم لايقع على شيء اصلا قول الله عز وجل وقد خلقتك من قبل ولم تك شيأ وقوله تعالى هل اتي على الانسان حين من الدهر لم يكن شيأ مذكورا وقوله وخلق كل شيء فقدره تقديرا وقال عز وجل انا كل شيء خلقناه بقدر فيلزمهم ولا بد ان كان المعدوم شيأ ان يكون مخلوقا بعد وهم لايختلفون في ان المخلوق موجود وقد وجد وقتا من الدهر فالمعدوم على هذا موجود وقد كان موجودا وهذا خلاف قولهم وهذا غاية البيان في ان المعدوم ليس شيئاً

﴿قال﴾ ابو محمد رضي الله عنه ونسالهم مامعني قولنا شيء فلا يجدون بداً من ان يقولوا انه الموجود او ان يقولوا هو كل مايخبر عنه فان قالوا هو الموجود صاروا الي الحق وان قالوا هو

كل ما يخبر عنه قلنا لهم ان المشركين يخبرون عن شريك الله عز وجل قال تعالى أين شركائي

﴿ قال ﴾ ابو محمد وهذا معدوم لا مدخل له في الحقيقة واسم لا مسمي تحته فان قالوا ان شركاء الله تعالى اشياء كانوا قد أفحشوا وايضا فانه قد اتفقت جميع الامم لا تحاشي ان المعدوم ليس شيئاً أولا شيء او ما يعبر به في كل لغة عن شيء وعن لا شيء الا ان المعنى واحد فلو كان المعدوم شيئاً لكان ما اجمعوا عليه بلا شيء وليس شيئاً ولم يكن شيئاً باطلا وهذا رد على جميع اهل الارض مذ كانوا الى ان يفني العالم فصح ان الموجود هو الشيء فاذ هو الشيء فبضرورة العقل ان اللاشيء هو المعدوم ثم نسألهم اتقولون ان المعدوم عظيم او صغير او حسن او قبيح او طويل او قصير او ذو لون في حال عدمه فان ابوا من هذا تناقض قولهم وسئلوا عن الفرق بين قولهم انه شيء وبين قولهم انه حسن او قبيح او صغير او كبير وكيف قالوا انه شيء ثم قالوا انه ليس حسنا ولا قبيحا ولا صغيرا ولا كبيرا فان قالوا نعم اوجبوا ان المعدوم يحمل الاعراض والصفات وهذا تخليط ناهيك به وسئلوا فيماذا يحمل الصفات أفي ذاته او فيماذا فان قالوا في ذاته أوجبوا ان له ذاتا وهذه صفة الموجود ضرورة وان قالوا بل يحمل الصفات في غيره كان ذلك ايضاً عجباً زائداً ومحالا لا خفاء به

﴿ قال ﴾ ابو محمد ونسالهم هل الايمان موجود من ابي جهل او معدوم فان قولهم بلا شك انه معدوم منه . فنسألهم عن ايمان ابي جهل المعدوم حسن هو ام قبيح . فان قالوا لا حسن ولا قبيح قلنا لهم ايكون يعقل ايمان ليس حسناً هذا عظيم جدا . وان قالوا بل هو حسن اوجبوا انه حامل للحسن وكذلك نسألهم عن الكفر المعدوم من الانبياء عليهم السلام اقبيح هو ام لا . فان قالوا لا اوجبوا كفراً ليس قبيحا. وان قالوا بل هو قبيح اوجبوا ان المعدوم يحمل الصفات ونسالهم عن ولد العقيم المعدوم منه اصغير هو ام كبير ام عاقل ام أحمق . فان منعوا من وجود شيء من هذه الصفات له كان عجبا ان يكون ولد لا صغير ولا كبير ولا حي ولا ميت وان وصفوه بشيء من هذه الصفات اتوا بالزيادة من المحال ونسألهم عن الاشياء المعدومة ألها عدد ام لا عدد لها . فان قالوا لا عدد لها كانوا قد اتوا بالمحال اذ أقروا باشياء لا عدد لها . وان قالوا بل لها عدد كان ذلك عجباً جدا او محالا لا خفاء به وسألناهم عن الاولاد المعدومين من العاقر والعقيم كم عددهم . ونسالهم عن الاشياء

المعدومة

المعدومة اهي في العالم ومن العالم ام ليست في العالم ولا من العالم فان قالوا هي في العالم ومن العالم سالناهم عن مكانها فان حددوا لها مكانا سخفوا ماشاؤا وان قالوا لامكان لها . قيل لهم وكيف يكون شيء في العالم لامكان له فيه ولا حامل

﴿قال أبو محمد﴾ ويلزمهم ان المعدومات اذا كانت اشياء لاعدد لها ولانهاية ولامبدأ فانها لم تزل وهذه دهرية محققة وكفر مجرد ان تكون اشياء لاتحصي كثرة لم تزل مع الله تعالي ونعوذ بالله من مثل هذا الهوس

﴿قال ابو محمد﴾ وقد ادعوا ان المعدوم يعلم وهذا جهل منهم بحدود الكلام لاسيما ممن اقرّ بان المعدوم لاشيء وادعي مع ذلك انه يعلم فالزمناهم على ذلك انهم يعلمون لا شيء وان الله تعالي يعلم لاشيء فجسر بعضهم على ذلك فقلناله ان قولك علمت لاشيء وعلم الله تعالي لاشيء ملازم لقولك لم اعلم شيئاً ولقولك لم يعلم الله تعالي شيئاً لافرق بين معني القضيتين ألبتة بل هما واحد وان اختلفت العبارتان واذ هو كذلك فقد صح ان المعدوم لايعلم فان الزمنا على هذا وسألنا هل يعلم الله تعالي الاشياء قبل كونها ام لا قلنا لم يزل الله تعالي يعلم ان مايخلقه ابدا الي مالا نهاية له فانه سيخلقه ويرتبه على الصفات التي يخلقها فيها اذا خلقه وانه سيكون شيئاً اذا كونه ولم يزل عز وجل يعلم ان مالم يخلق بعد فليس هو شيئاً حتي يخلقه ولم يزل تعالي يعلم انه لاشيء معه وانه ستكون الاشياء اشياء اذا خلقها لانه تعالي انما يعلم الاشياء على ماهي عليه لاعلى خلاف ماهي عليه لان من علمها على خلاف ماهي عليه فلم يعلمها بل جهلها وليس هذا علما بل هو ظن كاذب وجهل وبرهان هذا قول الله عز وجل ولو علم الله فيهم خيرا لاسمعهم ولو في لغة العرب التي خاطبنا الله تعالي بها حرف يدل علي امتناع الشيء لامتناع غيره فصح انه تعالي لم يسمعهم لانه لم يعلم فيهم خيراً اولاخير فيهم فصح ان المعدوم لايعلم أصلا ولو علم لكان موجودا وانما يعلم الله تعالي ان لفظة المعدوم لامسمي لها ولا شيء تحتها ويعلم عز وجل الآن ان الساعة غير قائمة وهو الآن تعالي لايعلمها قائمة بل يعلم انه سيقيمها فتقوم فتكون قيامة وساعة ويوم جزاء ويوم بعث وشيئاً عظيما حين يخلق كل ذلك لاقبل ان يخلقه فاما علمه تعالي بانه سيقيمها فتقوم فهو موجود حق فهذا معني اطلاق العلم على مالم يكن بعد من المعدومات كما اننا لانعلم الآن الشمس طالعة طلوعها في غد بل نعلم انها ستطلع غدا وكذلك لانعلم موت

الاحياء الآن بل نعلم ان الله تعالي سيخلق موتهم فنعلمه موتا لهم اذا خلقه لاقبل ذلك وبالله تعالي التوفيق وقال تعالى ام حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين فهذا نص جلي علي ان المعدوم لايعلم لان الله تعالي اخبر انه يدخل الجنة من لايعلمه الله تعالي مجاهداً ولا صابراً فصح ان من لم يجاهد ولا صبر فلم يعلمه الله تعالي قط مجاهدا ولا صابراً ولاعلم له جهاداً ولا صبرا وانما علمه غير مجاهد وغير صابر ولم يزل تعالي يعلم ان من كان منهم سيجاهد وسيصبر فانه لم يزل يعلم انه سيجاهد وسيصبر فاذا جاهد وصبر علمه حينئذ صابراً مجاهدا والعلم لايستحيل لانه ليس شيئاً غير الباري تعالي وانما استحال المعلوم فقط . ثم نسألهم هل يعلم الله تعالي لحية الاطلس وقنا الافطس ام لايعلم ذلك وهل يعلم الله تعالي اولاد العقيم وايمان الكافر وكفر المؤمن وكذب الصادق وصدق الكاذب ام لا يعلم شيئاً من ذلك . فان قالوا ان الله تعالى يعلم كل ذلك كانوا قد وصفوا الله تعالي بالجهل وانه يعلم الاشياء بخلاف ماهي عليه . وان قالوا انه تعالي لايعلم للعقيم اولادا وانما يعلمه لاولد له ولا يعلم لحية الاطلس بل يعلمه غير ذي لحية صدقوا وعادوا الى الحق وبالله تعالى التوفيق

الكلام في المعاني علي معمر

﴿قال ابو محمد﴾ واما معمر ومن اتبعه فقالوا انا وجدنا المتحرك والساكن فايقنا ان معنى حدث في المتحرك به فارق الساكن في صفته وان معني حدث في الساكن به ايضاً فارق المتحرك في صفته وكذلك علمنا ان في الحركة معني به فارقت السكون وان في السكون معني به فارق الحركة وكذلك علمنا ان في ذلك المعنى الذي به خالفت الحركة السكون معني به فارق المعنى الذي به فارقه السكون وهكذا ابدا اوجبوا ان في كل شيءٍ في هذا العالم من جوهر او عرض اي شيءٍ كان معاني فارق كل معنى منها كل ماعداه في العالم وكذلك ايضاً في تلك المعاني لانها اشياء موجودة متغايرة واوجبوا بهذا وجود اشياء في زمان محدود في العالم لانهاية لعددها

﴿قال ابو محمد﴾ هذه جملة كل ما شغبوا به الا أنهم فصلوها ومدوها في الكفر والكافر والايمان والمؤمن وفي غير ذلك مما هو المعني الذي أوردناه بعينه ولا زيادة فيه أصلا

(قال

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا ليس شيئاً لأننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق العالم كله قسمان جوهر حامل وعرض محمول ولا مزيد ولا ثالث فى العالم غير هذين القسمين هذا أمر يعرف بضرورة العقل وضرورة الحس فالجواهر مغايرة بعضها لبعض بذواتها التي هي اشخاصها يعني بالغيرية فيها وتختلف ايضا بجنسها وهى ايضاً مفترق بعضها من بعض بالعرض المحمول فى كل حامل من الجواهر وأما الاعراض فمغايرة للجواهر بذواتها بالغيرية فيها وكذلك هذا ايضاً بعضها مغاير لبعض بذواتها وبعضها مفارق لبعض بذواتها وان كان بعض الاعراض ايضاً قد تحمل الاعراض كقولنا حمرة مشرقة وحمرة كدرة وعمل سيء وعمل صالح وقوة شديدة وقوة دونها فى الشدة ومثل هذا كثير الا ان كل هذا يقف فى عدد متناه لا يزيد وهذا أمر يعلم بالحس والعقل فالمتحرك يفارق الساكن هذا بحركته وهذا بسكونه والحركة تفارق السكون بذاتها ويفارقها السكون بذاته وبالنوعية والغيرية والحركة الى الشرق تفارق الحركة الى الغرب بكون هذه الى الشرق وكون هذه الى الغرب بذاته وبالغيرية فقط وهكذا فى كل شيء فكل شيئين وقعا تحت نوع واحد مما يلى الاشخاص فانهما يختلفان بغيريتهما فان كانا وقعا تحت نوعين فانهما يختلفان بالغيرية فى الشخص وبالغيرة فى النوع ايضاً والغيرية ايضا لها نوع جامع لجميع اشخاصها الا ان كل ذلك واقف عند حد من العدد لا يزيد ولا بد ثم نسألهم خبرونا عن المعاني التى تدعونها فى حركة واحدة ايما أكثر أهي أم المعاني التي تدعونها فى حركتين فان أثبتوا قلة وكثرة تركوا مذهبهم واوجبوا النهاية في المعاني التي نفوا النهاية عنها وان قالوا لا قلة ولا كثرة ها هنا كابروا وأتوا بالمحال الناقض ايضاً لاقوالهم لانهم اذا أوجبوا للحركة معنى اوجبوا للحركتين معنيين وهكذا أبدا فوجبت الكثرة والقلة ضرورة لا محيد عنها

﴿ قال ابو محمد ﴾ فلم يكن لهم جواب أصلا الا أن بعضهم قال اخبرونا اليس الله تعالى قادرا على ان يخلق في جسم واحد حركات لا نهاية لها

﴿ قال ابو محمد ﴾ فجواب أهل الاسلام فى هذا السؤال نعم وأما من عجز ربه فاجابوا بلا فسقط هذا السؤال عنهم وكان سقوط الاسلام عنهم بهذا الجواب اشد من سقوط سؤال اصحاب معمر

﴿ قال ابو محمد ﴾ فتمادى سؤالهم لاهل الحق فقالوا فاخبرونا ايما اكثر ما يقدر الله تعالى عليه من خلق الحركات فى جسمين او ما يقدر عليه من خلق الحركات فى جسم واحد فكان

جواب اهل الحق فى ذلك انه لايقع عدد على معدوم ولا يقع العدد الا على موجود معدود والذى يقدر الله تعالى عليه ولم يفعله فليس هو بعد شيئا ولا له عدد ولا هو معدود ولانهاية لقدرة الله تعالى واما ما يقدر عليه تعالى ولم يفعله فلا يقال فيه ان له نهاية ولا انه لا نهاية له واما كل ما خلق الله تعالى فله نهاية بعد وكذا كل ما يخلق فاذا خلقه حدثت له نهاية حينئذ لا قبل ذلك واما المعانى التي تدعونها فانكم تدعون انها موجودة قائمة فوجب ان يكون لها نهاية فان نفيتم النهاية عنها لحقتم باهل الدهر وكلمنا كم بما كلمناهم به مما قد ذكرنا قبل وبالله تعالى التوفيق ثم لو تثبت لكم هذه العبارة من قول القائل ان مايقدر الله تعالى عليه لا نهاية لعدده وهذا لا يصح بل الحق فى هذا ان نقول ان الله تعالى قادر على ان يخلق ما لا نهاية له فى وقت ذى نهاية ومكان ذى نهاية ولو شاء ان يخلق ذلك فى وقت غير ذى نهاية ومكان غير ذى نهاية لكان قادرا على كل ذلك لما وجب من ذلك اثبات ماادعيتم من وجود معان في وقت واحد لانهاية لها اذ ليس هاهنا عقل يوجب ذلك ولا خبر يوجب ذلك وانما هو قياس منكم اذ قلتم لما كان قادرا على ان يخلق ما لا نهاية له قلنا انه قد خلق مالا نهاية له فهذا قياس والقياس كله باطل ثم لو كان القياس حقا لكان هذا منه باطلا لانه بزعمكم قياس موجود على معدوم وقياس وتشبيه لما قد خلقه بزعمكم على مالم يخلقه وهذا في غاية الفساد ولا فرق بينكم فى هذا القياس الفاسد وبين من يقول ان في بلد كذا قوما يشمون من عيونهم ويسمعون من انوفهم ويذوقون من آذانهم ويبصرون من السنتهم فاذا كذب فى ذلك وسئل برهانا على دعواه قال اتقرون ان الله قادر على خلق ذلك فقلنا له نعم قال فهذا دليل على صحة دعواى بل انتم اسوأ حالا لان هذا أخبر عن متوهم لو كان كيف كان يكون فانتم تخبرون عن غير متوهم في النفس ولا متشكل في العقل وهو اقراركم بوجود معان لانهاية لعددها في وقت واحد

﴿ قال ابو محمد ﴾ فبطل هذا القول الفاسد والحمد لله رب العالمين وكان يكفي من بطلانها انها دعوى لا برهان على صحتها وهي دعوى فاسدة غير ممكنة بل هى محال لا يتوهم ولا ولا يتشكل وبالله تعالى التوفيق.

الكلام في الاحوال مع الاشعرية ومن وافقهم

﴿ قال أبو محمد ﴾ واما الاحوال التي ادعتها الاشعرية فانهم قالوا ان هاهنا أحوالا ليست حقا ولا باطلا ولا هي [illegible]قة ولا غير مخلوقة ولا هي موجودة ولا معدومة ولا هي معلومة ولا هي مجهولة ولا هي أشياء ولا هي لا أشياء وقالوا من هذا علم العالم بان له علما ووجوده لوجوده وقالوا فان قلتم ان لكم علما بان لكم علما بالباري تعالى وبما تعلمونه وان لكم وجوداً لوجودكم ماتجدونه . سألناكم ألكم علم بعلمكم بان لكم علما وهل لكم وجود لوجودكم وجودكم ماتجدونه فان أقررتم بذلك لزمكم ان تسلسلوا هذا أبداً الي مالانهاية له ودخلتم في قول أصحاب معمر والدهرية . وان منعتم من ذلك سئلتم عن صحة الدليل على صحة منعكم مامنعتم من ذلك وصحة ايجابكم ما أوجبتم من ذلك وكذلك قالوا في قدم القديم وحدث المحدث وبقاء الباقي وفناء الفاني وظهور الظاهر وخفاء الخافي وقصد القاصدونية الناوي وزمان الزمان ومأأشبه ذلك . وقالوا لوكان للباقي بقاء ولبقاء الباقي بقاء وهكذا أبداً الى مالا نهايه له قالوا أفهذا يوجب وجود اشياء لانهاية لها وهذا محال وهكذا قالوا في قدم القديم وقدم قدمه وقدم قدم قدمه الى مالا نهاية له وفى حدوث المحدث وحدث حدثه وحدث حدث حدثه الى مالا نهاية له وهكذا قالوا في زمان الزمان وزمان زمان الزمان الى مالانهاية له وفي فناء الفاني وفناء فنائه وفناء فناء فنائه الى مالانهاية له وكذلك ظهور الظاهر وظهور ظهوره وظهور ظهور ظهوره الى مالا نهاية له وكذلك القصد والقصد الى القصد والقصد الى القصد الى القصد وهكذا الى مالانهاية له وكذلك النية والنية للنية والنية للنية للنية الى مالا نهاية له وكذلك تحقيق الحق وتحقيق تحقيق الحق الى مالا نهاية له

﴿ قال أبو محمد ﴾ أفكار السوء اذا ظن صاحبها انه يدقق فيها فهى أضر عليه لانها تخرجه الى التخليط الذي ينسبونه الى السوفسطائية والى الهذيان المحض وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً

﴿ قال أبو محمد ﴾ والكلام في هذا أبين من ان يشكل على عامي فكيف على فهم فكيف على عالم والحمد لله ونحن نتكلم على هذا ان شاء الله عز وجل كلاما ظاهراً لائحاً لايخفى على ذي حس سليم وبالله تعالى نتأيد فنقول وبالله تعالى التوفيق . أما المعدم فانه من صفات الزمن ومن فيه تقول ملك أقدم من ملك وزمان أقدم من زمان وشيخ أقدم من شيخ أي انه متقدم

بزمانه عليه والزمان متقدم بذاته على الزمان ليس في العالم قدم قديم الازماني هذا هو حكم اللغة التي لا يوجد فيها غيره أصلا فالقدم هو التقدم والتقدم متقدم بنفسه على غيره فقط لان القدم موجود معلوم وهي صفة المتقدم فلا يجوز انكاره واما قدم القديم فباطل لانه لم يأت به نص ولا قام بوجوده دليل وما كان هكذا فهو باطل واما وجود الموجود فبضرورة الحسّ ان الموجود حق وانه يقتضي واجداً وان الواجد يقتضي وجودا لما وجده هو فعل الواجد وصفته فهو حق لما ذكرنا ووجود الواجد يوجد بذاته لا بوجود هو غيره لان وجود الوجود لم يأت به نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل وأما الباري عزوجل فانه يجد نفسه ويعلمها ويجد مادونه ويعلمه بذاته لا بوجود هو غيره ولا بعلم هو غيره فقط وكذلك العالم منا يقتضي علما ولابد هو فعل العالم وصفته المحمولة فيه عرضاً بيقين ويزيد ويذهب ويثبت اطواراً هذا مالا شك فيه والعالم منا يعلم انه يحمل علما بعلمه ذلك لا بعلم هو غير علمه لان العلم بالعلم لم يوجب وجوده نص ولا برهان وما كان هكذا فهو باطل وكذلك الباقي مثاله بلا شك بقاء هو اتصال وجوده مدة بعد مدة وهذا معنى صحيح لا يجوز ان ينكره عاقل فاما بقاء البقاء فلم يأت بايجاب وجوده نص ولا قام به برهان وما كان هكذا فهو باطل ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بالبقاء ولا انه باق كما لا يوصف بالخلد ولا بانه خالد ولا بالدوام ولا بانه دائم ولا بالثبات ولا بانه ثابت ولا بطول العمر ولا بطول المدة لان الله عزوجل لم يسم نفسه بشيء من ذلك لا في القرآن ولا على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا قاله قط أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولا قام به برهان بل البرهان قام ببطلان ذلك لان كل ماذكرنا من صفات المخلوقين ولا يجوز ان يوصف الله تعالى بشيء من صفات المخلوقين الا ان يأتي نص بان يسمي باسم ما فيوقف عنده ولان كل ما ذكرنا أعراض فيما هو فيه والله تعالى لا يحمل الاعراض وايضاً فانه عزوجل لا في زمان ولا يمر عليه زمان ولا هو متحرك ولا ساكن لكن يقال لم يزل الله تعالى ولا يزال واما الفناء فانه مدة للعدم تعدّها اجزاء الحركات والسكون ولا يجوز ان تكون للمدة مدة لكنها مدة في نفسها ولنفسها فالقول بالزمان حق لانه محسوس معلوم واما القول بزمان الزمان فهو شيء لم يأت به نص ولا قام بصحته برهان وما كان هكذا فهو باطل واما ظهور الظاهر فهو متيقن معلوم والظهور

صفة الظاهر وفعله تقول ظهر يظهر ظهوراً والظهور معلوم ظاهر بنفسه ولا يجوز ان يقال ان للظهور ظهورًا لأنه لم يأت به نص ولا قام بصحته برهان وما كان هكذا فهو باطل واما خفاء الخافي فهو عدم ظهوره والعدم ليس شيئاً كما قدمنا واما القصد الى الشيء والنية له فانما هما فعل القاصد والناوي وارادتهما الشيء والقول بهما واجب لانهما موجودان بالضرورة يجدهما كل احد من نفسه ويعلمهما من غيره علما ضروريا واما القصد الى القصد والنية للنية فباطل لانه لم يأت به نص ولا اوجبهما دليل وما كان هكذا فهو باطل والقول به لا يجوز فهذا وجه البيان فيما خفي عليهم حتى أتوا فيه بهذا التخليط والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ ثم نقول لهم اخبرونا اذا قلتم هذه احوال أهي معان ومسميات مضبوطة محدودة متميز بعضها من بعض ام ليست معاني اصلا ولا لها مسميات ولا هي مضبوطة ولا محدودة متميز بعضها من بعض فان قالوا ليست معاني ولا محدودة ولا مضبوطة ولا متميزا بعضها من بعض ولا لتلك الاسماء مسميات اصلا قيل لهم فهذا هو معنى العدم حقا فلم قلتم انها ليست معدومة ثم لم سميتموها احوالا وهي معدومة ولا تكون التسمية الا شرعية او لغوية وتسميتكم هذه المعاني احوالا ليست تسمية شرعية ولا لغوية ولا مصطلحا عليها لبيان ما يقع عليه فهي باطل محض بيقين فان قالوا هي معان مضبوطة ولها مسميات محدودة متميزة بعضها من بعض قيل لهم هذه صفة الموجود ولا بد فلم قلتم انها ليست موجودة وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ ويقال لهم ايضاً هذه الاحوال التي تقولون أمعقولة هي أم غير معقولة فان قالوا هي معقولة كانوا قد أثبتوا لها معاني وحقائق من اجلها عقلت فهي موجودة ولا بد والعدم ليس معقولا لكنه لا معني لهذه اللفظة أصلا وبالله تعالى التوفيق ويقال لهم ايضاً هل الاحوال في اللغة وفي المعقول الا صفات لذي حال وهل الحال في اللغة الا بمعني التحول من صفة الى اخرى يقال هذا حال فلان اليوم وكيف كانت حالك بالامس وكيف يكون الحال غدا فاذا الامر هكذا ولا بد فهذه الاحوال موجودة حق مخلوقة ولا بد فظهر فساد قولهم وانه من اسخف الهذيان والمحال الممتنع الذى لا يرضي به عاقل ويقال لهم أيضاً قبل كل شيء وبعده فمن أين سميتم هذا الاسم يعني الاحوال ومن أين قلتم لا هي معلومة ولا هي

مجهولة ولا حق ولا باطل ولا مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا معدومة ولا موجودة ولا هي أشياء ولا غير أشياء أي دليل حدا كم على هذا الحكم أقرآن أم سنة أم اجماع أم قول متقدم أم لغة أم ضرورة عقل أم دليل اقناعي أم قياس فهاتوه ولا سبيل اليه فلم يبق الا الهذر والهوس وقلة المبالاة بما يكتبه الملكان ويسأل عنه رب العالمين والتهاون باستخفاف أهل العقول لمن قال بهذا الجنون ولا مزيد ونعوذ بالله من الخذلان وما ينبغي لهم بعد هذا أن ينكروا على من أتي بما لا يعقل ككون الجسم في مكانين والجسمين في مكان واحد وكون شيء قائما قاعدا وكون أشياء غير متناهية في وقت واحد فان قالوا هذا كفر قيل لهم بل الكفر ما جئتم به لانه ابطال الحقائق كلها والعجب كل العجب انهم لا يجوزون قدرة الله تعالى على ما هو محال عندهم وقد أتوا في هذا الفصل بعين المحال ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال أبو محمد ﴾ وكلامهم في هذه المسألة كلام ما سمع باسخف منه ولا قول السوفسطائية ولا قول النصارى ولا قول الغالية على ان هذه الفرق أحمق الفرق أقوالا اما السوفسطائية فانهم قطعوا على ان الاشياء باطل لا حق أو انها حق عند من هي عنده حق وباطل عند من هي عنده باطل وأما النصارى والغالية فان كانت هاتان الفرقتان قد أتتا بالعظائم فانهم قطعوا بانها حق وأما هؤلاء المخاذيل فانهم أتوا بقول حققوه وأبطلوه ولم يحققوه ولا أبطلوه كل ذلك معا في وقت واحد من وجه واحد وهذا لا يأتي به الا مبرسم أو مجنون أو ماجن يريد أن يضحك من معه

﴿ قال أبو محمد ﴾ ونحن نتكلف بيان هذا التخليط التي أتوا به وان كان مكتفياً بسماعه ولكن التزيد من ابطال الباطل ما أمكن حسن فنقول وبالله تعالى التوفيق ان قولهم لا هي حق ولا هي باطل فان كل ذي حس سليم يدري أن كل ما لم يكن حقاً فهو باطل وما لم يكن باطلا فهو حق هذا لا يعقل غيره فيكف وقد قال الله تعالى * فماذا بعد الحق الا الضلال * وقال تعالى * ليحق الحق ويبطل الباطل * وقال تعالى * هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون * وقال تعالى * خلق كل شيء فقدره * وقال تعالى * انا وجدنا ما وعدنا ربنا حقا * وقال * فهل وجدتم ما وعد ربكم حقا قالوا نعم *

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهؤلاء قوم ينتمون الى الاسلام ويصدقون القرآن ولولا ذلك

ما احتججنا عليهم فقد قطع الله تعالى انه ليس الا حق أو باطل وليس الا علم أو جهل وهو عدم العلم وليس الا وجود أو عدم وليس إلا شيء مخلوق أو الخالق أو لفظة العدم التي لا تقع على شيء ولا على مخلوق فقد أكذبهم الله عز وجل في دعواهم ولا يشك ذو حس سليم ان مالم يكن باطلا فهو حق ومالم يكن حقا فهو باطل ومالم يكن معلوماً فهو مجهول ومالم يكن مجهولا فهو معلوم ومالم يكن شيئاً فهو لا شيء ومالم يكن لا شيء فهو شيء ومالم يكن موجوداً فهو معدوم ومالم يكن معدوماً فهو موجود ومالم يكن مخلوقا فهو غير مخلوق ومالم يكن غير مخلوق فهو مخلوق هذا كله معلوم ضرورة ولا يعقل غيره غيره فاذ هذا كذلك ولا فرق بين ما قالوه في هذه القضية وبين القول اللازم لهم ضرورة وهو ان تلك الاحوال معدومة موجودة معاً حق باطل معا معلومة مجهولة معا مخلوقة غير مخلوقة معا شيء لا شيء معا وهذا هو نفس قولهم ومقتضاه لانهم اذ قالوا ليست حقا فقد أوجبوا انها باطل واذ قالوا ولا هي باطل فقد أوجبوا انها حق وهكذا في سائر ما قالوه فاعجبوا لعقول وسع هذا فيها وسخموا به ورقهم وعجب آخر وهو قولهم ان هاهنا أحوالا ولفظة هاهنا معناها الاثبات بلا شك فهي موجودة ثابتة بلا شك

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولم يخلصوا من هذا من قول معمر في وجوب وجود أشياء لا نهاية لها أو ان يصيروا الى قولنا في إبطال هذه التي يسمونها أحوالا واعدامها جملة وما نعلم هوساً الا وقد انتظمته هذه المقالة ونعوذ بالله من الخذلان * مسئلة أخرى

﴿ قال أبو محمد ﴾ قالت الاشعرية ليس في العالم شيء له بعض أصلا ولا شيء له نصف ولا ثلث ولا ربع ولا خمس ولا سدس ولا سبع ولا ثمن ولا تسع ولا عشر ولا جزء أصلا واحتجوا في هذا بأن قالوا يلزم من قال ان الواحد عشر العشرة وجزء من العشرة وبعض العشرة ان يقول ولا بد ان الواحد عشر من نفسه وجزء من نفسه وبعض نفسه وانه جزء لغيره عشر لغيره لان العشرة تسعة وواحد فلو كان الواحد عشر العشرة وبعضاً للعشرة وجزأ للعشرة لكان عشرا لنفسه وللتسعة التي هي غيره ولكان جزأ بعضاً لنفسه وللتسعة التي هي غيره

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا خبط شديد أول ذلك انه رد على الله تعالى مجرد وتكذيب للقرآن وخلاف اللغة بل لجميع اللغات ومكابرة للعقول وللحواس قال تعالى «واذا خلا بعضهم الى

بعض * وقال تعالى * يوحي بعضهم الى بعض زخرف القول غرورا * وقال تعالى * فلأمه الثلث فلامه السدس فلها النصف ولهن الربع ولهن الثمن * فقد كذبوا القرآن نصاً ثم هذا موجود في كل طبيعة في كل لغة ومحسوس بالحواس ثم يقال لهم لا فرق بينكم وبين من صحح ولم ينكر كون الشيء بعض نفسه وبعض غيره وجزأ لنفسه وجزأ لغيره وعشر نفسه وعشر غيره واحتج في تصحيح ذلك بالحجة التي رمتم بها ابطال ذلك ولا مزيد وكلا كما متكسع في ظلمة الخطأ ثم نقول لهم وبالله تعالى التوفيق ليس الامر كما ظننتم بل الاسماء موضوعة للتفاهم والتميز بعض المسميات من بعض فالعشرة اسم للعشرة افراد مجتمعات في العدد كذلك لتسعة وواحد ولثمانية واثنين ولسبعة وثلاثة ولستة وأربعة وخمسة وخمسة قال تعالى * ثلاثة أيام في الحج وسبعة اذا رجعتم تلك عشرة كاملة * وهكذا جميع الاعداد لا ينكر ذلك الا مخذول منكر للمشاهدة فبالضرورة ندري ان كل جزء من تلك الجملة فهو بعض لها وعشر لها ومسمى منها لتشبهما ولا يقال هو جزء لنفسه ولا جزء لغيره ولا انه بعض لنفسه ولا أنه بعض لغيره ولا عشر لنفسه ولا عشر لغيره ومثل هذا البلق الذي هو اسم لاجتماع السواد والبياض معاً فالبياض بلا شك بعض البلق والسواد بعض البلق وليس البياض جزأ لنفسه وللسواد ولا بعضا لنفسه وللسواد وكل واحد منهما جزء للبلق وكذلك الانسان اسم للجملة المجتمعة من أعضائه ولا شك في ان العين بعض الانسان وجزء من الانسان ولا يحتمل ان يقال العين بعض نفسها وبعض الاذن واليد ولا ان يقال الاذن جزء لنفسها وللعين والانف وهكذا في سائر الاعضاء فعلى قول هؤلاء النوكى يلزمهم أن لا تكون العين بعض الانسان وان يقولوا ان العين بعض نفسها وبعض الاذن ومن أبطل الابعاض والاجزاء فقد أبطل الجمل لان الجمل ليست شيئا ألبتة غير ابعاضها ومن أبطل الجمل فقد أبطل الكل والجزء وابطل العالم بكل مافيه واذا بطل العالم بطل الدين والعقل وهذه حقيقة السفسطة وما نعلم في الاقوال أحمق من هذه المسألة ومن التي قبلها نعوذ بالله من الخذلان

﴿ الكلام في خلق الله عز وجل للعالم في كل وقت وزيادته في كل دقيقة ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ وذكر عن النظام انه قال ان الله تعالى يخلق كل ما خلق في وقت واحد دون ان يعدمه وأنكر عليه القول بعض أهل الكلام

﴿قال أبو محمد﴾ وقول النظام هاهنا صحيح لاننا اذا أثبتنا ان خلق الشيء هو الشيء نفسه فخلق الله تعالي قائم في كل موجود أبدا مادام ذلك الموجود موجودا وأيضاً فانا نسألهم مامعني قولكم خلق الله تعالي أمر كذا فجوابهم ان معنى خلقه انه تعالي أخرجه من العدم الي الوجود فنقول لهم أليس معني هذا القول منكم انه أوجده ولم يكن موجودا فمن قولهم نعم فنقول لهم وبالله تعالي التوفيق فالخلق هو الايجاد عندكم بلا شك فاخبرونا أليس الله تعالي موجدا لكل موجود أبدا مدة وجوده فان أنكروا ذلك أحالوا وأوجبوا ان الاشياء موجودة وليس الله تعالي موجداً لها الآن وهذا تناقض وان قالوا نعم فان الله تعالي موجد لكل موجود أبدا مادام موجودا قلنا لهم هذا هو الذى أنكرتم بعينه قد أقررتم به لان الايجاد هو الخلق نفسه والله تعالى موجد لكل مايوجد في كل وقت أبدا وان لم يفنه قبل ذلك والله تعالى خالق لكل مخلوق في كل وقت وان لم يفنه قبل ذلك وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق وبرهان آخر وهو قول الله تعالى * ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم * وصح البرهان بان الله تعالى خلق التراب والماء الذى يتغذي آدم وبنوه بما استحال عنهما وصارت فيه دماء وأحاله الله تعالي منيا فثبت بهذا يقينا ان جميع أجساد الحيوان والنوامى كلها متفرقة ثم جمعها الله تعالي فقام منها الحيوان والنوامي وقال عز وجل * ثم أنشأناه خلقا آخر * وقال تعالي * خلقا من بعد خلق * فصح ان في كل حين يحيل الله تعالى أحوال مخلوقاته فهو خلق جديد والله تعالى يخلق في كل حين جميع العالم خلقا مستأنفا دون ان يفنيه وبالله تعالى التوفيق

﴿الكلام فى الحركة والسكون﴾

﴿قال أبو محمد﴾ ذهبت طائفة الى ان لا حركة في العالم وان كل ذلك سكون واحتجوا بأن قالوا وجدنا الشيء ساكنا في المكان الاول ساكنا فى المكان الثاني وهكذا أبدا فعلمنا ان كل ذلك سكون وهذا قول منسوب الى معمر بن عمرو العطار مولى بني سليم أحد رؤساء المعتزلة وذهبت طائفة الي أن لا سكون أصلا وانما هي حركة اعتماد وهذا قول ينسب الي ابراهيم ابن سيار النظام واحتج غير النظام من أهل هذه المقالة بان قالوا السكون انما هو عدم الحركة والعدم ليس شيئاً وقال بعضهم هو ترك الحركة وترك الفعل ليس فعلا ولا هو معنى وذهبت طائفة الي ابطال الحركة والسكون معا وقالوا انما يوجد متحرك وساكن فقط وهو

قول أبي بكر بن كيسان الاصم وذهبت طائفة الي ان الجسم في أول خلق الله تعالي ليس ساكنا ولا متحركا وذهبت طائفة الي اثبات الحركة والسكون الا انها قالت ان الحركات أجسام وهو قول هشام بن الحكم شيخ الامامية وجهم بن صفوان السمرقندي وذهبت طائفة الي اثبات الحركة والسكون وأن كل ذلك اعراض وهذا هو الحق فاما من قال بنفي الحركة وان كل ذلك سكون فقولهم يبطل باننا قد علمنا بان السكون انما هو اقامة فى المكان وان الحركة نقلة عن ذلك المكان وزوال عنه ولا شك في ان الزوال عن الشيء هو غير الاقامة فيه فاذا الامر كذلك فواجب ان يكون لهذين المعنيين المتغايرين لكل واحد منهما اسم غير اسم الآخر كما هما متغايران فاتفق في اللغة ان يسمى أحدها حركة ويسمي الآخر سكونا وأما قولهم ان كل حركة فهي سكون فى المكان الثاني فليس كذلك لان السكون اقامة لانقلة فيها فاذا وجدت نقلة متصلة لا اقامة فيها فهي غير الاقامة التي لانقلة فيها ونوع آخر له أيضا اشخاص غير اشخاص النوع الآخر وبيقين ندري ان الشيء المتحرك من مكان الي مكان فانه وان جاوز كل مكان يمر عليه فانه غير واقف ولا مقيم هذا مالا شك فيه يعرف ذلك بضرورة الحس فصح ان الحركة معنى وان السكون معنى آخر وأما من قال ان السكون حركة اعتماد فاحتجاج لا يعقل فلا وجه للاشتغال به وأما حجة من احتج بان السكون عدم الحركة والعدم ليس شيئا فليس كما قال لانه عقب الحركة اقامة موجودة ظاهرة فهي وان كان معها بوجودها عدمت الحركة فليست هي عدما كما ان القيام معني صحيح موجود وان كان قد عدمت معه سائر الحركات والاعمال من القعود والاتكاء والاضطجاع ويقال لهم وما الفرق بينكم وبين من قال بل الحركة ليست معني لانها عدم السكون فهذا مالا انفكاك عنه وكذلك من قال أيضا ان المرض ليس معنى لانه عدم الصحة والصحة ليست معنى لانها عدم المرض ومثل هذا كثير جدا وفى هذا ابطال الحقائق كلها وأما من قال ان الترك ليس معنى فخطأ لان كل من دون الله تعالى فانه ان ترك معني ما وفعلا ما فلا بد له ضرورة من فعل آخر ومعني آخر هذا أمر يوجد بالمشاهدة والحس لا يمكن غير ذلك فصح ان ترك من دون الله تعالي لفعل ما هو أيضا فعل صحيح بوجوده منه سمي تاركا لما ترك وليس الله تعالى كذلك بل لم يزل غير فاعل ولم يكن بذلك فاعلا للترك لان ترك الانسان

للفعل

للفعل كما بينا عرض موجود فيه وهو حامل له ولو كان لترك الله تعالى للفعل معنى لكان قائما به تعالي ومعاذ الله من هـذا من أن يكون عز وجل حاملا لعرض فلو كان أيضاً قائما بنفسه لكان جوهرا والترك ليس جوهرا ولو كان قائما بغيره عز وجل لكان تعالي فاعلا له غـير تارك فصح الفرق وبالله تعالي التوفيق وأما من أبطل الحركة والسكون معاً فقول فاسـد أيضاً لانه أثبت المتحرك والساكن مع ذلك وبيقين يدري كل ذى حس سليم ان من تحرك سكن فان تلك العين المتحركة ثم الساكنة هي عين واحـدة وذات واحـدة لم تتبدل ذاتها وانما تبـدل عرضها المحمول فيها فبالضرورة ندرى أنه حـدث فيه أوله او منه معني من أجله استحق أن يسمى متحركا وانه حدث فيه أو له أو منه أيضا معنى من أجله استحق أن يسمي ساكنا ولولا ذلك لم يكن بان يسمي متحركا احق به منه بان يسمي ساكناً هـذا أمر محسوس مشاهـد فذلك المعنى هو الحركة أو السكون فصح وجودهما ضرورة ولا فرق بين من أثبت الساكن والمتحرك ونفي الحركة والسكون ولا فرق بينه وبين من أثبت الضارب والقائم والآكل وأبطل الضرب والاكل والقيام وهذه سفسطة صحيحة وبالله تعالي التوفيق وأما من قال ان الجسم في أول خلق الله عز وجل له ليس ساكناً ولا متحركا فكلام فاسـد أيضاً لانه لا يتوهم ولا يعقـل معني ثالث ليس حركة ولا سكوناً هذا شيء لا يتشكل في النفس ولا يثبته عقل ولا سمع وأيضاً فلانه قول لا دليل عليه فهو باطل ولا شك في أن الله تعالي اذا خلق الجسم فانما يخلقه فى زمان ومكان فاذلا شك في ذلك فالجسم في أول حدوثه ساكن في المكان الذي خلقه الله تعالي فيـه ولو طرفة عين ثم اما يتصل سكونه فيه فتطول إقامته فيه وإما أن ينتقل عنه فيكون متحركا عنه فان قال قائل بل هو متحرك لانه خارج عن العدم الي الوجود قيل له هذا منك تسمية فاسدة لان الحركة في اللغة وهي التي يتكلم عليها أنما هي نقلة من مكان الي مكان والعدم ليس مكاناً ولم يكن المخلوق شيئاً قبل أن يخلقه الله تعالي فحال خلقه هي أول احواله التي لم يكن هو قبلها فكيف ان يكون له حال قبلها فلم ينتقل اصـلا بل ابتداه الله تعالي الآن واما الجسم الكلي الذي هو جرم العالم جملة وهو الفلك الكلي فكل جزء منه مقدر مفروض فان اجزائه المحيطة به من أربع جهات والجزء الذى يليه في جهـة عمق الفلك هو مكانه ولا مكان له في الصفحة التي

لا تلي الاجزاء التي ذكرنا والله تعالى يمسكه بقوته كما شاء ولا يلاقيه من صفحته العليا شيء اصلا ولا هنالك مكان ولا زمان ولا خلاء ولا ملا

﴿ قال أبو محمد ﴾ ورأيت لبعض النوكي ممن ينتمي الى الكلام قولا ظريفاً وهو انه قال ان الله تعالى اذ خلق الارض خلق جرما عظيما يمسكها لئلا تنحدر سفلا فحين خلق ذلك الجرم أعدمه وخلق آخر وهكذا أبدا بلا نهاية لانه زعم لو ابقاه وقتين لا احتاج الى مسك وهكذا أبداً الى مالا نهاية له كأن هذا الانوك لم يسمع قول الله تعالى * ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده * فصح ان الله تعالى يمسك الكل كما هو دون عمد لا زيادة ولا جرم آخر ولو أن هؤلاء المخاذيل اذ عدموا العلم تمسكوا باتباع القرآن والسكوت عن الزيادة والخبر عن الله بمالا علم لهم به لكان اسلم لهم في الدين والدنيا ولكن من يضلل الله فلا هادي له ونعوذ بالله من الضلال وأما من قال ان الحركات اجسام فخطأ لان الجسم في اللغة موضوع للطويل العريض العميق ذي المساحة وليست الحركة كذلك فليست جسما ولا يجوز أن يوقع عليها اسم جسم اذ لم يأت ذلك في اللغة ولا في الشريعة ولا أوجبه دليل وأوضح انها ليست جسما فهي بلاشك عرض وأما من قال ان الحركة ترى فقول فاسد لانه قد صح إن البصر لا يقع في هذا العالم الا على لون في ملون فقط وبيقين ندرى أن الحركة لا لون لها فاذلا لون لها فلا سبيل الي أن تري وانما علمنا كون الحركة لاننا رأينا لون المتحرك في مكان ما ثم رأيناه في مكان آخر علمنا أن ذلك الملون قد انتقل عن مكان الي مكان بلا شك وهذا المعني هو الحركة أو بان يحس الجسم قد انتقل من مكان الي مكان فيدري حينئذ من لامسه وان كان أعمى أو مطبق العينين انه تحرك وبرهان ما قلنا ان الهواء لما لم يكن له لون لم يره أحد وإنما يلم تموجه وتحركه بملاقاته فانه منتقل وهو هبوب الرياح وكذلك أيضاً علمنا حركة الصوت باحساسنا الصوت يأتي من مكان ما الي مكان ما وكذلك القول في الحركة في المشموم من الطيب والنتن وحركة المذوق فبطل قولا من قالا ان الحركات ترى وصح ان الحركة ليست لونا ولا لها لون ولو كان هذا لا مكن لآخر أن يدعى أنه يسمع الحركة وهذا خطأ لانه لايسمع الا الصوت ولا مكن لآخر ان يدعى ان الحركة تلمس وهذا خطأ وانما يلمس المجسة

من الخشونة والاملاس أوغير ذلك من المجسات والحق من هذا انما هو ان الحركة تعرف وتوجد بتوسط كل ماذكرنا وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ والحركات النقلية المكانية تنقسم قسمين لاثالث لهما أما حركة ضرورية أواختيارية فالاختيارية هي فعل النفوس الحية من الملائكة والانس والجن وساير الحيوان كله وهي التي تكون الى جهات شتى على غير رتبة معلومة الاوقات وكذلك السكون الاختياري والحركة الضرورية تنقسم قسمين لاثالث لهما أما طبيعية وأما قسرية والاضطرارية هي الحركة الكائنة ممن ظهرت منه عن غير قصد منه اليها وأما الطبيعية فهي حركة كل شئ غير حي مما بناه الله عليه كحركة الماء الى وسط المركز وحركة الارض كذلك وحركة الهواء والنار الى مواضعها وحركة الافلاك والكواكب دورا وحركة عروق الجسد النوابض والسكون الطبيعي هو سكون كل ماذكرنا في عنصره وأما القسرية فهي حركة كل شئ دخل عليه مايحيل حركته عن طبيعته أوعن اختياره الى غيرها كتحريك المرء قهراً وتحريكك الماء علوا والحجر كذلك وكتحريكك النار سفلا والهواء كذلك وكتصعيد الهواء الماء وكعكس الشمس لحر النار والسكون القسري هو توقيف الشئ في غير عنصره أوتوقيف المختار كرها وبالله تعالى التوفيق

﴿ الكلام في التولد ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ تنازع المتكلمون في معني عبروا عنه بالتولد وهو أنهم اختلفوا فيمن رمي سهماً فجرح به انسانا أوغيره وفي حرق النار وتبريد الثلج وساير الآثار الظاهرة من الجمادات فقالت طايفة ماتولد من ذلك عن فعل انسان أوحيّ فهو فعل الانسان والحي واختلفوا فيما تولد من غير حيّ فقالت طائفة هو فعل الله وقالت طائفة ماتولد من غير حي فهو فعل الطبيعة وقال آخرون كل ذلك فعل الله عزوجل

﴿ قال أبو محمد ﴾ فهؤلاء مبطلون للحقائق غائبون عن موجبات العقول

﴿ قال أبو محمد ﴾ والامرأ بين من أن يطول فيه الخطاب والحمد لله رب العالمين والصواب في ذلك ان كل مافي العالم من جسم أوعرض في جسم أو اثر من جسم فهو خلق الله عزوجل فكل ذلك فعل الله عزوجل بمعني انه خالقه وكل ذلك مضاف بنص القرآن وبحكم اللغة الى ماظهرت منه من حي أوجماد قال تعالى «فاذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وانبتت

من كل زوج بهيج * فنسب عز وجل الاهتزاز والانبات والربو الى الارض وقال * تلفح وجوههم النار * فاخبر تعالى ان النار تلفح وقال تعالى * وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه * فاخبر عز وجل ان الماء يشوي الوجوه وقال تعالى * ومن قتل مؤمنا خطاء فتحرير رقبة مؤمنة * فسمى تعالى المخطئ قاتلا واوجب عليه حكما وهو لم يقصد قتله قط لكنه تولد عن فعله وقال تعالى * اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه * فاخبر تعالى ان الكلام والعمل عرض من الاعراض وقال تعالى * أفان مات او قتل انقلبتم * وقال تعالي * على شفا جرف هار فانهار به * ولم تختلف امة ولا لغة في صحة قول القائل مات فلان وسقط الحائط فنسب الله تعالى وجميع خلقه الموت الى الميت والسقوط الى الحائط والانهيار الي الجرف لظهور كل ذلك منها ليس في القرآن ولا في السنن ولا في العقول شيء غير هذا الحكم ومن خالف هذا فقد اعترض على الله تعالي وعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى جميع الامم وعلى جميع عقولهم وهذه صفة من عظمت مصيبته بنفسه ومن لا دين له ولا عقل ولا حياء ولا علم وصح بكل ماذكرنا ان اضافة كل أثر في العالم الى الله تعالى هي على غير اضافته الى من ظهر منه وانما اضافته الى الله تعالى لانه خلقه وأما اضافته الى من ظهر منه أو تولد عنه فلظهوره منه اتباعاً للقرآن ولجميع اللغات ولسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم وكل هذه الاخبارات وكلتا هاتين الاضافتين حق لا مجاز في شيء من ذلك لانه لا فرق بين ماظهر من حيّ مختار أو من غير حي مختار في ان كل ذلك ظاهر مما ظهر منه وانه مخلوق لله تعالي الا ان الله تعالى خلق في الحي اختياراً لما ظهر منه ولم يخلق الاختيار فيما ليس حيا ولا مريداً فما تولد عن فعل فاعل فهو فعل الله عز وجل لمعنى انه خلقه وهو فعل ماظهر منه بمعني أنه ظهر منه قال الله تعالي * فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم وما رميت اذ رميت ولكن الله رمي * وقال تعالى * أفرأيتم ماتحرثون أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون * وهذا نص قولنا وبالله تعالي التوفيق

الكلام في المداخلة والمجاورة والكمون

﴿قال أبو محمد﴾ ذهب القائلون بان الالوان أجسام الى المداخلة ومعني هذه اللفظة ان الجسمين يتداخلان فيكونان جميعاً في مكان واحد

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا كلام فاسد لما سنبينه ان شاء الله تعالى في باب الكلام في الاجسام

والاعراض من ديواننا هذا وبالله تعالى التوفيق من ذلك ان كل جسم فله مساحة واذا كان كذلك فله مكان زائد واذ له مكان بقدر مساحته ولابد فان كل جسم زيد عليه جسم آخر فان ذلك الجسم الزائد يحتاج الى مكان زائد من أجل مساحته الزائدة هذا أمر يعلم بالمشاهدة فان اختلاط الامر على من لم يتمرن في معرفة حدود الكلام من أجل مايرى فى الاجسام المتخلخلة من تخلل الاجسام المايعة لها فانما هذا لان فى خلال أجزاء تلك الاجسام المتخلخلة خروقا صغاراً مملوأة هواء فاذا صب عليها الماء أومائع مآملأ تلك الخروق وخرج عنها الهواء الذي كان فيها وهذا ظاهر للعين محسوس خروج الهواء عنها بنفاخات وصوت من كل مايخرج عنه الهواء مسرعا والذى ذكرنا فانه اذا تم خروج الهواء عنه وزيد في عدد المائع ربا واحتاج الى مكان زائد وأما الذى ذكرنا قبل فانه في الاجسام المكتنزة كماء صب على ماء أو دهن على دهن أودهن على ماء وهكذا في كل شيء من هذه الانواع وغيرها فصح يقيناً ان الجسم انمايكون في الجسم على سبيل المجاورة كل واحد في حيز غير حيز الآخر وانماتكون المداخلة بين الاعراض والاجسام وبين الاعراض والاعراض لان العرض لايشغل مكانا فيجد اللون والطعم والمجسة والرائحة والحر والبرد والسكون كل ذلك مداخل للجسم ومداخل بعضه بعضاً ولا يمكن أن يكون جسم واحد في مكانين ولا جسمان في مكان واحد ثم ان المجاورة بين الجسمين تنقسم ثلاثة أقسام أحدها ان يخلع أحد الجسمين كيفياته ويلبس كيفية الآخر كنقطة رميتها فى دن خل أودن مرق أوفي لبن أوفى مداد أوشيء يسير من بعض هذه في بعض أومن غيرها كذلك فان الغالب منها يسلب المغلوب كيفياته الذاتية والغيرية ويذهبها عنه ويلبسه كيفيات نفسه الذاتية والغيرية والثاني أن يخلع كل واحد منهما كيفياته الذاتية والغيرية ويلبسا معاً كيفيات أخر كماء الزاج اذا جاور ماء العفص وكجسم الجير اذا جاور جسم الزرنيخ وكسائر المعاجن كلها والدقيق والماء وغير ذلك والثالث أن لايخلع واحد منهما عن نفسه كيفية من كيفياته لا الذاتية ولا الغيرية بل يبقى كل واحد منهما كما كان كزيت أضيف الى ماء وكحجر الى حجر وثوب الى ثوب فهذا حقيقة الكلام فى المداخلة والمجاورة * وأما الكمون فان طائفة ذهبت الى ان النار كامنة في الحجر وذهبت طائفة الى ابطال هذا وقالت انه لانار فى الحجر أصلا وهو قول ضرار بن عمرو

﴿قال أبو محمد﴾ وكل طائفة منهما فانها تفرط على الاخرى فيما تدعى عليها فضرار ينسب الى مخالفيه انهم يقولون بان النخلة بطولها وعرضها وعظمها كامنة في النواة وان الانسان بطوله وعرضه وعمقه وعظمه كامن في المني وخصومه ينسبون اليه انه يقول ليس في النار حر ولافي العنب عصير ولافى الزيتون زيت ولافي الانسان دم

﴿قال أبو محمد﴾ وكلا القولين جنون محض ومكابرة للحواس والعقول والحق في ذلك ان في الاشياء ماهو كامن كالدم فى الانسان والعصير في العنب والزيت في الزيتون والماء فى كل مايتعصر منه وبرهان ذلك ان كل ماذكرنا اذا خرج مما كان كامنافيه ضمر الباقي لخروج ماخرج وخف وزنه لذلك عما كان عليه قبل خروج الذي خرج ومن الاشياء ماليس كامناً كالنار في الحجر والحديد لكن في حجر الزناد والحديد الذكر قوة اذا تضاغطا احتدم مابينهما من الهواء فاستحال ناراً وهكذا يعرض لكل شيء منحرق فان رطوباته تستحيل ناراً ثم دخانا ثم هواء اذ في طبع النار استخراج ناريات الاجسام وتصعيد رطوباتها حتي يفني كل مافي الجسم من الناريات والمائيات عنه بالخروج ثم لو نفخت دهرك على مابقي من الارضية المحضة وهي الرماد لم يحترق ولا اشتعل اذ ليس فيه نار فتخرج ولا ماء فيتصعد وكذلك دهن السراج فانه كثير الناريات بطبعه فيستحيل بما فيه من المائية اليسيرة دخانا هوائياً وتخرج ناريته حتي يذهب كله واما القول في النوى والبزور والنطف فان فى النواة وفي البزر وفى النطفة طبيعة خلقها في كل ذلك الله عز وجل وهي قوة تجتذب الرطوبات الواردة عليها من الماء والزبل ولطيف التراب الوارد كل ذلك على النواة والبزر فتحيل كل ذلك الى مافي طبعها احالته اليه فيصير عوداً ولحاء وورقاً وزهراً وثمراً وخوصاً وكرماً ومثل الدم الوارد على النطفة فتحيله طبيعته التي خلقها الله تعالى فيه لحماً ودماً وعظماً وعصباً وعروقاً وشرائين وعضلا وغضاريف وجلداً وظفراً وشعراً وكل ذلك خلق الله تعالى فتبارك الله أحسن الخالقين والحمد لله رب العالمين ﴿قال أبو محمد﴾ وذهب الباقلانى وسائر الاشعرية الا انه ليس في النار حر ولا فى الثلج برد ولا في الزيتون زيت ولافى العنب عصير ولا في الانسان دم وهذا أمر ناظرنا عليه من لاقيناه منهم والعجب كل العجب قولهم هذا التخليط وانكارهم ما يعرف بالحواس وضرورة العقل ثم هم يقولون مع هذا ان للزجاج والحصا طعما ورائحة وان لقشور العنب رائحة وان للفلك طعما ورائحة وهذا احدي عجائب

الدنيا

الدنيا ﴿ قال أبو محمد ﴾ وما وجدنا لهم في ذلك حجة غير دعواهم ان الله تعالى خلق كل حر نجده في النار عند مسنا اياها وكذلك خلق البرد في الثلج عند مسنا اياه وكذلك خلق الزيت عند عصر الزيتون والعصير عند عصر العنب والدم عند القطع والشرط ﴿ قال أبو محمد ﴾ فاذا تعلقوا من هذا بحواسهم فمن أين قالوا ان للزجاج طعما ورائحة وللفلك طعما ورائحة وهذا موضع تشهد الحواس بتكذيبهم في أحدها ولا تدرك الحواس الآخر ويقال لهم لعل الناس ليس في الارض منهم أحد وانما خلقهم الله عند رؤيتكم لهم ولعل بطونكم لامصارين فيها ورؤسكم لا ادمغة فيها لكن الله عز وجل خالق كل ذلك عند الشدخ والشق ﴿ قال أبو محمد ﴾ وقول الله تعالى يكذبهم اذ قال تعالى * يانار كوني بردا وسلاما على ابراهيم * فلولا ان النار تحرق بحرها ما كان يقول الله عز وجل * قل نار جهنم أشد حرا لو كانوا يفقهون * فصح ان الحر في النار موجود وكذلك أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ان نار جهنم أشد حرا من نارنا هذه سبعين درجة وقال تعالى * وشجرة تخرج من طور سيناء تنبت بالدهن وصبغ للآكلين * فاخبر ان الشجرة تنبت بها وقال تعالى * ومن ثمرات النخيل والاعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا * فصح ان السكر والعصير الحلال مأخوذ من الثمر والاعناب ولو لم يكونا فيهما ما أخذا منهما وقد اطبقت الامة كلها على انكار هذا الجنون وعلى القول هذا أحلى من العسل وأمر من الصبر وأحر من النار ونحمد الله على السلامة

﴿ الكلام في الاستحالة ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ احتج الحنيفيون ومن وافقهم في قولهم ان النقطة من البول والخمر تقع في الماء فلا يظهر لها فيه أثر انها باقية فيه بجسمها الا ان أجزاءها دقت وخفيت عن ان تحس وكذلك الحبر يرمى في اللبن فلا يظهر له فيه أثر وكذلك الفضة اليسيرة تذاب في الذهب فلا يظهر لها فيه أثر وهكذا كل شيء قالوا لو ان ذلك المقدار من الماء يحيل ماء النقطة من الخمر تقع فيه لكان أكثر من ذلك المقدار أقوى على الاحالة بلا شك ونحن نجد كلما زدنا نقط الخمر وقلتم انتم قد استحالت ماء ونحن نزيد فلا يلبث ان تظهر الخمر وهكذا في كل شيء قالوا فظهرت صحة قولنا ولزمكم ان كلما كثر الماء ضعفت احالته وهكذا في كل شيء ﴿ قال أبو محمد ﴾ فقلنا لهم ان الامور انما هي على ما رتبها الله عز وجل وعلى ما توجد

عليه لا على قضايا كم المخالفة للحس ولا ينكر ان يكون مقدار مّا يفعل فعلا مّافاذا كثر لم يفعل ذلك الفعل كالمقدار من الدواء ينفع فاذا زيد فيه أونقص منه لم ينفع ونحن نقر معكم بما ذكرتم ولا ننكره فنقول ان مقدارا مّا من الماء يحيل مقدارا مّا مما يلقي فيه من الخل أو الخمر أو العسل ولا يحيل أكثر منه مما يلقي فيه ونحن نجد الهواء يحيل الماء هواء حتى اذا كثر الهواء المستحيل من الماء لم يستحل من الماء بل أحال الهواء ماء وهكذا كلما ذكرتم وانما العمدة هاهنا على ماشهدت به أوائل العقول والحواس من ان الاشياء انما تختلف باختلاف طبائعها وصفاتها التي منها تقوم حدودها وبها تختلف في اللغات أسماؤها فللماء صفات وطبائع اذا وجدت في جرم مّا سمى ماء فاذا عدمت منه لم يسم ماء ولم يكن ماء وهكذا كل مافي العالم ولا نحاشي شيئاً أصلا ومن المحال أن تكون حدود الماء وصفاته وطبعه في العسل أوفي الخمر وهكذا كل شئ في العالم فاكثره يستحيل بعضه الي بعض فاى شئ وجدت فيه حدود شئ مّاسمي باسم مافيه تلك الحدود اذا استوفاها كلها فان لم يستوف الا بعضها وفارق أيضاً شيئا من صفاته الذاتية فهو حينئذ شئ غير الذي كان وغير الذي مازج كالعسل الملقي في الابارج ونقطة مداد في لبن وما أشبه ذلك وهذه رتبة العالم في مقتضي العقول وفيما تشاهد الحواس والذوق والشم واللمس ومن دفع هذا خرج عن المعقول ويلزم الحنيفيين من هذا اجتناب ماء البحر لان فيه على عقولهم عذرة وبول لا ورطوبات ميتة وكذلك مياه جميع الانهار أولها عن آخرها نعم وماء المطر أيضاً ونجد الدجاج يتغذى بالميتة والدم والعذرة والكبش يسقي خمراً ان ذلك كله قداستحال عن صفات كل ذلك وطبعه الى لحم الدجاج والكبش فحل عندنا وعندهم ولو كثر تغذيها به حتي تضعف طبيعتها عن احالته فوجد في خواصها وفيها صفة العذرة والميتة حرم أكله وهذا هو الذي أنكروه نفسه وهو مقرون معنا في ان الثمار والبقول تتغذى بالعذرة وتستحيل فيها مدة انها قد حلت وهذا هو الذي أنكروه نفسه وبالله تعالى التوفيق

الكلام في الطفرة

قال أبو محمد نسب قوم من المتكلمين الى ابراهيم النظام انه قال ان المار على سطح الجسم يسير من مكان الى مكان بينهما أماكن لم يقطعها هذا المار ولا مر عليها ولا حاذاها ولا حل فيها

قال أبو محمد وهذا عين المحال والتخليط الا ان كان هذا على قوله في انه ليس في العالم الا

جسم حاشا الحركة فقط فانه وان كان قد أخطأ في هذه القصة فكلامه الذي ذكرنا خارج عليه خروجاً صحيحا لان هذا الذي ذكرنا ليس موجودا البتة الافي حاسة البصر فقط وكذلك اذا أطبقت بصرك ثم فتحته لافي نظرك خضرة السماء والكواكب التي في الافلاك البعيدة بلا زمان كما يقع على أقرب مايلاصقه من الالوان لاتفاضل بين الادراكين في المدة أصلا فصح ضرورة ان خلا البصر لوقطع المسافة التي بين الناظر وبين الكواكب ومر عليها لكان ضرورة بلوغه اليها في مدة أطول من مدة مروره على المسافة التي ليس بينه وبين من يراه فيها الايسيرا وأقل فصح يقينا ان البصر يخرج من الناظر ويقع على كل مرئي قرب أو بعد دون ان يمر في شيء من المسافة التي بينهما ولايحلها ولا يحازيها ولا يقطعها وأما في سائر الاجسام فهذا محال الا ترى انك تنظر الى الهدم والى ضرب القصار بالثوب في الحجر من بعد فتراه ثم يقيم سويعة وحينئذ تسمع صوت ذلك الهدم وذلك الضرب فصح يقينا ان الصوت يقطع الاماكن وينتقل فيها وان البصر لايقطعها ولا ينتقل فيها فاذا صح البرهان بشيء ما لم يعترض عليها الا عديم عقل أوعديم حياء أوعديم علم أوعديم دين وبالله تعالى التوفيق

الكلام في الانسان

﴿ قال أبو محمد ﴾ اختلف الناس في هذا الاسم على مايقع فذهبت طائفة الى انه انما يقع على الجسد دون النفس وهو قول أبي الهذيل العلاف وذهبت طائفة الى انه انما يقع على النفس دون الجسد وهو قول ابراهيم النظام وذهبت طائفة الى انه انما يقع عليهما معاً كالبلق الذي لايقع الا على السواد والبياض معاً

﴿ قال أبو محمد ﴾ واحتجت الطائفة التي ذكرنا بقول الله عز وجل * خلق الانسان من صلصال كالفخار * وبقول الله تعالى * فلينظر الانسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب * وبقوله تعالى * أيحسب الانسان ان يترك سدا ألم يك نطفة من مني يمنى ثم كان علقة فخلق فسوى * وبآيات أخر غير هذه وهذه بلا شك صفة للجسد لا صفة للنفس لان الروح انما تنفخ بعد تمام خلق الانسان الذي هو الجسد واحتجت الطائفة الاخرى بقوله تعالى * ان الانسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعا * وهذا بلا خلاف صفة النفس لا صفة الجسد لان الجسد موات والفعالة هي النفس وهي المميزة الحية حاملة لهذه

الاخلاق وغيرها

﴿قال أبو محمد﴾ وكلا هذين الاحتجاجين حق وليس أحدهما أولى بالقول من الآخر ولا يجوز ان يعارض أحدهما بالاخر لان كليهما من عند الله عز وجل وما كان من عند الله فليس بمختلف قال تعالى ﴿ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيراً﴾ فاذ كل هذه الآيات حق فقد ثبت ان للانسان اسم يقع على النفس دون الجسد ويقع أيضاً على الجسد دون النفس ويقع ايضاً على كليهما مجتمعين فنقول في الحي هذا انسان وهو مشتمل على جسد وروح ونقول للميت هذا انسان وهو جسد لانفس فيه ونقول ان الانسان يعذب قبل يوم القيامة وينعم يعني النفس دون الجسد واما من قال انه لايقع الا على النفس والجسد معاً فخطأ يبطله الذى ذكرنا من النصوص التي فيها وقوع اسم الانسان على الجسد دون النفس وعلى النفس دون الجسد وبالله تعالى التوفيق

﴿الكلام في الجواهر والاعراض وما الجسم وما النفس﴾

﴿قال أبو محمد﴾ اختلف الناس في هذا الباب فذهب هشام بن الحكم الى انه ليس في العالم الا جسم وان الالوان والحركات أجسام واحتج أيضاً بان الجسم اذا كان طويلا عريضاً عميقا فمن حيث وجدته وجدت اللون فيه فوجب الطول والعرض والعمق للون أيضاً فاذا وجب ذلك للون فاللون أيضاً طويل عريض عميق وكل طويل عريض عميق جسم فاللون جسم وذهب ابراهيم بن سيار النظام الى مثل هذا سواء سواء الا الحركات فانه قال هي خاصة اعراض وذهب ضرار بن عمرو الى أن الاجسام مركبة من الاعراض وذهب سائر الناس الى ان الاجسام هي كل ما كان طويلا عريضاً عميقاً شاغلا لمكان وان كل ماعداه من لون أو حركة أو مذاق أو طيب أو محبة فعرض ﴿ وذهب بعض الملحدين الى نفي الاعراض ووافقهم على ذلك بعض أهل القبلة

﴿قال أبو محمد﴾ أما الجسم فمتفق على وجوده وأما الاعراض فاثباتها بين واضح بعون الله تعالى وهو انا لم نجد في العالم الا قائماً بنفسه حاملا لغيره أو قائماً بغيره لا بنفسه محمولا في غيره ووجدنا القائم بنفسه شاغلا لمكان يملأه ووجدنا الذي لايقوم بنفسه لكنه محمول في غيره لايشغل مكانا بل يكون الكثير منها في مكان حاملها القائم بنفسه هذه قسمة لايمكن وجود

شيء في العالم بخلافها ولا وجود قسم زائد على ماذكرنا فاذ ذلك كذلك فبالضرورة علمنا ان القائم بنفسه الشاغل لمكانه هو نوع آخر غير القائم بغيره الذى لايشغل مكانا فوجب أن يكون لكل واحد من هذين الجنسين اسم يعبر عنه ليقع التفاهم بيننا فاتفقنا على ان سمينا القائم بنفسه الشاغل لمكانه جسما واتفقنا على ان سمينا مالا يقوم بنفسه عرضاً وهذا بيان برهاني مشاهد * ووجدنا الجسم تتعاقب عليه الالوان والجسم قائم بنفسه فبينا نراه أبيض صار أخضر ثم أحمر ثم أصفر كالذي نشاهده في الثمار والاصباغ فبالضرورة نعلم ان الذي عدم وفني من البياض والخضرة وسائر الالوان هو غير الذي بقي موجوداً لم يفن وانهما جميعاً غير الشيء الحامل لهما لانه لو كان شيء من ذلك هو الآخر لعدم بعدمه فدل بقاؤه بعده على انه غيره ولا بد اذ من المحال الممتنع ان يكون الشيء معدوما موجوداً في حالة واحدة في مكان واحد في زمان واحد وأيضاً فان الاعراض هي الافعال من الاكل والشرب والنوم والجماع والمشي والضرب وغير ذلك فمن أنكر الاعراض فقد أثبت الفاعلين وأبطل الافعال وهذا محال لاخفاء به ولا فرق بين من أثبت الفاعلين ونفى الافعال وبين من أثبت الافعال ونفى الفاعلين وكل الطائفتين مبطلة لما يشاهد بالحواس ويدرك بالعقل سوفسطائيون حقاً لان من الاعراض مايدرك بالبصر وهو اللون اذ مالا لون له لايدرك بالشم كالنتن والطيب ومنها مايدرك بالذوق كالحلاوة والمرارة والحموضة والملوحة ومنها مايدرك باللمس كالحر والبرد ومنها مايدرك بالسمع كحسن الصوت وقبحه وجهارته وجفوته ومنها مايدرك بالعقل كالحركة والحمق والعقل والعدل والجور والعلم والجهل فظهر فساد قول مبطلي الاعراض يقيناً والحمد لله رب العالمين فاذ قد صح كل ماذكرنا فانما الاسماء عبارات وتمييز للمسميات ليتوصل بها المخاطبون الى تفاهم مراداتهم من الوقوف على المعاني وفصل بعضها من بعض ليس للاسماء فائدة غير هذه فوجب ضرورة أن يوقع على القائم بنفسه الشاغل لمكانه الحامل لغيره أسماء تكون عبارة عنه وأن يوقع أيضا على القائم بغيره لا بنفسه المحمول الذى لايشغل مكانا اسما آخر يكون أيضا عبارة عنه لينفصل بهذين الاسمين كل واحد من ذينك المسميين عن الآخر وان لم يكن هذا وقع التخليط وعدم البيان واصطلحنا على ان سمينا القائم بنفسه الشاغل للمكان جسما واتفقنا على ان سمينا القائم بغيره لا بنفسه عرضا لانه عرض في الجسم وحدث فيه هذا هو الحق

المشاهد بالحس المعروف بالعقل وماعدا هذا فهذيان وتخليط لا يعقله قائله فكيف غيره فصح بهذا كله وجود الاعراض وبطلان قول من أنكرها وصح أيضاً بما ذكرنا ان حد اللون والحركة وكل مالا يقوم بنفسه هو غير حد القائم بنفسه فاذ ذلك كذلك فلا جسم الا القائم بنفسه وكل ماعداه فعرض فلاح بهذا صحة قول من قال بذلك وبطل قول هشام والنظام وبالله تعالى التوفيق * وأما احتجاج هشام بوجود الطول والعرض والعمق الذي توهمها في اللون فانما هو طول الجسم الملون وعرضه وعمقه فقط وليس للون طول ولا عرض ولا عمق وكذلك الطعم والمجسة والرائحة وبرهان ذلك انه لو كان للجسم طول وعرض وعمق وكان للون طول غير طول الملون الحامل له وعرض آخر غير عرض الحامل له وعمق آخر غير عمق الملون الحامل له لاحتاج كل واحد منهما الى مكان آخر غير مكان الآخر اذ من أعظم المحال الممتنع أن يكون شيئان طول كل واحد منهما ذراع وعرضه ذراع وعمقه ذراع ثم يسعان جميعا في واحد ليس هو الاذراع في ذراع فقط ويلزمه مثل هذا في الطعم والرائحة والمجسة لان كل هذه الصفات توجد من كل جهة من جهات الجسم الذي هي فيه كما يوجد اللون ولا فرق وقد يذهب الطعم حتى يكون الشيء لا طعم له وتذهب الرائحة حتى يصير الشيء لا رائحة له ومساحته باقية بحسبها فصح يقينا ان المساحة للملون والذي له الرائحة والطعم والمجسة لا للون ولا للطعم ولا للرائحة ولا للمجسة وقد نجد جسما طويلا عريضا عميقا لا لون له وهو الهواء ساكنة ومتحركه وبالضرورة ندري انه لو كان له لون لم يزد ذلك في مساحته شيئا

﴿قال أبو محمد﴾ فان بلغ الجهل بصاحبه الى ان يقول ليس الهواء جسما سألناه عما في داخل الزق المنفوخ ماهو وعما يأتي الذي يجرى فرساً جواداً بوجهه وجسمه فانه لا شك في انه جسم قوى متكثر محسوس وبرهان آخر * وهو ان كل أحد يدرى ان الطول والعرض والعمق لو كان لكل واحد منهما طول وعرض وعمق لاحتاج كل واحد منهما أيضاً الى طول آخر وعرض آخر وعمق آخر وهكذا مسلسلا الى مالا نهاية له وهذا باطل فبطل قول ابراهيم وهشام وبالله تعالى التوفيق وأما قول ضرار ان الاجسام مركبة من الاعراض فقول فاسد جداً لان الاعراض قد صح كما ذكرنا انها لا طول لها ولا عرض ولا عمق ولا تقوم بنفسها وصح ان الاجسام ذات أطوال وعروض واعماق وقائمة بأنفسها ومن

المحال ان يجتمع مالا طول له ولا عرض ولا عمق مع مثله فيتقوم منها ماله طول وعرض وعمق وانما غلط فيها من توهم ان الاجسام مركبة من السطوح وان السطوح مركبة من الخطوط والخطوط مركبة من النقط

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا خطأ على كل حال لان السطوح المطلقة فانما هي تناهي الجسم وانقطاعه في تماديه من أوسع جهاته وعدم امتداده فقط وأما الخطوط المطلقة فانما هي تناهي جهة السطح وانقطاع تماديها وأما النقط فهي تناهي جهات الجسم من أحد نهاياته كطرف السكين ونحوه فكل هذه الابعاد انما هي عدم التمادى ومن المحال ان يجتمع عدم فيقوم منه موجود وانما السطوح المجسمة والخطوط المجسمة والنقط المجسمة فانما هي ابعاض الجسم وأجزاؤه ولا تكون الاجزاء أجزاء الا بعد القسمة فقط على مانذكر بعد هذا ان شاء الله تعالى

﴿قال أبو محمد﴾ وذهب قوم من المتكلمين الى اثبات شئ سموه جوهراً ليس جسما ولا عرضاً وقد ينسب هذا القول الى بعض الاوائل وحد هذا الجوهر عند من أثبته انه واحد بالذات قابل للمتضادات قائم بنفسه لايتحرك ولا له مكان ولا له طول ولا عرض ولا عمق ولا يتجزى وحده بعض من ينتمى الى الكلام بانه واحد بذاته لاطول له ولا عرض ولا يتجزى وقالوا انه لايتحرك وله مكان وانه قائم بنفسه يحمل من كل عرض عرضا واحداً فقط كاللون والطعم والرائحة والمجسة

﴿قال أبو محمد﴾ وكلا هذين القولين والقول الذى اجتمعا عليه في غاية الفساد والبطلان أول من قال ذلك انها كلها دعاوي مجردة لايقوم على صحة شئ منها دليل أصلا لابرهاني ولا اقناعى بل البرهان العقلي والحسي يشهدان ببطلان كل ذلك وليس يعجز احد ان يدعى ماشاء وما كان هكذا فهو باطل محض وبالله تعالى نتأيد وأما نحن فنقول انه ليس فى الوجود الا الخالق وخلقه وانه ليس الخلق الا جوهرا حاملا لاعراضه واعراضا محمولة في الجوهر لاسبيل الى تعدى أحدها عن الآخر فكل جوهر جسم وكل جسم جوهر وهما اسمان معناهما واحد ولا مزيد وبالله تعالى التوفيق ﴿قال أبو محمد﴾ ونجمع ان شاء الله تعالى كل شئ أوقعت عليه هتان الطائفتان اسم جوهر لا جسم ولا عرض ونبين ان شاء الله

تعالى فساد كل ذلك بالبراهين الضرورية كما فعلنا في سائر كلامنا وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ حققنا ما أوقع عليه بعض الاوائل ومن قلدهم اسم جوهر وقالوا انه ليس جسما ولا عرضا فوجدناهم يذكرون الباري تعالي والنفس والهيولي والعقل والصورة وعبر بعضهم عن الهيولي بالطينة وبعضهم بالخميرة والمعنى في كل ذلك واحد الا ان بعضهم قال المراد بذلك الجسم متعريا من جميع اعراضه وابعاده وبعضهم قال المراد بذلك الشيء الذي منه كون هذا العالم ومنه تكون على حسب اختلافهم في الخالق أو في انكاره وزاد بعضهم في الجوهر الخلا والمدة اللذين لم يزالا عندهم يعنى بالخلا المكان المطلق لا المكان المعهود ويعني بالمدة الزمان المطلق لا الزمان المعهود

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذه أقوال ليس شيء منها لمن ينتمي الى الاسلام وانما هي للمجوس والصابئين والدهرية والنصارى في تسميتهم الباري تعالي جوهراً فانهم سموه في امانتهم التي لا يصح عندهم دين لملكي ولا لنسطوري ولا ليعقوبي ولا لهاروني الا باعتقادها والا فهو كافر بالنصرانية قطعاً حاشا تسميته الباري تعالي جوهراً فانه للمجسمة أيضاً وحاشا القول بان النفس جوهر لا جسم فانه قد قال به العطار أحد رؤساء المعتزلة وأما المنتمون الي الاسلام فان الجوهر الذي ليس جسما ولا عرضاً ليس هو عندهم شيئاً الا الاجزاء الصغار التي لا تتجزأ اليها تحل الاجسام بزعمهم وقد ذكر هذا عن بعض الاوائل أيضاً فهذه ثمانية أشياء كما ذكرنا لا نعلم أحداً سمي جوهراً ليس جسماً ولا عرضاً وغيرها الا ان قوما جهالا يظنون في القوي الذاتية انها جواهر وهذا جهل منهم لانها بلا خلاف محمولة فيما هي غير قائمة بنفسها وهذه صفة العرض لا صفة الجوهر بلا خلاف

﴿ قال أبو محمد ﴾ فاما الخلا والمدة فقد تقدم افسادنا لهذا القول في صدر ديواننا بالبراهين الضرورية وفي كتابنا الموسوم بالتحقيق في نقض كتاب العلم الالهي لمحمد بن زكريا الطيب وحللنا كل دعوى أوردها هو وغيره في هذا المعنى بابين شرح والحمد لله رب العالمين كثيراً وأثبتنا في صدر كتابنا هذا وهنالك انه ليس في العالم خلا البتة وانه كله كرة مصمتة لا تخلل فيها وانه وليس وراءها خلاء لا ملاء ولا شيء البتة وان المدة ليست الامد أحدث الله الفلك بما فيه من الاجسام الساكنة والمتحركة وأعراضها وبينا في كتاب التقريب لحدود الكلام ان الآلة المسماة الزرافة وسارقة الماء والآلة التى تدخل في احاليل من به أسر

البول

البول براهين ضرورية بتحقيق ان لاخلاء في العالم أصلا وان الخلاء عند القائلين به انما هو مكان لاتمكن فيه وهذا محال بما ذكرنا لانه لو خرج الماء من الثقب الذي فى أسفل سارقة الماء وقد شد أعلاها لبقي مكانه خالياً بلا متمكن فيه فاذا لم يكن ذلك أصلا ولا كان فيه بنية العالم وجوده وقف الماء باقيا لا يهرق حتي اذا فتح أعلاها ووجد الهواء مدخلا خرج الماء وانهرق لوقته وخلفه الهواء وكذلك الزرافة والآلة المتخذة لمن به أسر البول فانه اذا حصلت تلك في داخل الاحليل وأول المثانة ثم جبذ الزر المغلق ليقبها الى خارج اتبعه البول ضرورة وخرج اذ لم يخرج لبقي ثقب الآلة خاليا لاشيء فيه وهذا باطل ممتنع وقد بينا في صدر كتابنا كما اعترض به الملحدون المخالفون لنا في هذا المكان فاغني عن اعادته فان قال قائل فالماء الذى اخترعه الله عز وجل معجزة من بين أصابع رسول الله صلى الله عليه وسلم والتمر الذى اخترع له والثريد الذى اخترع له من أين اخترعه وهى أجسام محدثة والعالم عندكم ملأ لاخلا فيه ولا تخلخل ولا يكون الجسمان في مكان واحد قلنا وبالله تعالى التوفيق لايخلو هذا من احد وجهين لاثالث لهما اما أن يكون الله عز وجل اعدم من الهواء مقدار مااخترع فيه من التمر والماء والثريد واماان يكون الله عز وجل أحال أجزاء من الهوى ماء وتمرا وثريدا فالله أعلم أي ذينك كان والله على كل شيء قدير فسقط قولهم في الخلا والمدة والحمد لله رب العالمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ وأما الصورة فكيفية بلا شك وهي تخليط الجواهر وتشكلها الا انها قسمان أحدهما ملازم كالصورة الكلية لاتفارق الجواهر البتة ولا توجد دونها ولا تتوهم الجواهر عارية عنها والآخر تتعاقب انواعه وأشخاصه على الجواهر كانتقال الشيء عن تثليث الى تربيع ونحو ذلك فصح انها عرض بلا شك وبالله تعالى التوفيق وأما العقل فلا خلاف بين أحد له عقل سليم في انه عرض محمول في النفس وكيفية برهان ذلك انه يقبل الاشد والاضعف فنقول عقل أقوي من عقل وأضعف من عقل وله ضد وهو الحمق ولا خلاف في الجواهر انها لاضد لها وانما التضاد في بعض الكيفيات فقط وقد اعترض في هذا بعض من يدعي له علم الفلسفة فقال ليس فى العقل ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه فقلت للذى ذكرلى هذا البحث ان هذه سفسطة وجهل لوجاز له هذا التخليط لجاز لغيره ان

يقول ليس للعلم ضد لكن لوجوده ضد وهو عدمه ولا لشئ من الكيفيات ضد ولكن لوجودها ضد وهو عدمها فيبطل التضاد من جميع الكيفيات وهذا كلام يعلم فساده بضرورة العقل ولا فرق بين وجود الضد للعقل وبين وجوده للعلم ولسائر الكيفيات وهي باب واحد كله وانما هي صفات متعاقبة كلها موجودة فالعقل موجود ثم يعقبه الحمق وهو موجود كما أن العلم موجود ويعقبه الجهل وكما ان النجدة موجودة ويعقبها الجبن وهو موجود وهذا أمر لا يخفى على من له أقل تمييز وكذلك الجواهر لا تقبل الاشد والا ضعف في ذواتها وهذا أيضا قول كل من له أدنى فهم من الاوائل والعقل عند جميعهم هو تمييز الفضائل من الرذائل واستعمال الفضائل واجتناب الرذائل والتزام ما يحسن به المغبة في دار البقاء وعالم الجزاء وحسن السياسة فيما يلزم المرء في دار الدنيا وبهذا أيضا جاءت الرسل عليهم السلام قال الله عز وجل * أفلم يسيروا في الارض فتكون لهم قلوب يعقلون بها * وقال تعالى * كذلك يبين الله لكم الايات لعلكم تعقلون * وقال تعالى * أم تحسب ان أكثرهم يسمعون أو يعقلون ان هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا * وقال تعالى * ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون * وقال تعالى * واذا ناديتم الى الصلاة اتخذوها هزواً ولعباً ذلك بانهم قوم لا يعقلون * وقال تعالى * ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون * فصح ان العقل هو الايمان وجميع الطاعات وقال تعالى عن الكفار * وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير * ومثل هذا في القرآن كثير فصح ان العقل فعل النفس وهو عرض محمول فيها وقوة من قواها فهو عرض كيفية بلا شك وانما غلط من غلط في هذا لانه رأى لبعض الجهال المخلطين من الاوائل ان العقل جوهر وان له فلكا فعول على ذلك من لا علم له وهذا خطأ كما أوردنا وبالله تعالى التوفيق وأيضا فان لفظة العقل غريبة أتى بها المترجمون عبارة عن لفظة أخرى يعبر بها في اليونانية أو في غيرها من اللغات عما يعبر بلفظة العقل عنه في اللغة العربية هذا مالا خفاء به عند احد ولفظة العقل في لغة العرب انما هي موضوعة لتمييز الاشياء واستعمال الفضائل فصح ضرورة انها معبرة بها عن عرض وكان مدعي خلاف ذلك رديء العقل عديم الحياء مباهتا بلا شك ولقد قال بعض النوكي الجهال لو كان العقل عرضاً لكانت الاجسام أشرف منه فقلت للذي أتاني بهذا وهل للجوهر شرف الا باعراضه وهل شرف

جوهر قط على جوهر الا بصفاته لا بذاته هل يخفى هذا على أحدثم قلنا ويلزمهم هذا نفسه على قولهم السخيف في العلم والفضائل أن لايخالفونا في انها اعراض فعلي مقدمتهم السخيفة يجب أن تكون الاجسام كلها أشرف منها وهذا كما ترى وأما الهيولي فهو الجسم نفسه الحامل لأعراضه كلها وانما أفردته الأوائل بهذا الاسم اذ تكلموا عليه منفرداً في الكلام عليه عن سائر أعراضه كلها من الصورة وغيرها مفصولا في الكلام عليه خاصة عن اعراضه وان كان لاسبيل الى أن يوجد خالياً عن أعراضه ولا متعرياً منها أصلا ولا يتوهم وجوده كذلك ولا يتشكل في النفس ولا يتمثل ذلك أصلا بل هو محال ممتنع جملة كما ان الانسان الكلي وجميع الاجناس والانواع ليس شيء منها غير أشخاصه فقط فهي الاجسام بأعيانها ان كان النوع نوع أجسام وهي أشخاص الاعراض ان كان النوع نوع أعراض ولا مزيد لان قولنا الانسان الكلي يزيد النوع انما معناه أشخاص الناس فقط لا أشياء أخر وقولنا الحمرة الكلية انما معناه أشخاص الحمرة حيث وجدت فقط فبطل بهذا تقدير من ظن من أهل الجهل ان الجنس والنوع والفصل جواهر لا أجسام وبالله تعالى التوفيق لكن الاوائل سمتها وسمت الصفات الاوليات الذاتيات جوهريات لا جواهر وهذا صحيح لانها منسوبة الى الجواهر لملازمتها لها ولانها لا تفارقها البتة ولا يتوهم مفارقتها لها وبالله تعالى التوفيق فبطل قولهم في الخلا والمدة والصورة والعقل والهيولي والحمد لله رب العالمين واما الباري تعالى فقد اخطأ من سماه جوهراً من المجسمة ومن النصارى لان لفظة الجوهر لفظة عربية ومن أثبت الله عز وجل فقرض عليه اذ اقر انه خالقه والاهه ومالك امره الا يتقدم عليه في شيء الا بعهد منه تعالى والا يخبر عنه الا بعلم متيقن ولا علم ههنا الا ما اخبر به عز وجل فقط فصح يقيناً ان تسمية الله عز وجل جوهراً والاخبار عنه بأنه جوهر حكم عليه تعالى بغير عهد منه واخبار عنه تعالى بالكذب الذي لم يخبر قط تعالى به عن نفسه ولا سمي به نفسه وهذا اقدام لم يأتنا قط به برهان باباحته وايضاً فان الجوهر حامل لاعراض ولو كان الباري تعالى حاملا لعرض لكان مركباً من ذاته واعراضه وهذا باطل واما النصارى فليس لهم ان يتسوروا على اللغة العربية فيصرفوها عن موضعها فبطل ان يكون تعالى جوهراً لبراءته عن حد الجوهر وبطل ان يسمي جوهراً لأنه تعالى لم يسم نفسه به وبالله تعالى التوفيق فبطل

قول من سمي الله تعالى جوهراً واخبر عنه انه تعالى جوهر ولله تعالى الحمد فلم يبق الا النفس والجزء الذى لا يتجزأ ونحن ان شاء الله تعالى نتكلم فيهما كلاماً مبيناً ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ قال أبو محمد ﴾ اختلف الناس في النفس فذكر عن أبي بكر عبد الرحمن ابن كيسان الاصم انكار النفس جملة وقال لا اعرف الا ما شاهدته بحواسي وقال جالينوس وابو الهذيل محمد ابن الهذيل العلاف النفس عرض من الاعراض ثم اختلفا فقال جالينوس هي مزاج مجتمع متولد من تركيب اخلاط الجسد وقال ابو الهذيل هي عرض كسائر اعراض الجسم وقالت طائفة النفس هي النسيم الداخل الخارج بالتنفس نهى النفس قالوا والروح عرض وهو الحياة فهو غير النفس وهذا قول الباقلاني ومن اتبعه من الاشعرية وقالت طائفة النفس جوهر ليست جسما ولا عرضاً ولا لها طول ولا عرض ولا عمق ولا هي فى مكان ولا تتجزأ وانها هي الفعالة المدبرة وهي الانسان وهو قول بعض الاوائل وبه يقول معمر بن عمر والعطار احد شيوخ المعتزلة وذهب سائر اهل الاسلام والملل المقرة بالميعاد الى ان النفس جسم طويل عريض عميق ذات مكان عاقلة مميزة مصرفة للجسد

﴿ قال ابو محمد ﴾ وبهذا نقول والنفس والروح اسمان مترادفان لمسمي واحد ومعناهما واحد

﴿ قال ابو محمد ﴾ اما قول ابي بكر ابن كيسان فانه يبطله النص وبرهان العقل اما النص فبقول الله تعالي «ولو ترى اذ الظالمون فى غمرات الموت والملائكة باسطوا ايديهم اخرجوا انفسكم اليوم الآية» فصح ان النفس موجودة وانها غير الجسد وانها الخارجة عند الموت

﴿ قال ابو محمد ﴾ واما البرهان العقلي فاننا نرى المرء اذا اراد تصفية عقله وتصحيح رأيه او فك مسألة عويصة عكس ذهنه وافرد نفسه عن حواسها الجسدية وترك استعمال الجسد جملة وتبرأ منه حتى انه لا يرى من بحضرته ولا يسمع ما يقال امامه فحينئذ يكون رأيه وفكره اصفى ما كان فصح ان الفكر والذكر ليسا للجسد المتخلى منه عند ارادتهما وايضاً فالذى يراه النائم مما يخرج حقاً على وجهه وليس ذلك الا اذا تخلت النفس عن الجسد فبقي الجسد كجسد الميت ونجده حينئذ يرى فى الرؤيا ويسمع ويتكلم ويذكر وقد بطل عمل بصره الجسدى وعمل أذنيه الجسدى وعمل ذوقه الجسدى وكلام لسانه الجسدى فصح يقيناً ان العقل المبصر

السامع

السامع المتكلم الحساس الذائق هو شيء غير الجسد صح أنه المسمي نفساً اذ لا شيء غير
ذلك وكذلك ماتخيله نفس الاعمى والغائب عن الشيء مما قد رآه قبل ذلك فيتمثله ويراه
في نفسه كما هو فصح يقيناً ان ههنا متمثلا مدركا غير الجسد اذ لا أثر للجسد ولا للحواس
في شيء مما ذكرنا البتة ومنها انك ترى المريد يريد بعض الأمور بنشاط فاذا اعترضه عارض
ما كسل والجسم بحسبه كما كان لم يتغير منه شيء فعلمنا ان ههنا مريداً الاشياء غير الجسد
ومنها أخلاق النفس من الحلم والصبر والحسد والعقل والطيش والخرق والنزق والعلم والبلادة
وكل هذا ليس لشيء من أعضاء الجسد فاذ لا شك في ذلك فانما هو كله للنفس المدبرة للجسد
ومنها ما يرى من بعض المحتضرين ممن قد ضعف جسده وفسدت بنيته وتراه حينئذ أحد
ما كان ذهناً وأصح ما كان تمييزاً وأفضل طبيعة وأبعد عن كل لغو وأنطق بكل حكمة وأصحهم
نظراً وجسده حينئذ في غاية الفساد وبطلان القوى فصح أن المدرك للامور المدبر للجسد
الفعال المميز الحي هو شيء غير الجسد وهو الذي يسمى نفساً وصح ان الجسد موات للنفس
وانها مذ حلت في الجسد كأنها وقعت في طين غمر فانساها شغلها به كثيراً مما سلف لها وأيضا
فلو كان الفعل للجسد لكان فعله متماديا وحياته متصلة في حال نومه وموته ونحن نرى الجسد
حينئذ صحيحاً سالماً لم ينتقص منه شيء من أعضائه وقد بطلت أفعاله كلها جملة فصح ان الفعل
والتمييز انما كان لغير الجسد وهو النفس المفارقة وان الفعال الذاكر قد باينه وتبرأ منه وأيضا
فانا نرى أعضاء الجسد تذهب عضواً عضواً بالقطع والفساد والقوى باقية بحسبها والاعضاء
قد ذهبت وفسدت ونجد الذهن والتدبير والعقل وقوى النفس باقية أوفر ما كان فصح
ضرورة ان الفعال العالم الذاكر المدبر المريد هو غير الجسد كما ذكرنا وان الجسد موات
فبطل قول ابن كيسان والحمد لله رب العالمين وأما قول من قال أنها مزاج كما قال جالينوس
فان كل ما ذكرنا مما أبطلنا به قول أبي بكر بن كيسان فانه يبطل أيضاً قول جالينوس وأيضاً
فان العناصر الأربعة التي منها تركب الجسد وهي التراب والماء والهواء والنار فانها كلها
موات بطبعها ومن الباطل الممتنع والمحال الذي لا يجوز البتة أن يجتمع موات وموات وموات
وموات فيقوم منها حي وكذلك محال أن تجتمع بوارد فيقوم منها حار او حوار فيجتمع منها
بارد أو حي وحي فيقوم منها موات فبطل أن تكون النفس مزاجاً وبالله تعالى التوفيق

وأما قول من قال انها عرض فقط وقول من قال انما النفس النسيم الداخل والخارج من الهواء وان الروح هو عرض وهو الحياة فان كلى هذين القولين يبطلان بكل ماذكرنا بطال قول الأصم بن كيسان وأيضاً فان أهل هذين القولين ينتمون الى الاسلام والقرآن يبطل قولهم نصاً قال الله تعالى* الله يتوفي الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضي عليها الموت ويرسل الأخرى الى أجل مسمي* فصح ضرورة أن الانفس غير الاجساد وان الأنفس هي المتوفاة في النوم والموت ثم ترد عند اليقظة وتمسك عند الموت وليس هذا التوفي للاجساد أصلا وبيقين بدري كل ذي حس سليم ان العرض لايمكن أن يتوفي فيفارق الجسم الحامل له ويبقى كذلك ثم يرد بعضه ويمسك بعضه هذا مالا يكون ولا يجوز لان العرض يبطل بمزايلته الحامل له وكذلك لايمكن أن يظن ذو مسكة من عقل ان الهواء الخارج والداخل هو المتوفي عند النوم وكيف ذلك وهو باق فى حال النوم كما كان في حال اليقظة ولا فرق وكذلك قوله تعالى* والملائكة باسطوا أيديهم أخرجوا انفسكم اليوم تجزون عذاب الهون* فانه لايمكن أن يعذب العرض ولا الهواء وايضاً فان الله عز وجل يقول* واذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذرياتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى* الآية ﴿ قال ابو محمد ﴾ فهذه آية ترفع الاشكال جملة وتبين ان النفس غير الجسد وانما هي العاقلة المخاطبة المكلفة لانه لايشك ذو حس سليم في ان الاجساد حين أخذ الله عليها هذا العهد كانت مبددة في التراب والماء والهواء والنار ونص الآية يقتضي ماقلنا فكيف وفيها نص ان الاشهاد انما وقع على النفوس وما أدري كيف تنشرح نفس مسلم بخلاف هذه النصوص وكذلك أخبار رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأي عند سماء الدنيا ليلة أسري به عن يمين آدم وعن يساره نسم بنيه فأهل السعادة عن يمينه وأهل الشقاوة عن يساره عليه السلام ومن الباطل ان تكون الاعراض باقية هنالك او ان يكون النسيم هنالك وهو هواء متردد في الهواء ﴿ قال ابو محمد ﴾ ولو كان ماقاله أبو الهذيل والباقلاني ومن قلدهما حقاً لكان الانسان يبدل في كل ساعة الف الف روح وازيد من ثلاث مائة الف نفس لان العرض عندهم لا يبقي وقتين بل يفني ويتجدد عندهم أبداً فروح كل حى على قولهم في كل وقت غير روحه التي كانت قبل ذلك وهكذا تتبدل أرواح الناس عندهم بالخطاب وكذلك بيقين يشاهد كل أحد ان الهواء الداخل

بالتنفس ثم يخرج هو غير الهواء الداخل بالتنفس الثاني فالانسان يبدل على قول الاشعرية انفسا كثيرة في كل وقت ونفسه الآن غير نفسه آنفاً وهذا حمق لا خفاء به فبطل قول الفريقين بنص القرآن والسنة والاجماع والمشاهدة والمعقول والحمد لله رب العالمين هذا مع تعريهما من الدليل جملة وانها دعوى فقط وما كان هكذا فهو باطل وقد صرح الباقلاني عند ذكره لما يعترض في أرواح الشهداء وأرواح آل فرعون فقال هذا يخرج على وجهين بأن يوضع عرض الحياة في أقل جزء من أجزاء الجسم وقال بعض من شاهدناه منهم توضع الحياة في عجب الذنب واحتج بالخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يأكله التراب الا عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة وفي رواية منه خلق وفيه يركب

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تمويه من المحتج بهذا الخبر لانه ليس في الحديث لا نص ولا دليل ولا اشارة يمكن ان يتأول على ان عجب الذنب يحيا وانما في الحديث ان عجب الذنب لا يأكله التراب وانه من خلق الجسد وفيه يركب فقط فظهر تمويه هذا القائل وضعفه والحمد لله رب العالمين قال الباقلاني وأما ان يخلق لتلك الحياة جسد آخر فلا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا مذهب أصحاب التناسخ بلا مؤونة واحتج لذلك بالحديث المأثور ان نسمة المؤمن طير يعلف من ثمار الجنة ويأوي الى قناديل تحت العرش وفي بعضها أنها في حواصل طير خضر

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولا حجة لهم في هذا الخبر لان معنى قوله عليه السلام طائر يعلف هو على ظاهره لا على ظن أهل الجهل وانما أخبر عليه السلام ان نسمة المؤمن طائر بمعنى أنها تطير في الجنة فقط لا أنها تنسخ في صور طير فان قيل ان النسمة مؤنثة قلنا قد صح عن عربي فصيح أنه قال أتتك كتابي فاستخففت بها فقيل له أتؤنث الكتاب فقال أوليس صحيفة وكذلك النسمة روح فتذكر لذلك وأما الزيادة التي فيها أنها في حواصل طير خضر فانها صفة تلك القناديل التي تأوي اليها والحديثان معاً حديث واحد وخبر واحد

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولم يحصل من هذين الوجهين الفاسدين الا على دعوى كاذبة بلا دليل يشبه الهزل أو على كفر مجرد في المصير الى قول أصحاب التناسخ وعلى تحريف الحديث عن وجهه ونعوذ بالله من الخذلان فبطل هذان القولان والحمد لله رب العالمين وأما قول من

قال ان النفس جوهر لا جسم من الاوائل ومعمر وأصحابه فانهم موهوا بأشياء اقناعيات فوجب ايرادها ونقضها ليظهر البرهان على وجه الانصاف للخصم وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ قالوا لو كان النفس جسماً لكان بين تحريك المحرك رجله وبين ارادته تحريكها زمان على قدر حركة الجسم وثقله اذ النفس هي المحركة للجسد والمريدة لحركته قالوا فلو كان المحرك للرجل جسماً لكان لا يخلو اما أن يكون حاصلا في هذه الاعضاء واما جائيا اليها فان كان جائيا اليها احتاج الى مدة ولا بد وان كان حاصلا فيها فنحن اذا قطعنا تلك العصبة التي بها تكون الحركة لم يبق منها في العضو الذي كان يحرك شيء أصلا فلو كان ذلك المحرك حاصلا فيه لبقي منه شيء في ذلك العضو

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا لا معنى له لان النفس لا تخلو من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها اما ان تكون مجللة لجميع الجسد من خارج كالثوب واما أن تكون متخللة بجميعه من داخل كالماء في المدرة واما أن تكون في مكان واحد من الجسد وهو القلب أو الدماغ وتكون قواها منبثة في جميع الجسد فأي هذه الوجوه كان فتحريكها لما يريد تحريكه من الجسد يكون مع ارادتها لذلك بلا زمان كادراك البصر لما يلاقي في البعد بلا زمان واذا قطعت العصبة لم ينقطع ما كان من جسم النفس مخللا لذلك العضو ان كانت متخللة لجميع الجسد من داخل أو مجللة له من خارج بل يفارق العضو الذي يبطل حسه في الوقت وينفصل عنه بلا زمان وتكون مفارقتها لذلك العضو كمفارقة الهواء للآناء الذي ملئ ماء وأما ان كانت النفس ساكنة في موضع واحد من الجسد فلا يلزم على هذا القسم ان يسلب من العضو المقطوع بل يكون فعلها حينئذ في تحريكها الاعضاء كفعل حجر المغنطيس في الحديد وان لم يلصق به بلا زمان فبطل هذا الالزام الفاسد والحمد لله رب العالمين وقالوا لو كانت النفس جسماً لوجب أن نعلم ببعضها أو بكلها

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا سؤال فاسد تقسيمه والجواب وبالله تعالى التوفيق انها لا تعلم الا بكلها أو ببعضها لان كل بسيط غير مركب من طبائع شتى فهو طبيعة واحدة وما كان طبيعة واحدة فقوته في جميع أبعاضه وفي بعض أبعاضه سواء كالنار تحرق بكلها وببعضها ثم لا ندري ما وجه هذا الاعتراض علينا بهذا السؤال ولا ما وجه استدلالهم منه على انها غير

جسم ولو عكس عليهم في ابطال دعواهم انها جوهر لا جسم لما كان بينهم وبين السائل لهم بذلك فرق أصلا وقالوا ان من شأن الجسم انك اذا زدت عليه جسماً آخر زاد في كميته وثقله قالوا فلو كانت النفس جسماً ثم داخلت الجسم الظاهر لوجب أن يكون الجسد حينئذ أثقل منه دون النفس ونحن نجد الجسد اذا فارقته النفس أثقل منه اذا كانت النفس فيه

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا شغب فاسد ومقدمة باطلة كاذبة لانه ليس كل جسم كما ذكروا من أنه اذ ازيد عليه جسم آخر كان أثقل منه وحده وانما يعرض هذا في الاجسام التي تطلب المركز والوسط فقط يعني التي في طبعها ان تحرك سفلا وترسب من المائيات والارضيات وأما التي تحرك بطبعها علوا فلا يعرض ذلك فيها بل الامر بالضد وإذا اضيف جسم منها الى جسم ثقيل خففه فانك ترى انك لو نفخت زقا من جلد ثور أو جلد بعير لو أمكن حتى يمتلئ هو آثم وزنته فانك لا تجد على وزنه زيادة على مقدار وزنه لو كان فارغا أصلا وكذلك ماصنعه من الزقاق ولو أنه ورقة سوسنة منفوخة ونحن نجد الجسم العظيم الذي اذا أضفته الي الجسم الثقيل خففه جداً فانك لو رميت الزق غير المنفوخ في الماء الرسب فاذا نفخته ورميت به خف وعام ولم يرسب وكذلك يستعمله العائمون لانه يرفعهم عن الماء ويمنعهم من الرسوب وهكذا النفس مع الجسد وهو باب واحد كلي لان النفس جسم علوي فلكي أخف من الهواء وأطلب للعلو فهي تخفف الجسد اذا كانت فيه فبطل تمويههم والحمد لله رب العالمين وقالوا أيضاً لو كانت النفس جسماً لكانت ذات خاصية اما خفيفة وأما ثقيلة وأما حارة وأما باردة وأما لينة وأما خشنة

﴿ قال أبو محمد ﴾ نعم هي خفيفة في نهاية الخفة ذاكرة عاقلة مميزة حية هذه خواصها وحدودها التي بانت بها عن سائر الاجسام المركبات مع سائر اعراضها المحمولة فيها من الفضائل والرذائل وأما الحر واليبس والبرد والرطوبة واللين والخشونة فانما هي من اعراض عناصر الاجرام التي دون الفلك خاصة ولكن هذه الاعراض المذكورة مؤثرة في النفس اللذة أو الالم فهي منفعلة لكل ماذكرنا وهذا يثبت انها جسم قالوا إنما من كان الاجسام فكيفياته محسوسة ومالم تكن كيفياته محسوسة فليس بجسم وكيفيات النفس انما هي الفضائل والرذائل وهذان الجنسان من الكيفيات ليسا محسوسين فالنفس ليست جسما

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا شغب فاسد ومقدمة كاذبة لان قولهم ان مالا تحس كيفياته فليس جسما دعوى كاذبة لا برهان عليها اصلا لا عقلي ولا حسي وما كان هكذا فهو قول ساقط مطروح لا يعجز عن مثله أحد ولكنا لا نقنع بهذا دون ان نبطل هذه الدعوى ببرهان حسي ضروري بعون الله تعالى وهو ان الفلك جسم وكيفياته غير محسوسة واما اللون اللازوردي الظاهر فانما يتولد فيما دونه من امتزاج بعض العناصر ووقوع خط البصر عليها وبرهان ذلك تبدل ذلك اللون بحسب العوارض المولدة له فمرة تراه أبيض صافي البياض ومرة ترى فيه حمرة ظاهرة فصح ان قولهم دعوى مجردة كاذبة وبالله تعالى التوفيق وايضاً فان الجسم تتفاضل انواعه في وقوع الحواس عليه فمنه مايدرك لونه وطعمه وريحه ومنه مالا يدرك منه الا المجسة فقط كالهواء ومنها النار في عنصرها لا يقع عليها شيء من الحواس اصلا بوجه من الوجوه وهى جسم عظيم المساحة محيط بالهواء كله فوجب من هذا ان الجسم كل مازاد لطافة وصفاء لم تقع عليه الحواس وهذا حكم النفس وما دون النفس فاكثره محسوس للنفس لا حس البتة الا للنفس ولا حساس الا هى فهي حساسة لا محسوسة ولم يجب قط لا بعقل ولا بحس ان يكون كل حساس محسوساً فسقط قولهم جملة والحمد لله رب العالمين وقالوا ان كل جسم فانه لا يخلو من ان يقع تحت جميع الحواس أو تحت بعضها والنفس لا تقع تحت كل الحواس ولا تحت بعضها فالنفس ليست جسما

﴿قال ابو محمد﴾ وهذه مقدمة فاسدة كما ذكرنا آنفا لان ماعدم اللون من الاجسام لم يدرك بالبصر كالهواء وكالنار في عنصرها وان ماعدم الرائحة لم يدرك بالشم كالهواء والنار والحصى والزجاج وغير ذلك وماعدم الطعم لم يدرك بالذوق كالهواء والنار والحصا والزجاج وماعدم المجسة لم يدرك باللمس كالهواء الساكن والنفس عادمة اللون والطعم والمجسة والرائحة فلا تدرك بشيء من الحواس بل هى المدركة لكل هذه المدركات وهى الحساسة لكل هذه المحسوسات فهي حساسة لا محسوسة وانما تعرف بآثارها وبراهين عقلية وسائر الاجسام والاعراض محسوسة لا حساسة ولا بد من حساس لهذه المحسوسات ولا حساس لها غير النفس وهى التي تعلم نفسها وغيرها وهى القابلة لاعراضها التي تتعاقب عليها من الفضائل والرذائل المعلومة بالعقل كقبول سائر الاجرام لما يتعاقب عليها من الاعراض بالعقل والنفس هي المتحركة

باختيارها

باختيارها المحركة لسائر الاجسام هي مؤثرة فيها تألم وتلتذ وتفرح وتحزن وتغضب وترضى وتعلم وتجهل وتحب وتكره وتذكر وتنسي وتنتقل وتحل فبطل قول هؤلاء ان كل جسم فلا بد من ان يقع تحت الحواس اوتحت بعضها لانها دعوى لادليل عليها وكل دعوى عريت من دليل فهي باطلة وقالوا كل جسم فانه لا محالة يلزمه الطول والعرض والعمق والسطح والشكل والكم والكيف فان كانت النفس جسما فلا بد ان تكون هذه الكيفيات فيها أو يكون بعضها فيها فاي الوجهين كان فهي اذا محاط بها وهي مدركة بالحواس أو من بعضها ولا نرى الحواس تدركها فليست جسما

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا كله صحيح وقضايا صادقة حاشا قضية واحدة ليست فيها وهي قولهم وهي مدركة من الحواس اومن بعضها فهذا هو الباطل المقحم بلا دليل وسائر ذلك صحيح وهذه القضية الفاسدة دعوى كاذبة وقد تقدم أيضاً افسادنا لها آنفاً مع تعريها عن دليل يصححها ونعم فالنفس جسم طويل عريض عميق ذات سطح وخط وشكل ومساحة وكيفية يحاط بهاذات مكان وزمان لان هذه خواص الجسم ولابد والعجب من قلة حياء من أقحم مع هذا فهي اذا مدركة بالحواس وهذا عين الباطل لان حاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الذوق وحاسة الشم وحاسة اللمس لا يقع شيءٌ منها لا على الطول ولا على العرض ولا على العمق ولا على السطح ولا على الشكل ولا على المساحة ولا على الكيفية ولا على الخط وانما تقع حاسة البصر على اللون فقط فان كان في شيءٍ مما ذكرنا لون وقعت عليه حاسة البصر وعلمت ذلك الملون بتوسط اللون والا فلا وانما تقع حاسة السمع على الصوت فان حدث في شيءٍ مما ذكرنا صوت وقعت عليه حاسة السمع حينئذ وعلمت ذلك المصوت بتوسطه والا فلا وانما تقع حاسة الشم على الرائحة فان كان في شيءٍ مما ذكرنا رائحة وقعت عليها حينئذ حاسة الشم وعلمت حامل الرائحة بتوسط الرائحة والا فلا وان كان لشيءٍ مما ذكرنا طعم وقعت عليه حينئذ حاسة الذوق وعلمت المذوق بتوسط الطعم والا فلا وان كان في شيءٍ مما ذكرنا مجسة وقعت عليها حاسة اللمس حينئذ وعلمت الملموس بتوسط المجسة والا فلا وقالوا ان من خاصة الجسم ان يقبل التجزي واذا جزىءُ خرج منه الجزؤ الصغير والكبير ولم يكن الجزء الصغير كالجزء الكبير فلا يخلو حينئذ من أحد أمرين اما ان يكون كل جزؤ منها نفساً فيلزم من ذلك ان

لاتكون النفس نفساً واحدة بل تكون حينئذ أنفساً كثيرة مركبة من أنفس واما ان لا يكون كل جزؤ منها نفساً فيلزم ان لا تكون كلها نفسا

﴿قال أبو محمد﴾ أما قولهم ان خاصة الجسم احتمال التجزى فهو صدق والنفس محتملة للتجزي لانها جسم من الاجسام وأما قولهم ان الجزؤ الصغير ليس كالكبير فان كانوا يريدون في المساحة فنعم وأما في غير ذلك فلا وأما قولهم انها ان تجزأت فاما ان يكون كل جزؤ منها نفساً والزامهم من ذلك انها مركبة من أنفس فان القول الصحيح في هذا ان النفس محتملة للتجزي بالقوة وان كان التجزى بانقسامها غير موجود بالفعل وهكذا القول في الفلك والكواكب كل ذلك محتمل للتجزي بالقوة وليس التجزي موجوداً في شيء منها بالفعل وأما قولهم انها مركبة من أنفس فشغب فاسد لاننا قد قدمنا في غير موضع ان المعاني المختلفة والمسميات المتغايرة يجب ان يوقع على كل واحد منها اسم يبين به عن غيره والا فقد وقع الاشكال وبطل التفاهم وصرنا الى قول السوفسطائية المبطلة لجميع الحقائق ووجدنا العالم ينقسم قسمين أحدهما مؤلف من طبائع مختلفة فاصطلحنا على ان سمينا هذا القسم مركباً والثاني مؤلف من طبيعة واحدة فاصطلحنا على ان سمينا هذا القسم بسيطا ليقع التفاهم في الفرق بين هذين القسمين ووجدنا القسم الاول لا يقع على كل جزؤ من أجزائه اسم كله كالانسان الجزئي فانه متألف من أعضاء لا يسمى شيء منها انسانا كالعين والانف واليد وسائر أعضائه التي لا يسمي عضو منها على انفراده انسانا فاذا تألفت سمي المتألف منها انساناً ووجدنا القسم الثاني يقع على كل جزؤ من أجزائه اسم كله كالارض والماء والهواء وكالنار وكالفلك فكل جزء من النار نار وكل جزء من الماء ماء وكل جزء من الهواء هواء وكل جزء من الفلك فهو فلك وكل جزء من النفس نفس وليس ذلك موجباً ان تكون الأرض مؤلفة من أرضين ولا ان يكون الهواء مؤلفاً من أهوية ولا أن يكون الفلك مؤلفاً من أفلاك ولا ان تكون النفس مؤلفة من أنفس وحتي لو قيل ذلك بمعنى ان كل بعض منها يسمى نفساً وكل بعض من الفلك يسمى فلكا فما كان يكون في ذلك مايعترض به على أنها جسم كسائر الاجسام التي ذكرنا وبالله تعالى التوفيق وقالوا أيضاً طبع ذات الجسم أن يكون غير متحرك والنفس متحركة فان كانت هذه الحركة التي فيها من قبل البارى تعالى فقد وجدنا

لها حركات فاسدة فكيف يضاف ذلك الى البارى تعالى

﴿قال أبو محمد﴾ وهذا الكلام فى غاية الفساد والهجنة ولقد كان ينبغى لمن ينتسب الى العلم ان كان يدرى مقدار سقوط هذه الاعتراضات وسخفها ان يصون نفسه عن الاعتراض بها لرذالتها وان كان لا يدرى رذالتها فكان ألاولى به ان يتعلم قبل ان يتكلم فاما قوله ان طبع ذات الجسم ان تكون غير متحركة فقول ظاهر الكذب والمجاهرة لان الافلاك والكواكب أجساما وطبعها الحركة الدائمة المتصلة ابداً الى أن يحيلها خالقها عن ذلك يوم القيامة وان للعناصر دون الفلك اجساما وطبعها الحركة الى مقرها والسكون فى مقرها واما النفس فلانها حية كان طبعها السكون الاختيارى والحركة الاختيارية حيناً وحيناً هذا كله لا يجهله احد به ذوق وأما قولهم ان لها حركات ردية فكيف تضاف الى البارى تعالى فانما كان بعض حركات النفس رديا بمخالفة النفس أمر باريها في تلك الحركات وانما أضيفت الى البارى تعالى لانه خلقها فقط على قولنا اولانه تعالي خلق تلك القوى التي بها كانت تلك الحركات فسقط الزامهم الفاسد والحمد لله رب العالمين وقالوا أيضاً ان الاجسام في طبعها الاستحالة والتغير واحتمال الانقسام أبداً بلا غاية ليس شيء منها الا هكذا أبداً فهي محتاجة الى من يربطها ويشدها ويحفظها ويكون به تماسكها قالوا والفاعل لذلك النفس فلو كانت النفس جسما لكانت محتاجة الى من يربطها ويحلها فيلزم من ذلك أن تحتاج الى نفس أخرى والاخري الى أخرى والاخري كذلك الى مالا نهاية له ومالا نهاية له باطل

﴿قال أبو محمد﴾ هذا أفسد من كل قول سبق من تشغيباتهم لان مقدمته مغشوشة فاسدة كاذبة اما قولهم ان الاجسام في طبعها الاستحالة والتغير على الاطلاق كذب لان الفلك جسم لا يقبل الاستحالة وانما تجب الاستحالة والتغيير في الاجسام المركبة من طبائع شتي بخلعها كيفياتها ولباسها كيفيات أخرى وبانحلالها الى عناصرها هكذا مدة ما أيضاً ثم تبقي غير منحلة ولا مستحيلة واما النفس فانها تقبل الاستحالة والتغيير في اعراضها فيتغير ويستحيل من علم الى جهل ومن جهل الى علم ومن حرص الى قناعة ومن بخل الى جود ومن رحمة الى قسوة ومن لذة الى ألم هذا كله موجود محسوس واما ان تستحيل في ذاتها فتصير ليست نفساً فلا وهذا الكوكب هو جسم ولا يصير غير كوكب والفلك لا يصير غير فلك واما قوله ان الاجسام

محتاجة الى مايشدها ويربطها ويمسكها فصحيح واما قوله ان النفس هي الفاعلة لذلك فكذب ودعوى بلا دليل عليها اقناعى ولا برهاني بل هو تمويه مدلس ليجوز باطله على أهل الغفلة وهكذا قول الدهرية وليس كذلك بل النفس من جملة الاجسام المحتاجة الى مايمسكها ويشدها ويقيمها وحاجتها الى ذلك كحاجة سائر الاجسام التي في العالم ولا فرق والفاعل لكل ذلك في النفس وفي سائر الاجسام والممسك لها والحافظ لجميعها والمحيل لما استحال منها فهو المبدى للنفس ولكل مافي العالم من جسم أو عرض والمتمم لكل ذلك هو الله الخالق الباري المصور عز وجل فبعض أمسكها بطبائعها التي خلقها فيها وصرفها فضبطها لما هى فيه وبعض أمسكها برباطات ظاهرة كالعصب والعروق والجلود لا فاعل لشيء من ذلك دون الله تعالى وقد قدمنا البراهين على كل ذلك في صدر كتابنا هذا فاغني عن ترداده والحمد لله رب العالمين * وقالوا أيضاً كل جسم فهو إماذو نفس واما لاذو نفس فان كانت النفس جسما فهى متنفسة اي ذات نفس واما لامتنفسة اى لاذات نفس فان كانت لامتنفسة فهذا خطأ لانه يجب من ذلك ان تكون النفس لانفساً وان كانت متنفسة اى ذات نفس فهى محتاجة الى نفس وتلك النفس الى اخرى والاخرى الى اخرى وهذا يوجب مالا نهايه له وما لانهاية له باطل

﴿ قال ابو محمد ﴾ هذه مقدمة صحيحة ركبوا عليها نتيجة فاسدة ليست منتجة على تلك المقدمة واما قولهم ان كل جسم فهو اما ذو نفس واما لاذو نفس فصحيح وأما قولهم ان النفس أن كانت غير متنفسة وجب من ذلك ان تكون النفس لانفسا فشغب فاسد بارد لايلزم لان معنى القول بان الجسم ذونفس انما هو ان بعض الاجسام أضيفت اليه نفس حية حساسة متحركة بارادة مدبرة لذلك الجسم الذى استضافت اليه ومعنى القول بان هذا الجسم غير ذى نفس انما هو انه لم يستضف اليه نفس فالنفس الحية هي المتحركة المدبرة وهي غير محتاجة الى جسم مدبر لها ولا محرك لها فلم يجب ان يحتاج الى نفس ولا ان تكون ليست نفسا ولا فرق بينهم فى قولهم هذا وبين من قال ان الجسم يحتاج الى جسم كما قالوا انه يجب ان تحتاج النفس الى نفس أو قال يجب ان يكون الجسم لا جسما كما قالوا يجب ان تكون النفس لانفسا وهذا كله هوس وجهل والحمد لله رب العالمين وقالوا لو كانت النفس جسما لكان الجسم نفسا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا من الجهل المفرط المظلم ولو كان لقائل هذا الجنون أقل علم بحدود الكلام لم يأت بهذه الغثاثة لان الموجبة الكلية لا تنعكس البتة انعكاساً مطرداً الا موجبة جزئية لا كلية وكلامهم هذا بمنزلة من قال لما كان الانسان جسما وجب ان يكون الجسم انسانا ولما كان الكلب جسما وجب ان يكون الجسم كلباً وهذا غاية الحمق والقحة لكن صواب القول في هذا ان يقول لما كانت النفس جسما كان بعض الاجسام نفساً ولما كان الكلب جسما وجب ان يكون بعض الاجسام كلباً وهذا هو العكس الصحيح المطرد اطراداً صحيحاً أبداً وبالله تعالى التوفيق وقالوا أيضاً ان كانت النفس جسما فهي بعض الاجسام واذا كانت كذلك فكلية الاجسام أعظم مساحة منها فيجب ان تكون أشرف منها

﴿ قال أبو محمد ﴾ من عدم الحياء والعقل لم يبال بما نطق به لسانه وهذه قضية في غاية الحمق لانها توجب ان الشرف انما هو بعظم الاجسام وكثرة المساحة ولو كان كذلك لكانت القضية والبابية وكان الحمار والبغل وكدس العذرة أشرف من الانسان المنبأ والفيلسوف لان كل ذلك أعظم مساحة منه ولكانت الغرلة أشرف من ناظر العين والالية أشرف من القلب والكبد والدماغ والصخرة أشرف من اللؤلؤة وأف لكل علم ادى الي مثل هذا ثم فان كثيراً من الاجسام اعظم مساحة من النفس وليس ذلك موجباً انها أشرف منها مع ان النفس الرذلة المضربة عما أوجبه التمييز وعن طاعة ربها الى الكفر به فكل شيء في العالم أشرف منها ونعوذ بالله من الخذلان وقالوا ان كانت النفس جسما آخر مع الجسم فالجسم نفس وشيء آخر واذا كان كذلك فالجسم أتم واذا كان أتم فهو أشرف

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا جنون مردد لانه ليس بكثرة العدد يجب الفضل والشرف ولا بعموم اللفظ يجب الشرف بل قد يكون الاقل والاخص أشرف ولو كان ماقالوه لوجب ان تكون الاخلاق جملةً شرف من الفضائل خاصة لان الاخلاق فضائل وشيء آخر فهى أتم فهى على حملهم السخيف أشرف وهذا مالا يقوله ذو عقل وهم يقرون ان النفس جوهر والجوهر نفس وجسم فالجوهر أشرف من النفس لانه نفس وشيء آخر وقد قالوا ان الحي يقع تحت النامي فيلزمهم ان النامي أشرف من الحي لانه حي وشيء آخر وهذا تخليط وحماقة ونعوذ بالله من الوسواس وقالوا أيضا كل جسم يتغذى والنفس لا تتغذى فهى غير جسم

﴿قال أبو محمد﴾ ان كان هؤلاء السخفاء اذ اشتغلوا بهذه الحماقات كانوا سكارى بل سكر الجهل والسخف اعظم من سكر الخمر لان سكر الخمر سريع الأفاقة وسكر الجهل والسخف بطيء الافاقة اتراهم اذ قالوا كل جسم فهو متغذ الم يروا الماء والارض والهواء والكواكب والفلك وان كل هذه أجسام عظام لاتتغذى وانما يتغذى من الاجسام النوامي فقط وهي أجساد الحيوان السكان في الماء والارض والشجر والنبات فقط فاذا كان عند هؤلاء النوكى مالا يتغذى ليس جسما فالارض والحجارة والكواكب والفلك والملائكة ليس كل ذلك جسما وكفى بهذا جنونا وخطأ ونحمد الله على السلامة وقالوا لو كانت النفس جسما لكانت لها حركة لان لكل جسم حركة ونحن لانري للنفس حركة فبطل ان تكون جسما

﴿قال ابو محمد﴾ هذه دعوي كاذبة وقد تناقضوا أيضاً فيها لانهم قد قالوا قبل هذا بنحو ورقة في بعض حججهم ان الاجسام غير متحركة والنفس متحركة وهنا قلبوا الامر فظهر جهلهم وضعف عقولهم واما قولهم لانرى لها حركة فمخرقة وليس كل مالايرى يجب ان ينكر اذا قام على صحته دليل ويلزمهم اذ ابطلوا حركة النفس لانهم لايرونها ان يبطلوا النفس جملة لانهم أيضاً لا يرونها ولا يسمعونها ولا يلمسونها ولا يذوقونها وحركة النفس معلومة بالبرهان وهو ان الحركة قسمان حركة اضطرار وحركة اختيار فحركة الاضطرار هي حركة كل جسم غير النفس هذا مالا يشك فيه فبقيت حركة الاختيار وهي موجودة يقينا وليس في العالم شيء متحرك بها حاشا النفس فقط فصح ان النفس هي المتحركة بها فصح ضرورة ان للنفس حركة اختيارية معلومة بلاشك واذلا شك في ان كل متحرك فهو جسم وقد صح ان النفس متحركة فالنفس جسم فهذا هو البرهان الضروري التام الصحيح لا تلك الوساوس والاهذار ونحمد الله على نعمه عزوجل وقالوا لو كانت النفس جسما لوجب ان يكون اتصالها بالجسم اما على سبيل المجاورة واما على سبيل المداخلة وهي الممازجة

﴿قال ابو محمد﴾ فبعد هذا ماذا ونعم فان النفس متصلة بالجسم على سبيل المجاورة ولا يجوز سوى ذلك اذ لايمكن ان يكون اتصال الجسمين الا بالمجاورة واما اتصال المداخلة فانما هي بين العرض والعرض والجسم والعرض على ما بينا قبل وقالوا أيضاً ان كانت النفس جسما فكيف يعرف الجسم بمماسة أم بغير مماسة

﴿قال أبو محمد﴾ الاجسام كلها حاش النفس موات لاعلم لها ولا حس ولا تعلم شيئاً وانما العلم والحس للنفس فقط فهي تعلم الاجسام والاعراض وخالق الاجسام والاعراض الذي هو خالقها ايضاً بما فيها من صفة الفهم وطبيعة التمييز وقوة العلم التي وضعها فيها خالقها عز وجل وسؤالهم بارد وقالوا أيضا ان كل جسم بدأ في نشوة وغاية ينتهي اليها وأجود مايكون الجسم اذا انتهي الى غايته فاذا أخذ في النقص ضعف وليست الانفس كذلك لاننا نرى أنفس المعمرين أكثر ضياء وأنفذ فعلا ونجد أبدانهم اضعف من ابدان الاحداث فلو كانت النفس جسما لنقص فعلها بنقصان البدن فاذا كان هذا كما ذكرنا فليست النفس جسما

﴿قال ابو محمد﴾ هذه مقدمة فاسدة الترتيب اما قولهم ان الجسم اجود مايكون اذ انتهي الى غايته فخطأ اذا قيل على العموم وانما ذلك في النوامي فقط وفي الاشياء التي تستحيل استحالة ذبولية فقط كالشجر واصناف أجساد الحيوان والنبات واما الجبال والحجارة والارض والبحار والهواء والماء والافلاك والكواكب فليس لها غاية اذا بلغتها اخذت في الانحطاط وانما يستحيل بعض مايستحيل من ذلك على سبيل التفتت كحجر كسرته فانكسر ولو ترك لبقي ولم يذبل ذبول الشجر والنبات وأجسام الحيوان وكذلك النفس لاتستحيل استحالة ذبول ولا استحالة تفتت وانما تستحيل اعراضها كما ذكرنا فقط ولا نماءله وكذلك الملائكة والفلك والكواكب والعناصر الاربعة لانماءلها وكل ذلك باق على هيئته التي خلقه الله تعالى عليها اذ خلق كل ذلك والنفس كذلك منتقلة من عالم الابتداء الى عالم الانتهاء الى عالم البرزخ الى عالم الحساب الى عالم الجزاء فتخلد فيه أبداً بلا نهاية وهي اذا تخلصت من رطوبات الجسد وكدره كانت أصفى نظراً وأصح علما كما كانت قبل حلولها في الجسد نسأل الله خير ذلك المنقلب بمنه آمين

﴿قال أبو محمد﴾ هذا ماموهوا به من كل نطيحة ومتردية قد تقصيناه لهم وبينا ان كله فساد وحماقات وتقصيناه بالبراهين الضرورية والحمد لله رب العالمين

﴿قال أبو محمد﴾ فاذا بطل كل ماشغب به من يقول ان النفس ليست جسما وسقط هذا القول لتعريه عن الادلة جملة فنحن ان شاء الله تعالى نوضح بعون الله عز وجل وقوته البراهين الضرورية على انها جسم وبالله تعالى نتأيد وذلك بعد ان نبين بتأييد الله عز وجل شغبين يمكن

ان يعترض بهما ان قال قائل اتمو النفس فان قلتم لاقلنا نحن نجدها تنشأ من صغر الى كبر وترتبط بالجسد بالغذاء واذا انقطع الغذاء انحلت عن الجسد ونجدها تسوء أخلاقها ويقل صبرها بعدم الغذاء فاذا تغذت اعتدلت اخلاقها وصلحت

«قال أبو محمد» لاتتغذى ولا تمو اماعدم غذائها فالبرهان القائم انها ليست مركبة من الطبائع الاربع وانها بخلاف الجسد هذا هو البرهان على انها لاتتغذى وهو ان ماتركب من العناصر الاربعة فلا بد له من الغذاء ليستخلف ذلك الجسد أوتلك الشجرة أوذلك النبات من رطوبات ذلك الغذاء أو أرضياته مثل ماتحلل من رطوباته بالهواء والحر وليست هذه صفة النفس اذ لو كانت لها هذه الصفة لكانت من الجسد او مثله ولو كانت من الجسد أو مثله لكانت مواتا كالجسد غير حساسة فاذ قد بطل ان تكون مركبة من طبائع العناصر بطل ان تكون متغذية نامية واما ارتباطها بالجسد من أجل الغذاء فهو امر لا يعرف كيفيته الا خالقها عز وجل الذى هو مدبرها الا انه معلوم انه كذلك فقط وهو كطحن المعدة للغذاء لايدرى كيف هو وغير ذلك مما يوجد الله عز وجل يعلمه ومن البرهان على ان النفس لاتتغذى ولا تمو ان البرهان قد قام على انها كانت قبل تركيب الجسد على آباد الدهور وانها باقية بعد انحلاله وليس هنالك في ذينك العالمين غذاء يولد نماء أصلا وأما ماظنوه من نشأتها من صغر الى كبر فخطأ وانما هو عودة من النفس إلى ذكرها الذى سقط عنها باول ارتباطها بالجسد فان سأل سائل اتموت النفس قلنا نعم لان الله تعالى نص على ذلك فقال* كل نفس ذائقة الموت* وهذا الموت انما هو فراقها للجسد فقط برهان ذلك قول الله تعالى* اخرجو أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون* وقوله تعالى* كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فاحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم* فصح ان الحياة المذكورة انما هي ضم الجسد الى النفس وهو نفخ الروح فيه وأن الموت المذكور انما هو التفريق بين الجسد والنفس فقط وليس موت النفس ممايظنه أهل الجهل وأهل الالحاد من إنها تعدم جملة بل هي موجودة قائمة كما كانت قبل الموت وقبل الحياة الاولى ولاانها يذهب حسها وعلمها بل حسها بعد الموت أصح ما كان وعلمها أتم ما كان وحياتها التي هي الحس والحركة الارادية باقية بحسبها أكمل ما كانت قط قال عز وجل* وان الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون* وهي راجعة الى البرزخ حيث رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة اسرى به عن الميمنة من آدم عليه

عليه السلام ومشئمته الى ان تحيا ثانية بالجمع بينها وبين جسدها يوم القيامة وأما أنفس الجن وسائر الحيوان فحيث شاء الله تعالى ولا علم لنا الا ما علمنا ولا يحل لاحد ان يقول بغير علم وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ فلنذكر الآن البراهين الضرورية على ان النفس جسم من الاجسام فمن الدليل على ان النفس جسم من الاجسام انقسامها على الاشخاص فنفس زيد غير نفس عمرو فلو كانت النفس واحدة لاتنقسم على مازعم الجاهلون القائلون انها جوهر لا جسم لوجب ضرورة ان تكون نفس المحب هي نفس المبغض وهي نفس المحبوب وان تكون نفس الفاسق الجاهل هي نفس الفاضل الحكيم العالم ولكانت نفس الخائف هي نفس المخوف منه ونفس القاتل هي نفس المقتول وهذا حمق لاخفاء به فصح انها نفوس كثيرة متغايرة الاماكن مختلفة الصفات حاملة لاعراضها فصح انها جسم بيقين لاشك فيه وبرهان آخر هو ان العلم لا خلاف في أنه من صفات النفس وخواصها لامدخل للجسد فيه أصلا ولا حظ فلو كانت النفس جوهراً واحداً لاتتجزى نفوساً لوجب ضرورة ان يكون علم كل أحد مستوياً لا تفاضل فيه لان النفس على قولهم واحدة وهي العالمة فكان يجب ان يكون كلما علمه زيد يعلمه عمرو لان نفسهما واحدة عندهم غير منقسمة ولا متجزئة فكان يلزم ولابد ان يعلم جميع أهل الارض ما يعلمه كل عالم في الدنيا لان نفسهم واحدة لاتنقسم وهي العالمة وهذا مالا انفكاك منه البتة فقد صح بما ذكرنا ضرورة ان نفس كل أحد غير نفس غيره وان أنفس الناس أشخاص متغايرة تحت نوع نفس الانسان وان نفس الانسان الكلية نوع تحت جنس النفس الكلية التي يقع تحتها أنفس جميع الحيوان واذ هي أشخاص متغايرة ذات أمكنة متغايرة حاملة لصفات متغايرة فهي أجسام ولا يمكن غير ذلك البتة وبالله تعالى التوفيق وأيضاً فان العالم كله محدود معروف أجسام وأعراض ولا مزيد فمن ادعى أن ههنا جوهراً ليس جسماً ولا عرضاً فقد ادعى مالا دليل عليه البتة ولا يتشكل في العقل ولا يمكن توهمه وما كان هكذا فهو باطل مقطوع على بطلانه وبالله تعالى التوفيق وأيضاً فان النفس لاتخلو من أن تكون خارج الفلك أو داخل الفلك فان كانت خارج الفلك فهذا باطل اذ قام البرهان على تناهي جرم العالم فليس وراء النهاية شيء ولو كان وراءها شيء لم تكن نهاية

فوجب ضرورة انه ليس خارج الفلك الذى هو نهاية العالم شئ لا خلاء ولا ملاء وان كانت في الفلك فهى ضرورة أما ذات مكان وأما محمولة في ذي مكان لانه ليس في العالم شيء غير هذين أصلا ومن ادعي ان في العالم شيئاً ثالثاً فقد ادعى المحال والباطل ومالا دليل له عليه وهذا لا يعجز عنه أحد وماكان هكذا فهو باطل بيقين وقدقام الدليل على ان النفس ليست عرضا لانها عالمة حساسة والعرض ليس عالما ولا حساساً وصح انها حاملة لصفاتها لامحمولة فاذ هى حاملة متمكنة فهى جسم لاشك فيه اذ ليس الاجسم حامل أوعرض محمول وقد بطل ان تكون عرضاً محمولا فهي جسم حامل وبالله تعالى التوفيق وأيضاً فلا تخلو النفس من ان تكون واقعة تحت جنس أولا فان كانت لا واقعة تحت جنس فهي خارجة عن المقولات وليس في العالم شيء خارج عنها ولا في الوجود شيء خارج عنها الا خالقها وحده لاشريك له وهم لايقولون بهذا بل يوقعونها تحت جنس الجوهر فاذهي واقعة تحت جنس الجوهر فانا نسألهم عن الجوهر الجامع للنفس وغيرها اله طبيعة أم لا فان قالوا لا وجب ان كل ما تحت الجوهر لاطبيعة له وهذا باطل وهم لايقولون بهذا فان قالوا لاندري ما الطبيعة قلنا لهم اله صفة محمولة فيه لا يوجد دونها أم لا فلا بد من نعم وهذا هو معني الطبيعة وان قالوا بل له طبيعة وجب ضرورة ان يعطي كل ماتحته طبيعة لان الاعلى يعطى لكل ماتحته اسمه وحدوده عطاء صحيحاً والنفس تحت الجوهر فالنفس ذات طبيعة بلا شك واذ صح ان لها طبيعة فكل ماله طبيعة فقد حصرته الطبيعة وما حصرته الطبيعة فهو ذو نهاية محدود وكل ذى نهاية فهو اما حامل واما محمول والنفس بلا شك حاملة لاعراضها من الاضداد كالعلم والجهل والذكاء والبلادة والنجدة والجبن والعدل والجور والقسوة والرحمة وغير ذلك وكل حامل فذو مكان وكل ذى مكان فهو جسم فالنفس جسم ضرورة وأيضاً فكل ما كان واقعاً تحت جنس فهو نوع من أنواع ذلك الجنس وكل نوع فهو مركب من جنسه الاعلى العام له من أنواعه ومركب أيضاً مع ذلك من فصله الخاص به المميز له من سائر الانواع الواقعة معه تحت جنس واحد فانه موضوع وهو جنسه القابل لصورته وصورة غيره وله محمول وهو صورته التي خصته دون غيره فهو ذو موضوع ومحمول فهو مركب والنفس نوع للجوهر فهي مركبة من موضوع ومحمول وهي قائمة بنفسها فهي جسم ولا بد

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذه براهين ضرورية حسية عقلية لا محيد عنها وبالله تعالى التوفيق وهذا قول جماعة من الاوائل ولم يقل ارسطاطاليس ان النفس ليست جسماً على ماظنه أهل الجهل وانما نفي أن تكون جسماً كدراً وهو الذي لا يليق بكل ذي علم سواه ثم لو صح انه قالها لكانت وهلة ودعوي لا برهان عليها وخطأ لا يجب اتباعه عليه وهو يقول في مواضع من كتبه اختلف أفلاطون والحق وكلاهما الينا حبيب غير ان الحق أحب الينا واذا جاز أن يختلف أفلاطون والحق فغير نكير ولا بديع أن يختلف ارسطاطاليس والحق وما عصم انسان من الخطأ فكيف وما صح قط انه قاله

﴿ قال أبو محمد ﴾ انما قال ان النفس جوهر لا جسم من ذهب الى انها هي الخالقة لما دون الله تعالى على ما ذهب اليه بعض الصابئين ومن كني بها عن الله تعالى

﴿ قال أبو محمد ﴾ وكلا القولين سخف وباطل لان النفس والعقل لفظتان من لغة العرب موضوعتان فيها لمعنيين مختلفين فاحالتهما عن موضوعهما في اللغة سفسطة وجهل وقلة حياء وتلبيس وتدليس

﴿ قال أبو محمد ﴾ وأما من ذهب الى ان النفس ليست جسماً ممن ينتمي الى الاسلام بزعمه فقول يبطل بالقرآن والسنة واجماع الامة فاما القرآن فان الله عزوجل قال * هنالك تبلو كل نفس ما أسلفت * وقال تعالى * اليوم تجزي كل نفس ما كسبت لا ظلم اليوم * وقال تعالى * كل أمرئ بما كسب رهين * فصح ان النفس هي الفعالة الكاسبة المجزية المخاطبة وقال تعالى * ان النفس لامارة بالسوء * وقال تعالى * ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب * وقال تعالى * ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله أموات بل أحياء ولكن لا تشعرون * وقال تعالى * ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم الله من فضله * فصح ان الانفس منها ما يعرض على النار قبل يوم القيامة فيعذب ومنها ما يرزق وينعم فرحا ويكون مسروراً قبل يوم القيامة ولا شك ان اجساد آل فرعون واجساد المقتولين في سبيل الله قد تقطعت أوصالها وأكلتها السباع والطير وحيوان الماء فصح ان الانفس منقولة من مكان الى مكان ولا شك في أن العرض لا يلقي العذاب ولا يحس فليست عرضاً وصح انها تنتقل في الاماكن قائمة بنفسها وهذه صفة الجسم لا صفة

الجوهر عند القائل به فصح ضرورة انها جسم وأما من السنن فقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ان أرواح الشهداء في حواصل طير خضر في الجنة وقوله صلى الله عليه وسلم انه رأي نسم بني آدم عند سماء الدنيا عن يمين آدم ويساره فصح ان الانفس مرئية في أماكنها وقوله عليه السلام ان نفس المؤمن اذا قبضت عرج بها الى السماء وفعل بها كذا ونفس الكافر اذا قبضت فعل بها كذا فصح انها معذبة ومنعمة ومنقولة في الاماكن وهذه صفة الاجسام ضرورة وأما من الاجماع فلا خلاف بين احد من أهل الاسلام في ان انفس العباد منقولة بعد خروجها عن الاجساد الى نعيم أو الي صنوف ضيق وعذاب وهذه صفة الاجسام ومن خالف هذا فزعم ان الانفس تعدم أوانها تنتقل الى أجسام أخر فهو كافر مشرك حلال الدم والمال بخرقه الاجماع ومخالفته القرآن والسنن ونعوذ بالله من الخذلان

﴿قال أبو محمد﴾ وقد ذكرنا في باب عذاب القبر ان الروح والنفس شيء واحد ومعني قول الله تعالى * ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي * انما هو لان الجسد مخلوق من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم عظما ثم لحما ثم أمشاجا وليس الروح كذلك وانما قال الله تعالى أمراله بالكون كن فكان فصح ان النفس والروح والنسمة اسماء مترادفة لمعنى واحد وقد يقع الروح أيضاً على غير هذا فجبريل عليه السلام الروح الامين والقرآن روح من عند الله وبالله تعالى التوفيق فقد بطل قولهم في النفس وصح انها جسم ولم يبق الا الكلام في الجزء الذي ادعوا انه لايتجزي

﴿قال أبو محمد﴾ ذهب جمهور المتكلمين الى أن الاجسام تنحل الى اجزاء صغار لايمكن البتة أن يكون لها جزء وان تلك الاجزاء جواهر لاأجسام لها وذهب النظام وكل من يحسن القول من الاوائل الى انه لاجزء وان دق الا وهو يحتمل التجزي ابداً بلا نهاية وانه ليس في العالم جزؤ لا يتجزء وان كل جزء انقسم الجسم اليه فهو جسم أيضاً وان دق أبداً

﴿قال ابو محمد﴾ وعمدة القائلين بوجود الجزء الذى لايتجزأ خمس مشاغب وكلها راجعة بحول الله وقوته عليهم ونحن ان شاء الله تعالى نذكرها كلها ونتقصي لهم كل ما موهوا به ونرى بعون الله عز وجل بطلان جميعها بالبراهين الضرورية ثم نرى بالبراهين الصحاح صحة القول بأن كل جزء فهو يتجزأ ابداً وانه ليس في العالم جزؤ لايتجزأ أصلا كما فعلنا بسائر الاقوال

والحمد

والحمد لله رب العالمين

﴿ قال ابو محمد ﴾ فأول مشاغبهم ان قالوا اخبرونا اذا قطع الماشي المسافة التي مشي فيها فهل قطع ذا نهاية او غير ذى نهاية فان قلتم قطع غير ذى نهاية فهذا محال وان قلتم قطع ذا نهاية فهذا قولنا

﴿ قال ابو محمد ﴾ فجوابنا وبالله تعالى التوفيق ان القوم أتوا من احدوجهين اما انهم لم يفهموا قولنا فتكلموا بجهل وهذا لا يرضاه ذو ورع ولا ذو عقل ولا حياء واما انهم لما عجزوا عن معارضة الحق رجعوا الى الكذب والمباهتة وهذه شر من الأولى وفي أحد هذين القسمين وجدنا كل من ناظرناه منهم في هذه المسألة وهكذا عرض لنا سواء مع المخالفين لنا في القياس المدعين لتصحيحه فانهم أيضاً أحد رجلين اما جاهل بقولنا فهو يقوّلنا مالا نقوله ويتكلم في في غير ما اختلفنا فيه واما مكابر ينسب الينا مالا نقوله مباهتة وجراءة على الكذب وعجزا عن معارضة الحق من اننا ننكر اشتباه الاشياء واننا ننكر قضايا العقول واننا ننكر استواء حكم الشيئين فيما اوجبه لهما ما اشتبها فيه وهذا كله كذب علينا بل نقر بذلك كله ونقول به وانما ننكر ان نحكم في الدين لشيئين بتحريم او ايجاب او تحليل من اجل انهما اشتبها في صفة من صفاتهما فهذا هو الباطل البحت والحمد لله رب العالمين على عظيم نعمه * ونقول على هذا السؤال الذى سألوناعنه اننا لم نرفع النهاية عن الاجسام كلها من طريق المساحة بل نثبتها ونعرفها ونقطع على ان كل جسم فله مساحة ابداً محدودة ولله الحمد وانما نفينا النهاية عن قدرة الله تعالى على قسمة كل جزء وان دق واثبتنا قدرة الله تعالى على ذلك وهذا هو شيء غير المساحة ولم يتكلف القاطع بالمشي او بالذرع او بالعمل قسمة ما قطع ولا تجزئته وانما تكلف عملا او مشى في مساحة معدودة بالميل او بالذراع او الشبر او الاصبع اوما اشبه ذلك وكل هذا له نهاية ظاهرة وهذا غير الذي نفينا وجود النهاية فيه فبطل الزامهم والحمد لله كثيراً ثم نعكس هذا الاعتراض عليهم فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق نحن القائلون بأن كل جسم فله طول وعرض وعمق وهو محتمل للانقسام والتجزئ وهذا هو اثبات النهاية لكل جزء انقسم الجسم اليه من طريق المساحة ضرورة وانتم تقولون ان الجسم ينقسم الى اجزاء ليس لشيء منها عرض ولا طول ولا عمق ولا مساحة ولا يتجزأ وليست أجساماً وان الجسم هو تلك الاجزاء نفسها ليس هو شيء غيرها اصلا وان تلك الاجزاء ليس

لشيء منها مساحة فلزمكم ضرورة اذ الجسم هو تلك الاجزاء اوليست اجساماً وان الجسم هو تلك الاجزاء وليس هو غيرها وكل جزء من تلك الاجزاء لا مساحة له ان الجسم لامساحة له وهذا امر يبطله العيان واذا لم تكن له مساحة والمساحة هي النهاية في ذرع الاجسام فلانهاية لما قطعه القاطع من الجسم على قولهم وهذا باطل والاعتراض الثاني ان قالوا لابد ان يلي الجرم من الجرم الذى يليه جزء ينقطع ذلك الجرم فيه قالوا وهذا اقرار بجزء لايتجزأ

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تمويه فاسد لاننا لم ندفع النهاية من طريق المساحة بل نقول ان لكل جرم نهاية وسطحاً ينقطع تماديه عنده وان الذى ينقطع به الجرم اذا جزئ فهو متناه محدود ولكنه محتمل للتجزى أيضاً وكل ماجزئ فذلك الجزء وهو الذى يلي الجرم الملاصق له بنهايته من جهته التي لاقاه منها لاماظنوا من أن حد الجرم جزء منه وهو وحده الملاصق للجرم الذى يلاصقه بل هو باطل بما ذكرنا لكن الجزء وهو الملاصق للجرم بسطحه فاذا جزئ كان الجزء الملاصق للجرم بسطحه هو الملاصق له حينئذ بسطحه لا الذى خر عن ملاصقته وهكذا أبداً والكلام في هذا كالكلام في الذى قبله ولا فرق والاعتراض الثالث ان قالوا هل الف اجزاء الجسم الا الله تعالى فلا بد من نعم قالوا فهل يقدر الله على تفريق اجزاء حتى لايكون فيها شيء من التأليف ولا تحتمل تلك الاجزاء التجزئ أم لا يقدر على ذلك قالوا فان قلتم لايقدر عجزتم ربكم تعالى وان قلتم يقدر فهذا اقرار منكم بالجزء الذى لايتجزأ

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا هو من اقوى شبههم التي شغبوا بها وهو حجة لنا عليهم والجواب اننا نقول لهم وبالله تعالى التوفيق ان سؤالكم سؤال فاسد وكلام فاسد ولم تكن قط اجزاء العالم متفرقة ثم جمعها الله عز وجل ولا كانت له اجزاء مجتمعة ثم فرقها الله عز وجل لكن الله عز وجل خلق العالم بكل مافيه بان قال له كن فكان او بان قال لكل جرم منه اذا اراد خلقه كن فكان ذلك الجرم ثم ان الله تعالى خلق جميع ما اراد جمعه من الاجرام التى خلقها مفترقة ثم جمعها وخلق تفريق كل جرم من الاجرام التي خلقها مجتمعة ثم فرقها فهذا هو الحق لاذلك السؤال الفاسد الذي اجملتموه واوهمتم به اهل الغفلة ان الله تعالى الف العالم من اجزاء خلقها متفرقة وهذا باطل لانه دعوى بلا برهان عليها ولا فرق بين من

قال ان الله تعالى الف اجزاء العالم وكانت متفرقة وبين من قال بل الله تعالى فرق العالم اجزاء وانما كان جزأ واحداً وكلاهما دعوى ساقطة لا برهان عليها لا من نص ولا من عقل بل القرآن جاء بما قلناه نصاً قال تعالى * انما أمرنا لشيء اذا أردناه ان نقول له كن فيكون * ولفظة شيء تقع على الجسم وعلى العرض فصح ان كل جسم صغر او كبر وكل عرض في جسم فان الله تعالى اذا أراد خلقه قال له كن فكان ولم يقل عز وجل قط انه الف كل جرم من أجزاء متفرقة فهذا هو الكذب على الله عز وجل حقاً فبطل ماظنوا انهم يلزموننا به ثم نقول لهم ان الله تعالى قادر على ان يخلق جسما لا ينقسم ولكنه لم يخلقه في بنية هذا العالم ولا يخلقه كما انه تعالى قادر على ان يخلق عرضاً قائما بنفسه ولكنه تعالى لم يخلقه في بنية هذا العالم ولا يخلقه لانهما مما رتبه الله عز وجل محالا في العقول والله تعالى قادر على كل مايسأل عنه لا نحاشي شيئاً منها الا انه تعالى لا يفعل كل مايقدر عليه وانما يفعل مايشاء وماسبق في علمه انه يفعله فقط وبالله تعالى التوفيق * ثم نعطف هذا السؤال نفسه عليهم فنقول لهم هل يقدر الله عز وجل على ان يقسم كل جزء وينقسم كل قسم من اقسام الجسم أبداً بلا نهاية ام لا فان قالوا لا يقدر على ذلك عجزوا ربهم حقاً وكفروا وهو قولهم دون تأويل ولا الزام ولكنهم يخافون من أهل الاسلام فيملحون ضلالتهم باثبات الجزء الذي لا يتجزاء جملة * وان قالوا انه تعالى قادر على ذلك صدقوا ورجعوا الى الحق الذي هو نفس قولنا وخلاف قولهم جملة ونحن لا نخالفهم قط فى ان اجزاء طحين الدقيق لا يقدر مخلوق في العالم على تجزئة تلك الاجزاء وانما خالفناهم في ان قلنا نحن ان الله تعالى قادر على مالا نقدر نحن عليه من ذلك وقالوا هم بل هو غير قادر على ذلك تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً وقولهم في تناهي القدرة على قسمة الله تعالى الاجزاء هو القول بان الله تعالى يبلغ من الخلق الى مقدار ماثم لا يقدر على الزيادة عليه ويبقى حسيراً عاجزاً تعالى الله عن هذا الكفر ولعمري ان أبا الهذيل شيخ المثبتين للجزء الذي لا يتجزاء ليحن الى هذا المذهب حنيناً شديداً وقد صرح بان لما يقدر الله عليه كلا وآخرا لو خرج الى الفعل لم يكن الله تعالى قادراً بعده على تحريك ساكن ولا تسكين متحرك ولا على فعل شيء أصلا ثم تدارك كفره فقال ولا يخرج ذلك الآخر أبداً الي حد الفعل

﴿ قال ابو محمد ﴾ فيقال له ما المانع من خروجه والنهاية حاصرة له والفعل قائم فلابد مع طول الزمان من البلوغ الى ذلك الآخر

﴿ قال أبو محمد ﴾ نعوذ بالله من الضلال والاعتراض الرابع هو ان قالوا أيما أكثر أجزاء الجبل أو أجزاء الخردلة وأيما أكثر أجزاء الخردلة أو أجزاء الخردلتين قالوا فان قلتم بل أجزاء الخردلتين وأجزاء الجبل صدقتم وأقررتم بتناهي التجزي وهو القول بالجزء الذى لايتجزءوان قلتم ليس أجزاء الجبل أكثر من أجزاء الخردلة ولا أجزاء الخردلتين أكثر من أجزاء الخردلة كابرتم العيان لانه لايحدث في الخردلة جزؤ الاويحدث في الخردلتين جزآن وفي الجبل أجزاء وادعوا علينا اننا نقول ان في كل جسم أجزاء لانهاية لعددها ولا آخر لها وان من قطع بالمشى مكانا ما أو قطع بالجلمتين شيئا فانما قطع مالا نهاية لعدده وقالوا ان عمدة حجتكم على الدهرية هو هذا المعنى نفسه في الزامكم اياهم وجوب القلة والكثرة في عدد الاشخاص واوقات الزمان وايجابكم ان كل ما حصره العدد فذو نهاية وانكاركم على الدهرية وجود أشخاص وازمان لانهاية لعددها قالوا ثم نقضتم كل ذلك في هذا المكان

﴿ قال أبو محمد ﴾ هو الذى قلنا انهم اما لم يفهموا كلامنا في هذه المسألة فقولونا مالانقوله بظنونهم الكاذبة واما انهم عرفوا قولنا فحرفوه قلة حياء واستحلال الكذب وجراءة على عمل الفضيحة لهم في كذبهم وعجزا منهم عن كسر الحق ونصر الباطل فاعلموا ان كل مانسبوه الينا من قولنا ان من قطع مكاناً أو شيئاً بالمشي أو بالجلمتين فانما قطع مالا نهاية له فباطل ماقلناه قط بل ماقطع الا ذا نهاية بمساحته وزمانه وأما احتجاجنا على الدهرية بما ذكروا فصحيح هو حجتنا على الدهرية وأما ادعاؤهم اننا نقضنا ذلك في هذا المكان فباطل والفرق بين ماقلناه من ان كل جزء فهو يتجزأ أبداً بلا نهاية وبين ما احتججنابه على الدهرية من ايجاب النهاية بوجود القلة والكثرة في اعداد الاشخاص والازمان وانكارنا عليهم وجود أشخاص وأزمان لانهاية لها بل هو حكم واحد وباب واحد وقول واحد ومعنى واحد وذلك ان الدهرية أثبتت وجود أشخاص قد خرجت الى الفعل لانهاية لعددها ووجود أزمان قد خرجت الى الفعل لانهاية لها وهذا محال ممتنع وهكذا قلنا في كل جزء خرج الى أحد الفعل فانها متناهية العدد بلا شك ولم نقل قط ان أجزائه موجودة

منقسمة لا نهاية لعددها بل هذا باطل محال ثم ان الله تعالى قادر على الزيادة في الاشخاص وفي الازمان وفي قسمة الجزء ابداً بلا نهاية لكن كل ما خرج الى الفعل أو يخرج من الاشخاص اوالازمان أو تجزئة الاجزاء فكل ذلك متناه بعدده اذا خرج وهكذا أبداً وأما مالم يخرج الى حد الفعل بعد من شخص أو زمان أو تجزى فليس شيئاً ولا هو عدداً ولا ممدوداً ولا يقع عليه عدد ولا هو شخص بعد ولا زمان ولا جزؤ وكل ذلك عدم وانما يكون جزءً اذا جزى بقطع أو برسم مميز لاقبل أن يجزء وبهذا تتبين غثاثة سؤالهم في أيما اكثر أجزاء الخردلة أو أجزاء الجبل أو أجزاء الخردلتين لان الجبل اذا لم يجزأ والخردلة اذا لم تجزأ والخردلتان اذا لم تجزآ فلا أجزاء لها أصلا بعد بل الخردلة جزؤ واحد والجبل جزؤ واحدو الخردلتان كل واحدة منهما جزؤ فاذا قسمت الخردلة على سبعة أجزاء وقسم الجبل جزأين وقسمت الخردلتان جزئين جزئين فالخردلة الواحدة بيقين أكثر أجزاء من الجبل والخردلتين لانها صارت سبعة أجزاء ولم يصر الجبل والخردلتان الا ستة أجزاء فقط فلو قسمت الخردلة ستة أجزاء لكانت أجزاؤها وأجزاء الجبل والخردلتين سواء ولو قسمت الخردلة خمسة أجزاء وكانت اجزاء الجبل والخردلتين اكثر من اجزاء الخردلة وهكذا في كل شيء فصح انه لايقع التجزى في شيء الا اذا قسم لاقبل ذلك فان كانوا يريدون في ايهما تمكننا التجزئة اكثر فى الجبل والخردلتين ام في الخردلة الواحدة فهذا ما لاشك فيه ان التجزى امكن لنا في الجبل وفى الخردلتين منه في الخردلة الواحدة لان الخردلة الواحدة عن قريب تصغر اجزاؤها حتي لانقدر نحن على قسمتها ويتمادي لنا الامر في الجبل كثيراً حتي انه يفني عمر احدنا قبل ان يبلغ تجزئته الى اجزاء تدق عن قسمتنا واما قدرة الله عز وجل على قسمة ماعجزنا نحن عن قسمته من ذلك فباقية غير متناهية وكل ذلك عليه هين سواء ليس بعضه اسهل عليه من بعض بل هو قادر على قسمة الخردلة ابداً بلا نهاية وعلى قسمة الفلك كذلك ولا فرق وبالله تعالى التوفيق ونزيد بياناً فنقول ان الشيء قبل ان يجزأ فليس متجزئاً فاذا جزء بنصفين او جزئين فهو جزءآن فقط فاذا جزء على ثلاثة اجزاء فقط فهو ثلاثة اجزاء وهكذا ابداً واما من قال او ظن ان الشيء قبل ان ينقسم وقبل ان يجزأ انه منقسم بعد ومتجزء بعد فوسواس وظن

كاذب لكنه محتمل الانقسام والتجزى وكل ماقسم وجزأ فكل جزؤ ظهر منه فهو ممدود متناه وكذلك كل جسم فطوله وعرضه متناهيان بلا شك والله تعالى قادر على الزيادة فيهما أبداً بلا نهاية الا ان كل مازاده تعالى في ذلك واخرجه الى حد الفعل فهو متناه ومعدود ومحدود وهكذا ابداً وكذلك الزيادة في اشخاص العالم وفي العدد فان كل ماخرج الى حد الفعل من الاشخاص ومن الاعداد فذو نهاية والله تعالى قادر على الزيادة في الاشخاص ابداً بلا نهاية والزيادة في العدد ممكنة ابداً بلا نهاية الا ان كل ماخرج من الاشخاص والاعداد الى الفعل صحبته النهاية ولا بد ثم نعكس هذ السؤال عليهم فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق اتفضل عندكم قدرة الله تعالى على قسمة الجبل على قدرته على قسمة الخردلة وهل تأتى حال يكون الله فيها قادراً على قسمة أجزاء الجبل غير قادر على قسمة اجزاء الخردلة أم لا فان قالوا بل قدرة الله تعالى على قسمة الجبل اتم من قدرته على قسمة الخردلة وأقروا بانه تأتى حال يكون الله تعالى فيها قادرا على قسمة اجزاء الجبل غير قادر على قسمة اجزاء الخردلة كفروا وعجزوا ربهم وجعلوا قدرته محدثة متفاضلة متناهية وهذا كفر مجرد وان أبوا من هذا وقالوا ان قدرة الله تعالى على قسمة الجبل والخردلة سواء وانه لا سبيل الى وجود حال يقدر الله تعالى فيها على تجزئة اجزاء الجبل ولا يقدر على تجزئة أجزاء الخردلة صدقوا ورجعوا الى قولنا الذي هو الحق وما عداه ضلال وباطل والحمد لله رب العالمين * والاعتراض الخامس هو أن قالوا هل لاجزاء الخردلة كل أم ليس لها كل وهل يعلم الله عدد أجزائها أم لا يعلمه * فان قلتم لا كل لها نفيتم النهاية عن المخلوقات الموجودات وهذا كفر وان قلتم ن الله تعالى لا يعلم عدد أجزائها كفرتم وان قلتم ان لها كلا وان الله تعالى يعلم أعداد أجزائها أقررتم بالجزء الذي لا يتجزأ

« قال أبو محمد » وهذا تمويه لائح ينبغى التنبيه عليه لئلا يجوز على أهل الغفلة وهو أنهم اقحموا لفظة كل حيث لا يوجد كل وسألوا هل يعلم الله تعالى عدد مالا عدد له وهم في ذلك كمن سأل هل يعلم الله تعالى عدد شعر لحية الاحلس أم لا وهل يعلم جميع أولاد العقيم أم لا وهل يعلم كل حركات أهل الجنة والنار ام لا فهذه السؤالات كسؤالهم ولا فرق * وجوابنا في ذلك كله ان الله عز وجل انما يعلم الاشياء على ماهي عليه لا على خلاف ماهي عليه لان من علم الشيء

على ماهو عليه فقد علمه حقا وأما من علم الشيء على خلاف ماهو عليه فلم يعلمه بل جهله وحاشا لله من هذه الصفة فما لا كل له ولا عدد له فانما يعلمه الله عز وجل ان لا عدد له ولا كل وما علم الله عز وجل قط عدداً ولا كلا الا لماله عدد وكل لا لما لا عدد له ولا كل وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد شعر لحية الاطلس ولا علم قط ولد العقيم فكيف ان يعرف لهم كلا وكذلك لم يعلم الله عز وجل قط عدد أجزاء الجبل ولا الخردلة قبل ان يجزآ لانهما لا اجزاء لهما قبل التجزئة وانما علمهما غير متجزئين وعلمهما محتملين للتجزي فاذا جزئا علمهما حينئذ متجزئين وعلم حينئذ عدد أجزائهما ولم يزل تعالى يعلم انه يجزء كل مالا يتجزء ولم يزل يعلم عدد الاجزاء التي لا تخرج في المستأنف الى حد الفعل ولم يزل يعلم عدد مايخرج من الاشخاص بخلقه فى الابد الى حد الفعل اولم يزل يعلم انه لاشخاص زائدة على ذلك ولا اجزاء لما لم ينقسم بعد وكذلك ليس للخردلة ولا للجبل قبل التجزي أجزاء أصلا واذ ذلك كذلك فلا كل هاهنا ولا بعض فهذا بطلان سؤالهم والحمد لله رب العالمين ثم نعكس عليهم هذا السؤال فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق اخبرونا عن الشخص الفرد من خردلة اووبرة اوشعرة او غير ذلك اذا جزأنا كل ذلك جزئين او اكثر متي حدثت الاجزاء احين جزئت ام قبل ان يجزؤا فان قالوا قبل ان يجزؤا ناقضوا اسمج مناقضة لانهم اقروا بحدوث اجزاء كانت قبل حدوثها وهذا سخف وان قالوا انما حدثت لها الاجزاء حين جزئت لاقبل ذلك سألناهم متى علمها الله تعالي متجزئة حين حدث فيها التجزى ام قبل ان يحدث فيها التجزى فان قالوا بل حين حدث فيها التجزى صدقوا وأبطلوا قولهم فى اجزاء الخردلة وان قالوا بل علم انها متجزئة وان لها اجزاء قبل حدوث التجزى فيها جهلوا ربهم تعالى اذ اخبروا انه يعلم الشيء بخلاف ماهو عليه ويعلم اجزاء لما لا اجزاء له وهذا ضلال وبالله تعالى التوفيق

﴿قال ابو محمد﴾ هذا كل ماموهوا به لم ندع لهم منه شيئاً الا وقد اوردناه وبينا انه كله لا حجة لهم في شيء منه وانه كله عائد عليهم وحجة لنا والحمد لله رب العالمين ثم نبتدئ بحول الله تعالى وقوته بايراد البراهين الضرورية على ان كل جسم في العالم فانه متجزؤ محتمل للتجزئة وكل جزء من جسم فهو أيضاً جسم محتمل للتجزي وهكذا أبداً وبالله تعالى نتايد

﴿قال أبو محمد﴾ يقال لهم وبالله تعالى نستعين اخبرونا عن هذا الجزء الذي قلتم انه لا يتجزى أهو

في العالم أم ليس في العالم ولا سبيل الي قسم ثالث فان قالوا ليس هو في العالم صدقوا وأبطلوه الا أنهم يلزمهم قول فاحش وهو انهم يقولون ان جميع العالم مركب من أجزاء لا تتجزأ والكل ليس هو شيئاً غير تلك الاجزاء فان كانت تلك الاجزاء ليست في العالم فالعالم عدم ليس في العالم وهذا تخليط كما ترى وان قالوا بل هو في العالم قلنا لهم لايخلوا ان كان في كرة العالم من ان يكون أما قائما بنفسه حاملا واما ان يكون محمولا غير قائم بنفسه لابد ضرورة من أحد الامرين اذ ليس العالم كله الا على هذين القسمين فان كان محمولا غير قائم بنفسه فهو عرض من الاعراض وان كان حاملا قائماً بنفسه ذا مكان فهو جسم وثم يقال لهم اخبرونا عن الجزء الذى ذكرتم انه لايتجزأ وهو على قولكم في مكان لانه بعض من أبعاض الجسم هل الملاقي منه للمشرق هو الملاقى للمغرب أم غيره وهل المحازي منه للسماء هو المحازى منه للارض أم هو غيره فان قالوا كل ذلك واحد والملاقي منه للمشرق هو الملاقي منه للمغرب والمحازى منه للسماء هو المحازى منه للارض أتوابا حدي العظائم وجعلوا جهة المشرق منه هي جهة المغرب وجعلوا السماء والارض منه في جهة واحدة وهذا حمق لايبلغه الا الموسوس ومكابرة للعيان لايرضاها لنفسه سالم البنية وان قالوا بل الملاقي منه المشرق هو غير الملاقي منه للمغرب وان السماء والارض منه فى جهتين متقابلتين فوق وأسفل صدقوا وهكذا جهة الجنوب والشمال فاذ ذلك كذلك بلا شك فقد صح انه ذو جهات ست متغايرة وهذا اقرار منهم بانه ذو أجزاء اذ قطعوا بان الملاقي منه للمغرب غير الملاقى منه للمشرق ومن للتبعيض وابطل قولهم من قرب والحمد لله رب العالمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ فان أرادوا الزامنا مثل هذا في العرض قلنا ليس للعرض جهة ولا له مكان ولا يقوم بنفسه ولا يحاذى شيئا وانما يحاذى الاشياء حامل العرض لا العرض اذ لو ارتفع العرض لبقي حامله مالئاً لمكانه كما كان محاذيا من جميع جهاته ما كان يحاذى حين حمله للعرض سواء سواء ولو ارتفع في قولكم الجزء الذي لايتجزأ لبقى مكانه خالياً منه وقد أوضحنا ان عرضين واعراضاً تكون في جسم واحد فى جهة واحدة منه وهم لايختلفون في ان جزئين كل واحد منهما لايتجزأ فلا يمكن البتة ان يكونا جميعاً في مكان واحد بل لكل واحد منهما عندهم مكانا غير مكان الآخر وبرهان آخر وهو انهم يقولون ان الجزء الذي لايتجزأ

لاطول له ولا عرض ولا عمق فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق اذا أضفتم الى الجزء الذي لايتجزأ عندكم جزأً آخر مثله لايتجزأ أليس قد حدث لهما طول فلابد من قولهم نعم لايختلفون في ذلك ولو انهم قالوا لايحدث لهما طول للزمهم مثل ذلك فى اضافة جزء ثالث ورابع وأكثر حتى يقولوا ان الاجسام العظام لاطول لها ويحصلوا في مكابرة العيان فنقول لهم اذا قلتم ان جزأً لايتجزأ لاطول له اذا ضم اليه جزء آخر لايتجزأ ولا طول له فأيهما يحدث له طول فقولوا لنا هل يخلو هذا الطول الحادث عندكم من أحد ثلاثة أوجه لا رابع لها اما ان يكون هذا الطول لاحدهما دون الآخر أو لا لواحد منهما ولكليهما فان قلتم ليس هذا الطول لهما ولا لواحد منهما فقد أوجبتم طولا لالطويل وطولا قائما بنفسه والطول عرض والعرض لايقوم بنفسه وصفة والصفة لايمكن ان توجد الا في موصوف بها ووجود طول لالطويل مكابرة ومحال وان قلتم ان ذلك الطول هو لاحد الجزئين دون الآخر فقد أحلتم وأتيتم بما لاشك بالحس وضرورة العقل في بطلانه ولزمكم ان الجزء الذي لايتجزأ له طول واذا كان له طول فهو بلا شك يتجزأ وهذا ترك منكم لقولكم مع انه أيضاً محال لانه يجب من هذا انه يتجزى ولايتجزى وان قلتم ان ذلك الطول للجزئين معا صدقتم وأقررتم بالحق في ان كل جزء منهما فله حصته من الطول والحصة من الطول طول بلا شك واذا كان كل واحد منهما له طول فكل واحد منهما يتجزأ وهذا خلاف قولكم انه لايتجزى وهذا برهان ضروري أيضاً لامحيد عنه وبالله تعالى التوفيق برهان آخر

﴿ قال أبو محمد ﴾ ونقول لهم أيما أطول جزآن لايتجزأ كل واحد منهما وقد ضم أحدهما الى الآخر أم أحدهما غير مضموم الى الآخر فلا يجوز ان يقول أحد الا ان الجزئين المضمومين أطول من أحدهما غير مضموم الى الآخر فاذ ذلك كذلك فمن المحال الممتنع الباطل ان يقال في شيء هذا أطول من هذا الا وفي الاخر طول دون طول ماهو أطول منه فقد صح ضرورة ان الطول موجود لكل جزء قالوا فيه انه لايتجزأ واذا كان له طول فهو منقسم بلا خلاف من أحد منا ومنهم وهكذا القول في عرضهما ان ضم أحدهما الى الآخر وفي عمقهما كذلك ولابد من ان يكون لكل واحد منهما حصة من العرض والعمق واذ ذاك كذلك ضرورة فكل جزء قالوا فيه انه لايتجزى فلابد من ان يكون له طول وعرض

وعمق واذ ذلك كذلك فهو جسم يتجزأ ولا بد وهذا أيضاً برهان ضروري لا محيد عنه وبالله تعالى التوفيق * وقد رام أبو الهذيل التخلص من هذا الالزام فبعد ذلك عليه لانه رام محالا فقال ان الطول الحادث للجزئين عند اجتماعهما انما هو كالاجتماع الحادث لهما ولم يكن لهما ولا لاحدهما اذ كانا منفردين

﴿ قال ابو محمد ﴾ وهذا تمويه ظاهر لان الاجتماع هو ضم أحدهما الى الآخر نفسه ليس هو شيئاً آخر ولم يكونا قبل الضم والجمع مضمومين ولا مجتمعين وليس معنى الطول والعرض والعمق كذلك بل هو شيء آخر غير الضم والجمع وانما هو صفة للطويل مضموما كان الى غيره او غير مضموم ولا يوجب الجمع والضم طولا لم يكن واجبا قبل الضم والجمع فلم يزد ابو الهذيل على ان قال لما اجتمعا صارا مجتمعين وصارا طويلين وهذه دعوى فاسدة ونظار منحل لان قوله لما اجتمعا صارا مجتمعين صحيح لا شك فيه وقوله وصارا طويلين دعوى مجردة من الدليل جملة وما كان هكذا فهو باطل وأيضاً فان الاجتماع لما حدث بينهما بطل معنى آخر كان موجوداً فيهما وهو الافتراق الذي هو ضد الاجتماع فاخبرونا اذا حدث الطول بزعمكم فاي شيء هو المعنى الذي ذهب بوجود الطول وعاقبة الطول ولا سبيل لهم الى وجوده فصح ان الطول كان موجوداً في كل جزء على انفراده وكذلك العرض والعمق ثم لما اجتمعا زاد الطول والعرض والعمق وهكذا أبدا وبالله تعالى التوفيق وهذا هو الذى تشهد له الحواس والمشاهدة والعقل والحمد لله رب العالمين * وبرهان آخر وهو ان الجرم ازكان أحمر فكل جزؤ من أجزائه أحمر بلا شك فان قالوا ليس أحمر قلنا لهم فلعله أخضر أو أصفر أو غير ذى لون وهذا عين المحال لان الكل قد بينا انه ليس هو شيئاً غير أجزائه فلو كان لون أجزائه غير لونه كله لكان لونه غير لونه وهذا محال فاذ لا شك فيما ذكرنا فالجزؤ الذي يدعون انه لا يتجزأ هو ذو لون بلا شك واذ هو ذو لون فهو جسم لا يعقل غير ذلك فهو يتجزى

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقالت الاشعرية ههنا كلاما ظريفا وهو انهم قالوا هو ذو لون واحد

﴿ قال أبو محمد ﴾ كل ملون فهو ذو لون واحد لا ذو ألوان كثيرة الا ان يكون أبلق أو موشى برهان آخران وجود شيء في العالم قائم بنفسه ليس جسما ولا عرضاً ولا قابلا للتجزئ ولا طول له ولا عرض ولا عمق فهو محال ممتنع اذ هذا المذكور ليس هو شيئاً غير البارى

تعالى وجل تعالى ان يكون له في العالم شبه وبهذا بان عز وجل عن مخلوقاته ولم يكن له كفواً أحد وليس كمثله شيء برهان آخر

﴿قال أبو محمد﴾ كل شيء يحتمل ان يكون له أجزاء كثيرة فبالضرورة ندرى انه يحتمل ان يجزأ الى أقل منها هذا مالا تختلف العقول والاحساس فيه كشيء احتمل ان يقسم على أربعة أقسام فلا شك انه يحتمل ان يقسم على ثلاثة وعلى اثنين وهكذا في كل عدد ومن دافع في هذا فانما يدافع الضرورة ويكابر العقل فلو أقمت خطا من ثلاثة أجزاء كل جزء منها لا يتجزأ على قولهم أو يعمل ذلك الخط من عشرة أجزاء وكذلك ومن الف جزء كذلك او مما زاد فانه لا يختلف احد في ان الخط الذي هو من ثلاثة اجزاء فانه ينقسم اثلاثا في موضعين وان الذى هو اربعة اجزاء فانه ينقسم ارباعاً في ثلاثة مواضع وان الذي من الف جزؤ فانه ينقسم اعشاراً وبنصفين واذ لا شك في هذا فبيقين لا محيد عنه يدرى كل ذي حس سليم ولو انه عالم او جاهل ان ماانقسم اثلاثا فانه ينقسم نصفين مستويين وما انقسم ارباعا فانه ينقسم اثلاثا مستوية وان ما كان من الخطوط فله اعشار واخماس ونصف واثلاث واسداس واسباع متساوية فاذ لا شك في هذا فان القسمة لابد ان تقع في نصف جزء منها اوفي اقل من نصفه فصح ان كل جسم فهو يتجزأ ضرورة وان الجزء الذي لا يتجزأ باطل معدوم من العالم وهذا مالا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق * برهان آخر

﴿قال ابو محمد﴾ بلا شك نعلم ان الخطين المستقيمين المتوازيين لا يلتقيان أبداً ولو مداعمر العالم ابدا بلا نهاية ــــ وانك ان مددت من الخط الاعلى الى الخط المقابل له خطين مستقيمين متوازيين قام منهما مربع بلا شك ▭ فاذا اخرجت من زاوية ذلك المربع خطا منحدرا من هنالك الى الخط الاسفل فان تلك الخطوط المخرجة من الضلع الذى ذكرنا وتلك الخطوط المخرجة من الزاوية لا تمر مع الخط الاعلى ابدا لانها غير موازية له فاذ ذلك كذلك فذلك الضلع منقسم ابد الابد ما اخرجت الخطوط بلا نهاية * برهان آخر

﴿قال ابو محمد﴾ وبالضرورة ندرى ان كل مربع متساوى الاضلاع فان الخط القاطع من الزاوية العليا الى الزاوية السفلى التى لا يوازيها يقوم منه في المربع مثلثان متساويان ⧄ وانه لا شك أطول من كل ضلع من أضلاع ذلك المربع على انفراده فنسألهم عن مائة جزء

لاتتجزأ رتبت متلاصقة عشرة عشرة فبالضرورة نجد فيها ماذكرنا فبيقين نعلم حينئذ أن كل جزء من الاجزاء المذكورة لولا ان له طولا وعرضاً لما كان الخط المار بها القاطع للمربع القائم منها على مثلثين متساويين أطول من الخط المار بكل جهة من جهات ذلك المربع على استواء وموازاة للخطوط الاربعة المحيطة بذلك المربع وهو أطول منه بلا شك فصح ضرورة ان لكل جزء منها طولا وعرضاً وأن ماله طول وعرض فهو متجزء بلا شك فصح أيضاً بما ذكرنا أن كل جزء مر عليه الخط المذكور فقد انقسم ⧄ برهان آخر وأيضاً فانا لو أقمنا خطاً من أجزاء لاتتجزأ على قولهم مستقيما ثم أدرناه حتي يلتقي طرفاه ويصير دائرة فبالضرورة يدري كل ذى حس سليم ان الخط اذا أدير حتى يلتقي طرفاه فان ماقابل من أجزائه مركز الدائرة أضعف مما قابل منها خارج الدائرة فاذ ذلك كذلك فهذا لازم في هذا الخط المدار بلا شك واذ لا شك في هذا فقد فضل من أحد طرفى الجزء الذى لايتجزأ عندهم فضلة على طرفه الآخر وهكذا كل جزء من تلك الاجزاء بلا شك فصح ضرورة أنه محتمل للانقسام ولا بد وبالله تعالى التوفيق * برهان آخر نسألهم عن دائرة قطرها أحد عشر جزءاً لايتجزأ كل واحد منها عندهم أو أى عدد شئت على الحساب فأردنا أن نقسمها بنصفين على السواء ولا خلاف في أن هذا ممكن فبالضرورة ندرى أن الخط القاطع على قطر الدائرة من المحيط الى ماقابله من المحيط ماراً على مركزها لايقع البتة الا في انصاف تلك الاجزاء فصح ضرورة أنها تتجزأ ولولم يمر ذلك الخط على أنصافها لما قسم الدائرة بنصفين وبالله تعالى التوفيق * وبرهان آخر وهو أن نسألهم عن الجزء الذى لايتجزأ الذى يحققونه اذا وضع على سطح زجاجة ملساء مستوية هل له حجم زائد على سطحها أم لا حجم له زائدا على سطحها فان قالوا لا حجم له زائدا على سطها أعدموه ولم يجعلوا له مكانا ولا جعلوه متمكناً أصلا فنسألهم عن جزأين جملا كذلك فلا بد من قولهم ان لهما حجما فنسألهم عن ذلك الحجم ألهما معاً أم لاحدهما فأى ذلك قالوا أثبتوا ولا بد الحجم لهما وللجزء الذي هو احدهما واذا كان للجزء الذي لايتجزأ حجم زائد فالذي لاشك فيه له ظلا واذا صح يقينا ان له ظلا فلا شك في أن الظل يزيد وينقص ويمتد ويتقلص ويذهب إذا سامتته الشمس فاذ ذلك كذلك فبيقين ندرى ان ظله ينقص حتي يكون اقل من قدره

واذ ذلك فقد ظهر ووجب ان له تجزياً ومقداراً متبعضا وبرهان آخر وهو اننا نسألهم عن جزؤ لايتجزا من الحديد او من الذهب وجزؤ لايتجزا من خيط قطن هل ثقلهما ووزنهما سواء ام الذى من الذهب أو الحديد أثقل من الذى من القطن فان قالوا ثقلهما ووزنهما سواء كابروا ولزمهم هذا فى الف جزؤ كذلك من الذهب انهما ليستا أثقل من ألف جزؤ من القطن مجتمعة كانت الاجزاء أو متفرقة وهذا جنون ومكابرة وان قالوا بل الذي من الذهب أوزن وأثقل صدقوا وأوجبوا ان له تجزيا يتفاضل الوزن ضرورة ولابد

﴿ قال أبو محمد ﴾ فهذه براهين ضرورية قاطعة بأن كل جزء فهو يتجزأ أبداً بلا نهاية وان جزاء لايتجزأ ليس فى العالم أصلا ولا يمكن وجوده بل هو من المحال الممتنع وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ أما أبو الهذيل فخلط في هذا الباب وحق لمن رام نصر الباطل ان يخلط فقال ان الجزؤ الذي لايتجزأ ذو حركة وسكون يتعاقبان عليه وان يشغل مكانا لايسع فيه معه غيره وانه أقرب الى السماء من مكانه الذي هو عليه من الارض وهذا غاية التناقص اذ ما كان هكذا فله مساحة بلا شك وهو ذو جهات ست فللمساحة أجزاء من نصف وثلث وأقل وأكثر وما كان ذا جهات فالذي منه في كل جهة غير الذي منه في الجهة الاخرى بلا شك وما كان هذا فهو محتمل للتجزي بلا شك وماعدا هذا فوسواس نعوذ بالله منه

﴿ قال أبو محمد ﴾ فى تخليطهم هذا اختلافا ظريفا أيضاً فاجمعوا انه اذا ضم جزؤ لايتجزء الى جزؤ لايتجزا فصارا اثنين فقد حدث لهما طول ثم اختلفوا متي يصير جسماً له طول وعرض وعمق فقال بعضهم اذا صار جزئين صار جسما وهو قول الاشعرية وقال بعضهم اذا صارا أربعة أجزاء وقال بعضهم بل اذا صارا ستة أجزاء واتفقوا على أنه اذا صارا ثمانية أجزاء فقد صار جسماً له طول وعرض وعمق وكل هذا تخليط ناهيك به وجهل شديد كان الاولى باهله ان يتعلموا قبل أن يتكلموا بهذه الحماقات برهان ذلك أنهم لم يختلفوا أنهم اذا سفوا أربعة أجزاء لايتجزا وتحتها أربعة أجزاء لايتجزا فانه قد صار عندهم الجميع من هذه الاجزاء جسماً طويلا عريضاً عميقاً

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا الذي طابت نفوسهم عليه وانست عقولهم اليه في الثمانية وسهل على بعضهم دون بعض في ثلاثة أجزاء تحتها ثلاثة أجزاء وفي جزئين تحتها جزآن ومنعوا كلهم

من ذلك في جزؤ على جزؤ حاشا الاشعرية فانه بعينه موجود على أصولهم المتحدولة وأقوالهم المرذولة في جزؤ على جزؤ على جزؤ سواء سواء بعينه وذلك ان أربعة أجزاء على أربعة أجزاء فاعا الحاصل منها جزؤ على جزء فقط من كل جهة فاذا جعلوا الاربعة على الاربعة طولا فانما جعلوه في جزؤ الى جنب جزؤ كذلك فعلوا فى العرض وكذلك فعلوا في العمق واذ هو كذلك والطول عندهم يوجد في جزء الى جنب جزء والعرض يوجد جنب الطول لان العرض لايكون أكثر من الطول أصلا والعمق موجود فيهما أيضاً فظهر ان لكل جزء منها طولا وعرضاً وعمقا ومكانا وجهات ووجب ضرورة بهذا انه يتجزأ ولاح جهلهم وخبطهم وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال ابو محمد ﴾ فاذا قد بطل قولهم في الجزء الذى لايتجزأ وفى كل ما أوجبوه انه جوهر لاجسم ولا عرض فقد صح ان العالم كله حامل قائم بنفسه ومحمول لايقوم بنفسه ولا يمكن وجود أحدهما متخلياً فالمحمول هو العرض والحامل هو الجوهر وهو الجسم سمه كيف شئت ولا يمكن فى الوجود غيرهما وغير الخالق لهما تعالى وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقال هؤلاء الجهال ان العرض لايبقى وقتين وانه لايحمل عرضاً

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد كلمناهم في هذا وتقرينا كتبهم فما وجدنا لهم حجة في هذا أصلا أكثر من ان بعضهم قال لو بقي وقتين لشغل مكانا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذه حجة فقيرة الى حجة ودعوى كاذبة نصر بها دعوى كاذبة ولا عجب أكثر من هذا ثم لو صحت لهم للزمهم هذا بعينه فيما جوزوه من بقاء العرض وقتاً واحداً ويقال لهم ما الفرق بينكم وبين من قال لو بقي العرض وقتاً واحداً لشغل مكانا وبيقين يدرى كل ذى حس سليم انه لافرق في اقتضاء المكان بين بقاء وقت واحد وبين بقا وقتين فصاعدا فان أبطلوا بقاءه وقتاً لزمهم انه ليس باقياً أصلا واذا لم يكن باقياً فليس موجوداً أصلا واذ لم يكن موجوداً فهو معدوم فحصلوا من هذا التخليط على نفي الاعراض ومكابرة العيان ويقال لهم ماالفرق بينكم وبين من قال بل يبقى وقتين ولا يبقى ثلاثة أوقات اذلو بقي ثلاثة أوقات لشغل مكانا وكل هذا هوس وليس من أجل البقاء وجب اقتضاء الباقي المكان لكن من أجل انه طويل عريض عميق فقط ولا مزيد وقد قال بعضهم ان الشيء في حين

خلق الله تعالى له ليس باقياً ولا فانياً وهذه دعوى في الحمق كما سلف لهم ولا فرق وهي مع ذلك لا تعقل ولا يتمثل في الوهم ان يكون في الزمان أو في العالم شيء موجود ليس باقياً ولا فانياً

﴿قال أبو محمد﴾ ولا عجب أعجب من حمق من قال ان بياض الثلج وسواد القار وخضرة البقل ليس شيء منها الذي كان آنفاً بل يفني في كل حين ويستعيض الف الف بياض وأكثر والف الف خضرة وأكثر هذه دعوى عارية من الدليل الا انها جمعت السخف مع المكابرة

﴿قال أبو محمد﴾ والصحيح من هذا هو ماقلناه ونقوله ان الاعراض تنقسم أقساماً فمنها مالا يزول ولا يتوهم زواله لانفساد ماهو فيه لو امكن ذلك كالصورة الكلية أو كالطول والعرض والعمق ومنها مالا يزول ولا يتوهم زواله الا بانفساد حامله كالاسكار في الخمر ونحو ذلك فانها ان لم تكن مسكرة لم تكن خمرا وهكذا كل صفة يحدها ماهي عليه ومنها مالا يزول الا بفساد حامله الا انه لو توهم زائلا لم يفسد حامله كزرق الازرق وفطس الافطس فلو زالا لبقي الانسان انسانا بحسبه ومنها مايبقى مدداً طوالا وقصاراً وربما زايل ماهو فيه كسواد الشعر وبعض الطعوم والخشونة والاملاس في بعض الاشياء والطيب والنتن في بعضها والسكون والعلم وكبعض الالوان التي تستحيل ومنها مايسرع الزوال كحمرة الخجل وكمدة الهم وليس من الاعراض شيء يفني بسرعة حتى لا يمكن ان يضبط مدة بقائه الا الحركة فقط على انها بضرورة العقل والحس ندري ان حركة الجزء من الفلك التي تقطع الفلك بنصفين من شرق الى غرب أسرع من حركة الجزء منه الذي حوالي القطبين لان كل هذين الجزأين يرجع الى مكانه الذي بدأ منه في أربع وعشرين ساعة وبين دائرتيهما في الكبر مالا يكون مساحة خط دائرة أو خط مستقيم أكثر منه في العالم وبيقين يدرى ان حركة المذعورة في طيرانها أسرع من حركة السلحفاة في مشيها وان حركة المنساب في الحدور اسرع من حركة الماء الجاري في مسيل النهر وان حركة العصر في الجرى اسرع من حركة الماشي فصح يقينا ان في خلال الحركات ايضاً بقاء اقامة يتفاضل في مدته لان الحركات كلها انما هي نقلة من مكان الى مكان فللمتحرك مقابلة ولا بد لكل جرم مر عليه ففي تلك المقابلات يكون التفاضل في السرعة أو في البطيء الا أنه لا يحس أجزاؤه ولا تضبط دقائقه الا بالعقل فقط الذي به يعرف زيادة

الظل والشمس ولا يدرك ذلك بالحس الا اذا اجتمعت منه جملة ما فانه حينئذ يعرف بحس البصر كما لا يدرك بالحواس نماء النامي الا اذا اجتمعت منه جملة ما وكما يعرف بالعقل لا بالحس ان لكل خردلة جزءاً من الاثقال فلا يحس الا اذا اجتمعت منه جملة ما وكذلك الشبع والري وكثير من أمراض العالم فتبارك خالق ذلك هو الله أحسن الخالقين وأما قولهم ان العرض لا يحمل العرض فكلام فاسد مخالف للشريعة وللطبيعة وللعقل وللحواس ولاجماع جميع ولد آدم لانا لانختلف في أن نقول حركة سريعة وحركة بطيئة وحمرة مشرقة وخضرة أشد من خضرة وخلق حسن وخلق مسيء وقال تعالى *ان كيدكن عظيم* وقال تعالى * فصبر جميل * وحسبك فساداً بقول أدى الى هذا ومن أحال على العيان والحس والمعقول وكلام الله تعالى فقد فاز قدحه وخسرت صفقة من خالفه

﴿ قال أبو محمد ﴾ ولسنا نقول ان عرضا يحمل عرضاً الى ما لانهاية له بل هذا باطل ولكن كما وجد وكما خلق البارى تعالى ماخلق ولا مزيد وما عدا هذا فرقة دين وضعف عقل وقلة حياء ونعوذ بالله من هذه الثلاث وحسبنا الله ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم

﴿ الكلام في المعارف ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ اختلف الناس في المعارف فقال قائلون المعارف كلها باضطرار اليها وقال آخرون المعارف كلها باكتساب لها وقال آخرون بعضها باضطرار وبعضها باكتساب

﴿ قال أبو محمد ﴾ والصحيح في هذا الباب ان الانسان يخرج الى الدنيا ليس عاقلا لا معرفة له بشيء كما قال عز وجل *والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً*

﴿ قال أبو محمد ﴾ فحركاته كلها طبيعية كأخذه الثديين حين ولادته وتصرفه تصرف البهائم على حسبها في تألمها وطربها حتى اذا كبر وعقل وتقوت نفسه الناطقة وأنست بما صارت فيه وسكنت اليه وبدت رطوباته تجف بدأت بتمييز الامور في الدار التى صارت فيها فيحدث الله تعالى لها قوة على التفكر واستعمال الحواس فى الاستدلال وأحدث الله تعالى لها الفهم بما تشاهد وما تخبر به فطريقه الى بعض المعارف اكتساب فى أول توصله اليها لانه بأول فهمه ومعرفته عرف ان الكل أكثر من الجزء وان جسما واحداً لا يكون في مكانين وانه لا يكون قاعداً

قائما

قائماً معاً وهو ان لم يحسن العبارة عن ذلك فان أحواله كلها تقتضي تيقنه كل ماذ كرنا وعرف أولا صحة ما أدرك بحواسه ثم انتجت له بعد ذلك سائر المعارف بمقدمات راجعة الى ماذكرنا من قرب أو بعد فكل ماثبت عندنا ببرهان وان كان بعيد الرجوع الى ماذكرنا فمعرفة النفس به اضطرارية لانه لورام جهده أن يزيل عن نفسه المعرفة بما ثبت عنده هذا الثبات لم يقدر فاذ هذا لا شك فيه فالمعارف كلها باضطرار اذ مالم يعرف بيقين فانما عرف بظن وما عرف ظناً فليس علماً ولا معرفة هذا مالا شك فيه الا أن يتطرق الى طلب البرهان بطلب وهذا الطلب هو الاستدلال ولو شاء أن لا يستدل لقدر على ذلك فهذا الطلب وحده هو الاكتساب فقط وأما ما كان مدركا بأول العقل وبالحواس فليس عليه استدلال أصلا بل من قبل هذه الجهات يبتدي كل أحد بالاستدلال وبالرد الى ذلك فيصح استدلاله أو يبطل وحد العلم بالشيء وهو المعرفة به أن نقول العلم والمعرفة اسمان واقعان على معنى واحد وهو اعتقاد الشيء على ماهو عليه وتيقنه به وارتفاع الشكوك عنه ويكون ذلك اما بشهادة الحواس وأول العقل واما ببرهان راجع من قرب أو من بعد الى شهادة الحواس أو أول العقل واما باتفاق وقع له في مصادفة اعتقاد الحق خاصة بتصديق ما افترض الله عز وجل عليه اتباعه خاصة دون استدلال وأما علم الله تعالى فليس محدوداً أصلا ولا يجمعه مع علم الخلق حد فلا حس ولا شيء أصلا وذهبت الاشعرية الى أن علم الله تعالى واقع مع علمنا تحت حد واحد

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا خطأ فاحش اذ من الباطل أن يقع مالم تزل النهايات وعلم الله تعالي ليس هو غير الله تعالى على ما بينا قبل وبالله تعالى التوفيق

﴿ قال أبو محمد ﴾ قالت طوائف منهم الاشعرية وغيرهم من اتفق له اعتقاد شيء على ما هو به عن غير دليل لكن بتقليد وتميل بارادته فليس عالماً به ولا عارفا به ولكنه معتقد له وقالوا كل علم ومعرفة اعتقاد وليس كل اعتقاد علما ولا معرفة لان العلم والمعرفة بالشيء انما يعبر بهما عن تيقن صحته قالوا وتيقن الصحة لا يكون الا ببرهان قالوا وما كان بخلاف ذلك فانما هو ظن ودعوى لا تيقن بها اذ لو جاز ان يصدق قول بلا دليل لما كان قول اولى من قول ولكانت الاقوال كلها صحيحة على تضادها ولو كان ذلك لبطلت الاقوال وابطلت الحقائق كلها لان كل قول يبطل كل قول سواه فلو صحت الاقوال كلها لبطلت كلها لانه لو

كان يكون كل قول صادقاً في ابطاله ما عداه

﴿ قال أبو محمد ﴾ فنقول وبالله تعالى التوفيق ان التسمية والحكم ليس الينا وانما هما الى خالق اللغات وخالق الناطقين بها وخالق الاشياء ومرتبها كما شاء لااله الا هو قال عز وجل منكراً على من سمى من قبل نفسه *ان هي الا أسماء سميتموها انتم وأباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان* وقال تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم فنهى الله عز وجل كل أحد عن أن يقول ماليس له به علم فوجدناه عز وجل يقول في غير موضع من القرآن *ياأيها الذين آمنوا* وقال تعالى *وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا* وقال تعالى *فان تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فاخوانكم في الدين* فخاطب الله تعالى بهذه النصوص وبغيرها وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم كل مؤمن في العالم الى يوم القيامة وبيقين ندرى انه قد كان في المؤمنين على عهده عليه السلام ثم من بعده عصراً عصراً الى يوم القيامة المستدل وهم الاقل وغير المستدل كمن اسلم من الزنج ومن الروم والفرس والاماء وضعفة النساء والرعاة ومن نشأ على الاسلام بتعليم أبيه او سيده اياه وهم الاكثر والجمهور فسماهم عز وجل مؤمنين وحكم لهم بحكم الاسلام وهذا كله معروف بالمشاهدة والضرورة وقال تعالى *آمنوا بالله ورسوله* وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امرت ان أقاتل الناس حتي يشهدوا أن لااله الا الله واني رسول الله ويؤمنوا بما أرسلت به فصح يقيناً انهم كلهم مامورون بالقول بجميع ماجاء به النبي صلي الله عليه وسلم وان كل من صد عنه فهو كافر حلال دمه وماله فلو لم يؤمن بالقول بالايمان الا من عرفه من طريق الاستدلال لكان كل من لم يستدل ممن ذكرنا منهياً عن اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم وعن القول بتصديقه لانه عند هؤلاء القوم ليسوا عالمين بذلك وهذا خلاف القرآن وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم واجماع الامة المتيقن أما القرآن والسنة فقد ذكرناهما وأما اجماع الامة فمن الباطل المتيقن ان يكون الاستدلال فرضاً لا يصح ان يكون احد مسلماً الا به ثم يغفل الله عز وجل ان يقول لاتقبلوا من احد انه مسلم حتي يستدل اتراه نسي تعالى ذلك او تعمد عز وجل ترك ذكر ذلك اضلالا لعباده وبترك ذلك رسوله صلى الله عليه وسلم اما عمداً أو قصداً الى الضلال والاضلال اونسياناً لما اهتدى له هؤلاء ونبهوا اليه وهم من هم بلادة وجهلا وسقوطاً هذا لا يظنه الا كافر ولا يحققه الا مشرك فما قال قط رسول الله صلى الله عليه

وسلم

وسلم لاهل قرية او حلة اوحي ولا لراع ولا لراعية ولا للزنج ولا للنساء لا اقبل اسلامكم حتى أعلم المستدل من غيره فاذا لم يقل عليه السلام ذلك فالقول به واعتقاده افك وضلال وكذلك اجمع جميع الصحابة رضي الله عنهم على الدعاء الى الاسلام وقبوله من كل احد دون ذكر استدلال ثم هكذا جيلا فجيلا حتى حدث من لا قدر له فان قالوا قد قال الله عز وجل * قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين * قلنا نعم وهذا حق وانما قاله الله عز وجل لمن خالف الحق الذى امر عز وجل الجن والانس باتباعه وهكذا القول ان كل من قال قولا خالف فيه ما امر الله عز وجل باتباعه فسواء استدل بزعمه اولم يستدل هذا مبطل غير معذور الا من عذره الله عز وجل فيما عذره فيه كالمجتهدين من المسلمين يخطأ قاصداً الى الحق فقط مالم يقم عليه الحجة فيعاند واما من اتبع الحق فما كلفه الله عز وجل قط برهاناً والبرهان قد ثبت بصحة كل ما امر الله تعالى به فسواء علمه فتبع الرسول صلى الله عليه وسلم بعلمه حسبه أنه عالم بالحق معتقد له موقن به وان جهل برهانه الذى قد علمه غيره وهذا خلق الله عز وجل الايمان والعلم في نفسه كما خلقه في نفس المستدل ولا فرق قال تعالى * اذا جاء نصر الله والفتح ورأيت الناس يدخلون في دين الله أفواجا * فسماهم داخلين في دينه وان كانوا أفواجا وما شرط الله عز وجل قط ولا رسوله صلى الله عليه وسلم ان يكون ذلك باستدلال بل هذا شرط من شرط ذلك ممن قذفه ابليس فى قلبه وعلى لسانه ليخرجه الى تكفير الامة ولا عجب أعجب من اصفاق هذه الطائفة الضالة المخذولة على انه لا يصح لاحد ايمان حتى يستدل على ذلك ولا يصح لاحد استدلال حتي يكون شاكا في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم غير مصدق بها فاذا كان ذلك صح له الاستدلال والا فليس مؤمناً فهل سمع بأحمق أو ادخل في الحمق والكفر من قول من قال لا يؤمن أحد حتي يكفر بالله تعالى وبالرسول صلى الله عليه وسلم وان من آمن بهما ولم يكفر بهما قط فهو كافر مشرك نبرأ الى الله تعالى من كل من قال بهذا

﴿ قال أبو محمد ﴾ فهذان طريقان لا ثالث لهما كل طريق منها تنقسم قسمين أحدهما من اتبع الذى امره الله عز وجل باتباعه وهو رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مؤمن عالم حقا سواء استدل او لم يستدل لانه فعل ما امره الله تعالى به ثم ينقسم هؤلاء قسمين احدهما من لم يتبع قط غيره عليه الصلاة والسلام ووافق الحق بتوفيق الله عز وجل فهذا له

في كل عقد اعتقده اجران واما ان يكون حرم موافقـه الحق وهو مريد في امره ذلك اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا معذور مأجور اجراً واحداً مالم تقم عليه الحجة فيعاندها وهذا نص قوله عليه السلام في الحاكم المجتهد المصيب والمخطي والطريق الثانية من اتبع غير الذى امره الله باتباعه فهذا سواء استدل أو لم يستدل هو مخطي ظالم عاص لله تعالى وكافر على حسب ماجاءت به الديانة في أمره ثم ينقسم هؤلاء قسمين أحدهما أصاب ماجاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو غير قاصد الى اتباعه عليه الصلاة والسلام فيه والآخر لم يصبه فكلاهما لاخير فيه وكلاهما آثم غير مأجور وكلاهما عاص لله عز وجل أوكافر على حسب ماجاءت به الديانة من أمره لانهما جميعا تعديا حدود الله عز وجل فيما أمرهم به من اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال تعالى* ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه *ولا ينتفع باصابته الحق اذ لم يصبه من الطريق التي لم يجعل الله طلب الحق وأخذه الا من قبلها وقد علمنا ان اليهود والنصارى يوافقون الحق في كثير كاقرارهم بنبوة موسي عليه السلام وكتوحيد بعضهم لله تعالى فما انتفعوا بذلك اذ لم يعتقدوه اتباعا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك من قلد فقيها فاضلا دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عقده انه لا يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان وافق قوله قول ذلك الفقيه فهذا فاسق بلا شك ان فعله غير معتقد له وهو كافر بلا شك ان اعتقده بقلبه أو نطق به بلسان لمخالفته قول الله تعالى*فلا وربك لا يؤمنون حتي يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا في أنفسهم حرجامما قضيت ويسلموا تسليما*فنفي الله عز وجل عن أهل هذه الصفة الايمان واقسم على ذلك ونحن ننفي مانفي الله عز وجل عمن نفاه عنه ونقسم على ذلك ونوقن اننا على الحق في ذلك وأما من قلد فقيها فاضلا وقال انما اتبعه لانه اتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فهذا مخطي لانه فعل من ذلك مالم يأمره الله تعالى به ولا يكفر لانه قاصد الى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم مخطي للطريق في ذلك ولعله مأجور بنيته أجراً واحداً مالم تقم الحجة عليه بخطاء فعله فان ذكروا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث فتنة القبر وأما المنافق أو المرتاب فانه يقال له ماقولك في هذا الرجل يعني رسول الله صلي الله عليه وسلم فيقول لاأدرى سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته

﴿قال أبو محمد﴾ هذا حق على ظاهره كما أخبر رسول الله عليه وسلم انه لا يقول هذا الا المنافق أو المرتاب لا المؤمن الموقن بل المؤمن الموقن ذكر في هذا الحديث انه يقول هو عبد الله ورسوله أتانا بالهدى والنور أو كلاماً هذا معناه فانما أخبر عليه السلام عن موقن ومرتاب لا عن مستدل وغير مستدل وكذلك نقول ان من قال في نفسه أو بلسانه لولا انى نشأت بين المسلمين لم أكن مسلما وانما اتبعت من نشأت بينهم فهذا ليس مؤمنا ولا موقنا ولا متبعا لمن أمره الله تعالى باتباعه بل هو كافر

﴿قال أبو محمد﴾ واذا كان قد يستدل دهره كله من لا يوفقه الله تعالى للحق وقد يوفق من لا يستدل يقينا لو علم ان أباه أو أمه أو ابنه أو امرأته أو أهل الارض يخالفونه فيه لاستحل دماءهم كلهم ولو خير بين أن يلقى في النار وبين ان يفارق الاسلام لاختار أن يحرق بالنار على ان يقول مثل هذا قلنا فاذ هو موجود فقد صح ان الاستدلال لا معنى له وانما المدار على اليقين والعقد فقط وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ وانما يضطر الى الاستدلال من نازعته نفسه اليه ولم يسكن قلبه الى اعتقاد مالم يعرف برهانه فهذا يلزمه طلب البرهان حينئذ ليقي نفسه ناراً وقودها الناس والحجارة فان مات شاكا قبل أن يصح عنده البرهان مات كافراً مخلدا في النار أبداً

﴿قال أبو محمد﴾ ثم نرجع الى ما كنا فيه هل المعارف باضطرار ام باكتساب فنقول وبالله تعالى التوفيق ان المعلومات قسم واحد وهو ما عقد عليه المرء قلبه وتيقنه ثم هذا ينقسم قسمين أحدهما حق في ذاته قد قام البرهان على صحته والثاني لم يقم على صحته برهان واما ما لم يتيقن المرء صحته في ذاته فليس عالما به ولا له به علم وانما هو ظان له واما كل ما علمه المرء ببرهان صحيح فهو مضطر الى علمه به لانه لا مجال للشك فيه عنده وهذه صفة الضرورة واما الاختيار فهو الذي ان شاء المرء فعله وان شاء تركه

﴿قال أبو محمد﴾ فعلمنا بحدوث العالم وان له بكل ما فيه خالقا واحدا لم يزل لا يشبهه شيء من خلقه في شيء من الاشياء والعلم بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وصحة كل ما أتى به مما نقله الينا الصحابة كلهم رضى الله عنهم ونقله عنهم الكواف كافة بعد كافة حتى بلغ الينا أو نقله المتفق على عدالته عن مثله وهكذا حتى بلغ الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو كله علم

حق متيقن مقطوع على صحته عند الله تعالى لان الاخذ بالظن في شئ من الدين لايحل قال الله تعالى* ان الظن لا يغني من الحق شيئاً * وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اياكم والظن فان الظن اكذب الحديث وقال تعالى* انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون * فصح ان الدين محفوظ لما ضمن الله عز وجل حفظه فنحن على يقين انه لايجوز أن يكون فيه شك وقد أمر الله تعالى بقبول خبر الواحد العدل ومن المحال ان يأمر الله عز وجل بان نقول عليه مالم يقل وهو قد حرم ذلك أو ان نقول عليه مالا نعلم انه تعالى قد حرم ذلك بقوله* وان تقولوا على الله مالا تعلمون* فكل ماأمرنا الله عز وجل بالقول به فنحن على يقين من انه من الدين وان الله تعالى قد حماه من كل دخل وكذلك أخذنا بالزايد من الاثنين المتعارضين ومن الخبرين الثابتين المتعارضين وقد علمنا صحة ان الحق في فعلنا ذلك علم ضرورة متيقن ولا أعجب ممن يقول ان خبر الواحد لايوجب العلم وانما هو غالب ظن ثم نقطع به ونقول انه قد دخلت في الدين دواخل لاتميز من الحق وانه لاسبيل الى تمييز ماأمر الله تعالى به في الدين مما شرعه الكذابون هذا أمر نعوذ بالله منه ومن الرضاء به

﴿ قال أبو محمد ﴾ واما مااجتمعت عليه الجماعات العظيمة من آرائهم مما لم يأت به نص عن الله عز وجل ولا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو باطل عند الله بيقين لانه شرع في الدين مالم يأذن به الله عز وجل وقال على الله تعالى مالم يقله وبرهان ذلك انه لم يعارض ذلك قول آخر قالته جماعات مثل هذه والحق لايتعارض والبرهان لايناقضه برهان آخر وقد تقصينا هذا في كتابنا المرسوم بكتاب الاحكام في أصول الاحكام فاغني عن ترداده والحمد لله رب العالمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ فكل من كان من أهل الملل المخالفة فبلغته معجزات النبي صلى الله عليه وسلم وقامت عليه البراهين في التوحيد فهو مضطر الى الاقرار بالله تعالى وبنبوة محمد صلى الله عليه وسلم وكذلك كل من قام على شيء ما أي شئ كان عنده برهان ضروري صحيح وفهمه فهو مضطر الى التصديق به سواء كانت من الملل أو من النحل أو من غير ذلك وانما أنكر الحق في ذلك أحد ثلاثة اما غافل معرض عما صح عنده من ذلك مشتغل عنه بطلب معاشه أو بالتزيد من مال أو جاه أو صوت أو لذة أو عمل يظنه صلاحاً أو ايثارا للشغل بما يتبين له

من ذلك عجزاً وضعف عقل وقلة تمييز لفضل الاقرار بالحق أو مسوف نفسه بالنظر كحال كل طبقة من الطبقات الذين نشاهدهم في كل مكان وكل زمان واما مقلد لاسلافه أو لمن نشأ بينهم قد شغله حسن الظن بمن قلد اواستحسانه لما قلد فيه وغمر الهوى عقله عن التفكر فيما فيهم من البرهان قد حال ماذكرناه بينه وبين الرجوع الى الحق وصرف الهوى ناظر قلبه عن التفكر فيما يتبين له من البرهان ونفر عنه وأوحشه منه فهو اذ سمع برهاناً ظاهراً لامدفع فيه عنده ظنه من الشيطان وغالب نفسه حتي يعرض عنه وقالت له نفسه لابد ان هاهنا برهانا يبطل به هذا البرهان الذي أسمع وان كنت أنا لاأدريه وهل خفي هذا على جميع أهل ملتي وأهل نحلتي أو مذهبي أو على فلان وفلان وفلان ولا بد انه قد كان عندهم مايبطلون به هذا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا عام في أكثر من يظن انه عالم في كل ملة وكل نحلة وكل مذهب وليس واحد من هاتين الطائفتين الا والحجة قد لزمته وبهرته ولكنه غالب وساوس نفسه وحماقاتها على الحقايق اللايحة له ونصر ظنه الفاسد على يقين قلبه الثابت وتلاعب الشيطان به وسخر منه فاوهمه لشهوته لما هو فيه ان هاهنا دليلا يبطل به هذا البرهان وانه لو كان فلان حياً أو حاضراً لابطل هذا البرهان وهذا أعظم مايكون من السخافة لماالايدرى ولا سمع به وتكذيب لما صح عنده وظهر اليه ونعوذ بالله من الخذلان والثالث منكر بلسانه ماقد تيقن صحته بقلبه اما استدامة لرياسة أو استدرار مكسب أو طمعاً في أحدهما لعله يتم له أولا يتم ولو تم له لكان خاسر الصفقة في ذلك أو أثر غروراً ذاهباً عن قريب على فوز لابد او يفعل ذلك خوف أذى أو عصبية لمن خالف ماقد قام البرهان عنده أو عداوة لقايل ذلك القول الذي قام به عنده البرهان وهكذا وهذا كله موجود في جمهور الناس من أهل كل ملة وكل نحلة وأهل كل رأى بل هو الغالب عليهم وهذا أمر يجدونه من أنفسهم فهم يغالبونها

﴿ قال أبو محمد ﴾ ويقال لمن قال ممن ينتمي الى الاسلام ان المعارف ليست باضطرار وان الكفار ليسوا مضطرين الى معرفة الحق في الربوبية والنبوة اخبرونا عن معجزات الانبياء عليهم السلام هل رفعت الشك جملة عن كل من شاهدها وحسمت عللها وفصلت بين الحق والباطل فصلا تاماً املا فان قالوا نعم أقروا بان كل من شاهدها مضطر الى المعرفة بانها من

عند الله تعالى حق شاهد بصدق من أتي بها ورجعوا الى الحق الذى هو قولنا ولله الحمدوان قالوا لا بل الشك باق فيها ويمكن ان تكون غير شاهدة بانهم محقون قطع بان الانبياء عليهم السلام لم يأتوا ببرهان وان الشك باق في امرهم وان حجة الله تعالى لم تقع على الكفار ولا لزمهم قط له تعالى حجة وان الانبياء عليهم السلام انما أتوا بشيء ربما قام في الظن انه حق وربما لم يقم وهذا كفر مجرد من دان به او قاله وهكذا نسألهم في البراهين العقلية على ايات التوحيد وفي الكواف الناقلة أعلام الانبياء عليهم السلام حتى يقروا بالحق بان حجج الله تعالى بكل ماظهرت وبهرت واضطرت الكفار كلهم الى تصديقها والمعرفة بانها حق أو يقولوا انه لم تقم لله حجة على احد ولا تبين قط لاحد تعين صحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم وانما نحن في الاقرار بذلك على ظن الا انه من الظنون قوى وقد يمكن ان يكون بخلاف ذلك ومن قال بهذا فهو كفر مجرد محض شرك لاخفاء به ونعوذ بالله من الخذلان

﴿ قال أبو محمد ﴾ ومن أنكر ان يكون الكفار وكل مبطل مضطرين الى تصديق كل ماقام به برهان بعد بلوغه اليهم وقال انما اضطر المرء الى معرفته فلا سبيل له الى انكاره اريناه كذب قوله في تكوين الارض والافلاك ومدار الشمس والقمر والنجوم وتناهي مسافة كل ذلك وأكثر الناس على انكار هذا ودفعه الحق في ذلك وكذلك من دان بالقياس والرأي اودليل الخطاب وسمع البراهين في ابطالها فهو مضطر الى معرفة بطلان ماهو عليه مكابر لعقله في ذلك مغالط لنفسه مغالب ليقينه مغلب لظنونه

﴿ قال أبو محمد ﴾ وعلم الملائكة عليهم السلام وعلم النبيين عليهم السلام بصحة ماجاءتهم به الملائكة واوحي اليهم به وأروه في منامهم علم ضرورى كساير ما أدركوه بحواسهم واوايل عقولهم وكعلمهم بان أربعة أكثر من اثنين وان النار حارة والبقل أخضر وصوت الرعد وحلاوة العسل ونتن الحلتيت وخشونة القنفذ وغير ذلك ولو لم يكن الامر كذلك لكان عندالملائكة والنبيين شكا في امرهم وهذا كفر ممن أجازه الا أن الملائكة لاعلم لهم بشيء الا هكذا ولا ظن لهم اصلا لانهم لايخطئون ولا ركبوا من طبايع متخالفة كما ركب الانسان فان قال قائل فاذالعلم كله باضطرار والاضطرار فعل الله تعالى في النفوس فكيف يوجر الانسان او يعذب على فعل الله تعالى فيه قلنا نعم لا شيء في العالم الا خلق الله تعالى وقد صح

البرهان بذلك على ماأوردنا في كلامنا في خلق الافعال في ديواننا والحمد لله رب العالمين وما نقل حافظ نصا ولا برهان عقل بالمنع من أن يعذبنا الله تعالى ويؤجرنا على ماخلق فينا والله تعالى يفعل مايشاء لايسأل عما يفعل وهم يسألون

﴿ قال أبو محمد ﴾ وكيف ينكر اهل الغفلة ان يكون قوم يخالفون ماهم الى المعرفة به مضطرون وهم يشاهدون السوفسطائية الذين يبطلون الحقائق جملة وكما يعتقد النصارى وهم أمم لايحصي عددهم الا خالقهم ورازقهم ومضلهم لااله الا هو وفيهم علماء بعلوم كثيرة وملوك لهم التدابير الصائبة والسياسات المعجبة والاراء المحكمة والفطنة في دقائق الامور وبصر بغوامضها وهم مع ذلك يقولون ان واحداً ثلاثة وثلاثة واحد وان احد الثلاثة اب والثاني ابن والثالث روح وان الاب هو الابن وليس هو الابن والانسان هو الاله وهو غير اله وان المسيح اله تام وانسان تام وهو غيره وان الاول الذى لم يزل هو المحدث الذي لم يكن ولا هو هو

﴿ قال أبو محمد ﴾ وليس في الجنون أكثر من هذا واليعقوبية منهم وهم مئين ألوف يعتقدون ان الباري تعالى عن كفرهم ضرب بالسياط واللطام وصلب ونحرومات وسقى الحنظل وبقي العالم ثلاثة أيام بلا مدبر وكاصحاب الحلول وغالية الرافضة الذين يعتقدون فى رجل جالس معهم كالحلاج وابن أبي العزانه الله والاله عندهم قد يبول ويسلح ويجوع فيأكل ويعطش فيشرب ويمرض فيسوقون اليه الطبيب ويقلع ضرسه اذا ضرب عليه ويتضرر اذا أصابه دمل ويجامع ويحتجم ويفتصد وهو الله الذي لم يزل ولا يزال خالق هذا العالم كله ورازقه ومحصيه ومدبره ومدبر الافلاك المميت المحيي العالم بما فى الصدور ويصبرون في جنب هذا الاعتقاد على السجون والمطابق وضرب السياط وقطع الايدي والارجل والقتل والصلب وهتك الحريم وفيهم قضاة وكتاب وتجاروهم اليوم الوف وكما يدعي طوائف اليهود وطوائف من المسلمين ان ربهم تعالى جسد في صورة الانسان لحم ودم يمشي ويقعد كالاشعرية الذين يقولون ان هاهنا احوالا لامخلوقة ولا غير مخلوقة ولا معلومة ولا مجهولة ولاحق ولا باطل وان النار ليست حارة والثلج ليس بارداً وكما يقول بعض الفقهاء واتباعه ان رجلا واحداً يكون ابن رجلين وابن امرأتين كل واحداً منهما امه وهو ابنها بالولادة

﴿ قال أبو محمد ﴾ اترى كل من ذكرنا لاتشهد نفسه وحسه ولا يقر عقله بأن كل هذا باطل

بلى والذى خلقهم ولكن العوارض التي ذكرنا قبل سهلت عليهم هذا الاختلاط وكرهت عليهم الرجوع الى الحق والاذعان له

﴿ قال أبو محمد ﴾ وأما العناد فقد شاهدناه من كل ابناء في المناظرة في الدين وفي المعاملات في الدنيا أكثر من أن يحصي ممن يعلم الحق يقيناً ويكابر على خلافه ونعوذ بالله من الخذلان ونساله الهدى والعصمة

﴿ قال أبو محمد ﴾ لايدرك الحق من طريق البرهان الا من صفى عقله ونفسه من الشواغل التي قدمنا ونظر من الاقوال كلها نظرا واحدا واستوت عنده جميع الاقوال ثم نظر فيها طالبا لما شهدت البراهين الراجعة رجوعاً صحيحاً غير مموه ضرورياً الى مقدمات مأخوذة من اوايل العقل والحواس غير مسامح في شيء من ذلك فهذا مضمون له بعون الله عز وجل الوقوف على الحقائق والخلاص من ظلمة الجهل وبالله تعالى التوفيق * واما ما نقله اثنان فصاعدا نوقن انهما لم يجتمعا ولا تساررا فاخبرا بخبر واحد راجع الى ما أدركه بالحواس من أي شيء كان فهو حق بلا شك مقطوع على عينه والنفس مضطرة الى تصديقه وهذا قول احد الكافة واولها اذلا يمكن البتة اتفاق اثنين في توليد حديث واحد لايختلفان فيه عن غير تواطؤ وأما اذا تواطأت الجماعة العظيمة فقد تجتمع على الكذب وقد شاهدنا جماعات يشكرون ولاتهم وهم كاذبون الا ان هذا لايمكن ان يتفقوا على كتمانه أبداً ومن انكر ما تنقله الكافة لزمه أن لا يصدق انه كان في الدنيا احد قبله لانه لايعرف كون الناس الا بالخبر

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد يضطر خبر الواحد في بعض الاوقات الى التصديق يعرف ذلك من تدبر امور نفسه كمتنذر بموت انسان لدفنه وكرسالة من عند السلطان يأتي بها بريد وككتاب وارد من صديق بديهة وكخبر يخبرك ان هذا دار فلان وكمنذر بعرس عند فلان وكرسول من عند القاضي والحاكم وسائر ذلك من أخبار بان هذا فلان بن فلان ومثل هذا كثير جداً وهذا لاينضبط بأكثر مما يسمع وراعي هذا المعني لم يمض له يوم واحد قطعاً حتي يشاهد في منزله وخارج منزله من خبر واحد ما يضطر الى تصديقه ولابد كثيراً جداً وأما فى الشريعة فخبر الواحد الثقة موجب للعلم وبرهان شرعى قد ذكرناه في كتابنا الاحكام لاصول الاحكام وقد ادعى المخالفون ان ما اتفقت عليه أمتنا بارائها فهي معصومة

بخلاف سائر الامم ولا برهان على هذا وقال النظام ان خبر التواتر لا يضطر لان كل واحد منهم يجوز عليه الغلط والكذب وكذلك يجوز على جميعهم ومن المحال ان يجتمع ممن يجوز عليه الكذب وممن يجوز عليه الكذب من لا يجوز عليه الكذب ونظر ذلك باعمى وأعمى وأعمي فلا يجوز ان يجتمع مبصرون

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا تنظير فاسد لان الاعمى ليس فيه شيء من صحة البصر وليس كذلك المخبرون لان كل واحد منهم كما يجوز عليه الكذب كذلك يجوز عليه الصدق ويقع منه وقد علم بضرورة العقل ان اثنين فصاعداً اذا فرق بينهما لم يمكن البتة منهما ان يتفقا على توليد خبر كاذب يتفقان في لفظه ومعناه فصح انهما اذا أخبرا بخبر فاتفقا فيه انهما أخبرا عن علم صحيح موجود عندهما ومن أنكر هذا لزمه ان لا يصدق بشيء من البلاد الغائبة عنه ولا بالملوك السالفين ولا بالانبياء وهذا خروج الى الجنون بلا شك أو الى المكابرة في الحس وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل كيف أجزتم ههنا اطلاق اسم الضرورة والاضطرار ومنعتم من ذلك في أفعال الفاعلين عند ذكركم الاستطاعة وخلق الله تعالى أفعال العباد وكل ذلك عندكم خلق الله تعالى في عباده قلنا ان الفرق بين الامرين في ذلك لائح وهو ان الفاعل متوهم منه ترك فعله لو اختار تركه وممكن منه ذلك وليس ممكنا منه اعتقاد خلاف ما تيقنه بان يرفع عن نفسه تحقيق ما عرف انه حق فهكذا أوقعناها هنا اسم الاضطرار ومنعنا منه هنالك وبالله تعالى نتأيد

الكلام على من قال بتكافؤ الادلة

﴿ قال أبو محمد ﴾ ذهب قوم الى القول بتكافؤ الادلة ومعني هذا انه لا يمكن نصر مذهب على مذهب ولا تغليب مقالة على مقالة حتي يلوح الحق من الباطل ظاهراً بيناً لا اشكال فيه بل دلائل كل مقالة فهى مكافئة لدلائل سائر المقالات وقالوا كما ثبت بالجدل فانه بالجدل ينقض وانقسم هؤلاء الى أقسام ثلاثة فيما أنتجه لهم هذا الاصل فطائفة قالت بتكافؤ الادلة جملة في كل ما اختلف فيه فلم تحقق البارى تعالى ولا أبطلته ولا أثبتت النبوة ولا أبطلتها وهكذا في جميع الاديان والاهواء لم تثبت شيئاً من ذلك ولا أبطلته الا انهم قالوا انا نوقن ان الحق في أحد هذه الاقوال بلا شك الا انه غير بين الى أحد البتة ولا ظاهر ولا متميز أصلا

﴿قال أبو محمد﴾ وكان اسمعيل بن يونس الاعور الطبيب اليهودى تدل أقواله ومناظراته دلالة صحيحة على انه كان يذهب الى هذا القول لاجتهاده في نصر هذه المقالة وان كان غير مصرح بانه يعتقدها وقالت طائفة أخرى بتكافؤ الادلة فيما دون البارى تعالى فاثبتت الخالق تعالى وقطعت بانه حق خالق لكل مادونه بيقين لاشك فيه ثم لم تحقق النبوة ولا أبطلتها ولا حققت دين ملة ولا أبطلته لكن قالت ان في هذه الاقوال قولا صحيحا بلا شك الا انه غير ظاهر الى أحد ولا بين ولا كلفه الله تعالى أحداً وكان اسمعيل بن القراد الطبيب اليهودي يذهب الى هذا القول يقيناً وقد ناظرنا عليه مصرحا به وكان يقول اذا دعوناه الى الاسلام وحسمنا شكوكه ونقضنا علله الانتقال في الملل تلاعب

﴿قال أبو محمد﴾ وقد ذكر لنا عن قوم من أهل النظر والرياسة في العلم هذا القول الا انه لم يثبت ذلك عندنا عنهم وطائفة قالت بتكافؤ الادلة فيما دون الباري عز وجل ودون النبوة فقطعت ان الله عز وجل حق وانه خالق الخلق وان النبوة حق وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم حقاً ثم لم يغلب قولا من أقوال أهل القبلة على قول بل قالوا ان فيها قولا هو الحق بلا شك الا انه غير بين الى أحد ولا ظاهر وأما الاقوال التي صاروا اليها فيما يثبتوا عليها منها فطائفة لزمت الحيرة وقالت لاندري مانعتقد ولا يمكننا أخذ مقالة لم يصح عندنا دون غيرها فنكون مغالطين لانفسنا مكابرين لعقولنا لكنا لاننكر شيئاً من ذلك ولا نثبته وجمهور هذه الطائفة مالت الى اللذات وأمراح النفوس في الشهوات كيف مامالت اليه بطبايعها وطايفة قالت على المرء فرض لموجب العقل الا يكون سدًى بل يلزمه ولا بد ان يكون له دين يرد جربه عن الظلم والقبائح وقالوا من لادين له فهو غير مأمور في هذا العالم على الافساد وقتل النفوس غيلة وجهراً وأخذ الاموال خيانة وعصياً والتعدى على الفروج تحيلا وعلانية وفى هذا هلاك العالم باسره وفساد البنية وانحلال النظام وبطلان العلوم والفضايل كلها التي تقتضى العلوم بلزومها وهذا هو الفساد الذى توجب العقول التحرز منه واجتنابه قالوا فمن لادين له فواجب على كل من قدر على قتله أن يسارع الى قتله واراحة العالم منه وتعجيل استكفاف ضره لانه كالافعى والعقرب أو أضر منهما ثم انقسم هؤلاء قسمين فطايفة قالت فاذ الامر كذلك فوجب على الانسان لزوم الدين الذى نشأ عليه أو ولد عليه لانه هو الدين الذي تخيره

الله له في مبدأ خلقه ومبدأ نشئته بيقين وهو الذي أثبته الله عليه فلا يحل له الخروج عما رتبه الله تعالى فيه وابتداه عليه أى دين كان وهذا كان قول اسماعيل بن القداد وكان يقول من خرج من دين الى دين فهو وقاح متلاعب بالاديان عاص لله عز وجل المتعبد له بذلك الدين وكان يقول بالمسألة الكلية ومعنى ذلك الا يبقى أحد دون دين يعتقده على ماذكرنا آنفاً وقالت طائفة لاعذر للمرء في لزوم دين أبيه وجده أو سيده وجاره ولا حجة له فيه لكن الواجب على كل أحد أن يلزم ما اجتمعت الديانات باسرها والعقول بكليتها على صحته وتفضيله فلا يقتل أحداً ولا يزني ولا يلوط ولا يبغ به ولا يسع في افساد حرمة أحد ولا يسرق ولا يغصب ولا يظلم ولا يجر ولا يجن ولا يغش ولا يغتب ولا ينم ولا يسفه ولا يضرب أحداً ولا يستطيل عليه ولكن يرحم الناس ويتصدق ويؤدي الامانة ويؤمن الناس شره ويعين المظلوم ويمنع منه فهذا هو الحق بلا شك لانه المتفق عليه من الديانات كلها ويتوقف عما اختلفوا فيه ليس علينا غير هذا لانه لم يلح لنا الحق في شيء منه دون غيره

﴿ قال أبو محمد ﴾ فهذه أصولهم ومعاقدهم وأما احتجاجهم في ذلك فهو انهم قالوا وجدنا الديانات والآراء والمقالات كل طائفة تدعى انها إنما اعتقدت ما اعتقدته عن الاوايل وبراهين باهرة وكل طائفة منها تناظر الاخرى فتنتصف منها وربما غلبت هذه في مجلس ثم غلبتها الاخرى في مجلس آخر على حسب قوة نظر المناظر وقدرته على البيان والتحالل والتشغب لهم في ذلك كالمتحاربين يكون الظفر سجالا بينهم قالوا فصح انه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ولو كان لما اشكل على احد ولم يختلف الناس في ذلك كما لم يختلفوا فيما ادركوه بحواسهم وبداية عقولهم وكما لم يختلفوا في الحساب وفي كل شيء عليه برهان لائح قالوا ومن المحال أن يبدو الحق الى الناس فيعاندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك في الدنيا والآخرة بلا سبب قالوا فلما بطل هذا صح ان كل طائفة انما تتبع اماماً نشأت عليه واماما يخيل لاحدهم انه الحق دون تثبيت ولا يقين قالوا وهذا مشاهد من أهل كل ملة وان كان فيها ما لاشك في سخافته وبطلانه وقالوا أيضاً انا نرى الجماعة الكثيرة قد طلبوا علم الفلسفة وتجروا فيها ووسموا أنفسهم بالوقوف على الحقائق وبالخروج عن جملة العامة وبانهم قد أشرفوا على الصحيح بالبراهين وميزوه من الشغب والاقناع ونجد آخرين قد تجروا في علم الكلام وافنوا فيه دهرهم ورسخوا فيه وفخروا بانهم قد وقفوا على الدلايل

الصحاح وميزوها من الفاسدة وانهم قد لاح لهم الفرق بين الحق والباطل بالحجج والانصاف ثم نجدهم كلهم يعني جميع هاتين الطائفتين فلسفيهم وكلاميهم في أديانهم التي يقرون انها نجاتهم او هلكتهم مختلفين كاختلاف العامة واهل الجهل بل أشد اختلافا فمن يهودى يموت على يهوديته ونصراني يتهالك على نصرانيته وتثليثه ومجوسي يستميت على مجوسيته ومسلم يستقتل في اسلامه ومنني يستهلك في مانونيته ودهرى ينقطع في دهريته قد استوى العامى المقلد من كل طائفة في ذلك مع المتكلم الماهر المستدل بزعمه ثم نجد أهل هذه الاديان في فرقهم أيضا كذلك سواء سواء فان كان يهودياً فاما رباني يتقد غيظاً على سائر فرق دينه وأما صابئي يلعن سائر فرق دينه وأما عيسوى يسخر من سائر فرق دينه وأما سامرى يبرأ من سائر فرق دينه وان كان نصرانياً فاما ملكي يتهالك غيظا على سائر فرق دينه وأما نسطورى يقد اسفا على سائر فرق دينه وأما يعقوبي يسخط على سائر فرق دينه وان كان مسلما فاما خارجي يستحل دماء سائر اهل ملته وأما معتزلي يكفر سائر فرق ملته وأما شيعي لا يتولى سائر فرق ملته وأما مرجئي لا يرضي عن سائر فرق ملته وأما سني ينافر فرق ملته قد استوى في ذلك العامى والمقلد الجاهل والمتكلم بزعمه المستدل وكل امرئ من متكلمي الفرق التي ذكرنا يدعي انه انما أخذ ما أخذ وترك ما ترك ببرهان واضح ثم هكذا نجدهم حتي في الفتيا اما حنيفي يجادل عن حنيفيته واما مالكي يقاتل عن مالكيته واما شافعي يناضل عن شافعيته واما حنبلي يضارب عن حنبليته واما ظاهرى يحارب عن ظاهريته واما متخير مستدل فهنالك جاء التحازب حتي لا يتفق اثنان منهم على مائة مسألة الا في الندرة وكل امرئ ممن ذكرنا يزرى على الاخرين وكلهم يدعي انه أشرف على الحقيقة وهكذا القائلون بالدهر أيضاً متباينون متنابذون مختلفون فيما بينهم فمن موجب ان العالم لم يزل وان له فاعلا لم يزل ومن موجب أزلية الفاعل واشياء أخر معه وان سائر العالم محدث ومن موجب أزلية الفاعل وحدوث العالم ومبطل للنبوات كلها كما اختلف سائر أهل النحل ولا فرق قالوا فصح ان جميعهم اما متبع للذى نشأ عليه والنحلة التي تربي عليها واما متبع لهواه قد تخيل له انه الحق فهم على ما ذكرنا دون تحقيق قالوا فلو كان البرهان حقيقة لما اختلفوا فيه هذا الاختلاف ولبان على طول الايام وكرور الزمان ومرور الدهور

وتداول الاجيال له وشدة البحث وكثرة ملاقاة الخصوم ومناظراتهم وافنائهم الاوقات وتسويدهم القراطيس واستنفاذ وسعهم وجهدهم أين الحق فيرتفع الاشكال بل الامر واقف بحسبه أو متزيد في الاختلاف وحدوث التجاذب والفرق قالوا وأيضاً فانا نري المرء الفهم العالم النبيل المتيقن في علوم الفلسفة والكلام والحجاج المستنفذ لعمره في طلب الحقائق المؤثر للبحث عن البرهان على كل ماسواه من لذة أو مال أو جاه المستفرغ لقوته في ذلك النافر عن التقليد يعتقد مقالة ما ويناظر عنها ويحاجج دونها ويدافع امامها ويعادي من خالفها مجداً في ذلك موقناً بصوابه وخطأ من خالفه منافراً له مضللا أو مكفراً فيبقى كذلك الدهر الطويل والاعوام الجمة ثم انه تبدو له بادية عنها فيرجع أشد ما كان عداوة لما كان ينصر ولاهل تلك المقالة التي كان يدين بصحتها وينصرف يقاتل في ابطالها ويناظر في افسادها ويعتقد من ضلالها وضلال أهلها الذي كان يعتقد من صحتها ويعجب الآن من نفسه أمس وربما عاد الى ما كان عليه أو خرج الى قول ثالث قالوا فدل هذا على فساد الادلة وعلى تكافؤها جملة وان كل دليل فهو هادم الآخر كلاهما يهدم صاحبه وقالوا أيضاً لايخلو من حقق شيئاً من هذه الديانات أو المقالات من ان يكون صح له أو لم يصح له ولا سبيل الى قسم ثالث قالوا فان كان لم يصح له بأكثر من دعواه أو من تقليده مدعياً فليس هو أولى من غيره بالصواب وان كان صح له فلا يخلو من ان يكون صح له بالحواس أو ببعضها أو بضرورة العقل وبديهته أو صح له بدليل ماغير هذين ولا سبيل الى قسم رابع فان كان صح له بالحواس أو ببعضها أو بضرورة العقل وبديهته فيجب ان لايختلف في ذلك أحد كما لم يختلفوا فيما أدرك بالحواس وبديهة العقل من أن ثلاثة أكثر من اثنين وانه لايكون المرء قاعداً قائماً معاً بالعقل فلم يبق الا ان يقولوا انه صح لنا بدليل غير الحواس فنسألهم عن ذلك الدليل بماذا صح عندكم بالدعوى فلستم بأولى من غيركم في دعواه أم بالحواس وبديهة العقل فكيف خولفتم فيه هذا ولا يختلف في مدركاته أحد أم بدليل غير ذلك وهكذا أبداً الى مالا نهاية له قالوا وهذا مالا مخلص لهم منه قالوا ونسألهم أيضاً عن علمهم بصحة ماهم عليه أيعلمون أنهم يعلمون ذلك أم لا فان قالوا لانعلم ذلك أحالوا وسقط قولهم وكذونا مؤونتهم لانهم يقرون انهم لايعلمون انهم يعلمون ماعلموا وهذا هوس وافساد لما يعتقدونه وان قالوا بل نعلم ذلك

سألناهم أبعلم علموا ذلك أم بغير علم وهكذا أبدا وهذا يقتضي ان يكون للعلم علم ولعلم العلم علم الى مالا نهاية له وهذا عندهم محال

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذا كل ما موهوا به مانعلم لهم شغبا غير ماذكرنا ولا لهم متعلق سواه أصلا بل قد زدناهم فيما رأيناهم وتقصيناه لهم بغاية الجهد كما فعلنا بأهل كل مقالة

﴿ قال ابو محمد ﴾ وكل هذا الذي موهوا به منحل بيقين ومنتقض بابين برهان بلا كثير كلفة ولم نجد احدا من المتكلمين السالفين اورد بابا خالصا في النقض على هذه المقالة ونحن ان شاء الله تعالى ننقض كل ما موهوا به بالبراهين الواضحة وبالله تعالى التوفيق وذلك بعد ان نبين فساد معاقد هذه الطوائف المذكورة ان شاء الله عز وجل

﴿ قال ابو محمد ﴾ فنقول وبالله تعالى نتأيد اما الطائفة المتحيرة فقد شهدت على انفسها بالجهل وكفت خصومها مؤنتها في ذلك وليس جهل من جهل حجة على علم من علم ولا من لم يتبين له الشيء غبارا على من تبين له بل من علم فهو الحجة على من جهل هذا هو الذي لايشك أحد فيه في جميع العلوم والصناعات وكل معلوم يعلمه قوم ويجهله قوم ولا أحمق ممن يقول لما جهلت أنا أمر كذا ولم أعرفه علمت ان كل أحد جاهل به كجهلي وهذه صفة هؤلاء القوم نفسها ولو ساغ هذا لاحد لبطلت الحقائق وجميع المعارف وجميع الصناعات اذ لكل شيء منها من يجهله من الناس نعم ومن لايحجج فيه ولايفهمه وان طلبه هذا أمر مشاهد بالحواس فهم قد أقروا بالجهل وندعي نحن العلم بحقيقة مااعترفوا بجهلهم به فالواجب عليهم أن ينظروا في براهين المدعين للمعرفة بما جهلوه نظرا صحيحا متقصي بغير هوى فلابد يقينا من أن يلوح حقيقة قول المحق وبطلان قول المبطل فتزول عنهم الحيرة والجهل حينئذ فسقطت هذه المقالة بيقين والحمد لله رب العالمين * وأما من قطع بان ليس هاهنا مذهب صحيح أصلا فان قوله ظاهر الفساد بيقين لااشكال فيه لانهم أثبتوا حقيقة وجود العالم بما فيه وحقيقة مايدرك بالحواس وباول العقل وبديهته ثم لم يصححوا حدوثه ولا أزليته ولا أبطلوا حدوثه وأزليته معا ولم يصححوا ان له خالقا ولا انه لاخالق له وأبطلوا كلا الامرين وأبطلوا النبوة وأبطلوا ابطالها فقد خرجوا يقينا الى المحال والى أقبح قول السوفسطائية وفارقوا بديهة العقل وضرورته التي قد حققوها وصدقوا موجبها اذ لا خلاف بين أحد له مسكة عقل في ان كل

مالم يكن حقا فهو باطل ومالم يكن باطلا فانه حق وان اثنين قال أحدهما في قضية واحدة في حكم واحد قال نعم والاخر لا فاحدهما صادق بلاشك والاخر كاذب بلا شك هذا يعلم بضرورة العقل وبديهته واما قول قائل هذا حق باطل معاً من وجه واحد في وقت واحد وقول من قال لاحق ولاباطل فهو بين باطل معلوم بضرورة العقل وبديهته فواجب باقرارهم ان من قال ان العالم لم يزل وقال الاخر هو محدث ان أحدهما صادق بلاشك وكذلك من أثبت النبوة ومن نفاها فظهر بيقين وضرورة العقل يقيناً فساد هذه المقالة لا ان يبطلوا الحقائق ويلحقوا بالسوفسطائية فيكلمون حينئذ بما تكلم به السوفسطائية مما ذكرناه قبل وبالله تعالى التوفيق وأما من مال الى اللذات جملة فانه ان كان من احدى هاتين الطائفتين فقد بطل عقده وصح يقينا انه على ضلال وخطأ وباطل وفساد في اصل معتقده الذى أداه الى الانهماك واذا بطل شيء بيقين فبيقين قد بطل ما تولد منه وان مال الى أحد الاقوال الاخر فكلها مبطل للزوم اللذات والانهماك فصح ضرورة بطلان هذه الطريقة وان صار الى تحقيق الدهرية كلم بما تكلم به الدهرية مما قد اوضحناه والحمد لله واما من قال بالزام المرء دين سلفه والدين الذى نشأ عليه فخطأ لاخفاء به لاننا نقول لمن قال بوجوب ذلك ولزومه اخبرنا من اوجبه ومن ألزمه فالايجاب والالزام يقتضي فاعلا ضرورة ولا بد منها فمن الزم ما ذكرتم من أن يلزم المرء دين سلفه أو الدين الذى نشأ عليه الله ألزم ذلك جميع عباده أم غير الله تعالى أوجب ذلك اما انسان واما عقل واما دليل فان قال بل ماألزم ذلك الا من دون الله تعالى قيل له ان من دون الله تعالى معصي مخالف مرفوض لاحق له ولا طاعة الا من أوجب الله عز وجل له فيلزم طاعته لان الله أوجبها لا لانها واجبة بذاتها وليس من أوجب شيئاً دون الله تعالى بأولى من آخر ابطل ماأوجب هذا واوجب بطلانه وفي هذا كفاية لمن عقل ولا ينقاد للزوم من دون الله تعالى الا جاهل مغرور كالبهيمة تقاد فتنقاد ولا فرق وان قال ان العقل ألزم ذلك قيل له انك تدعى الباطل على العقل اذا دعيت عليه ماليس في بنيته لان العقل لايوجب شيأ وانما العقل قوة تميز النفس بها الاشياء على ماهي عليه فقط ويعرف ماصح وجوبه مما أوجبه من تلزم طاعته مما لم يصح وجوبه مما لم يوجبه من يجب طاعته ليس في العقل المراد به التمييز شيء غير هذا أصلا وأيضاً فان قائل هذا مجاهر بالباطل لانه لايخلو ان

يكون يزعم أن العقل أوجب ذلك ببديهته او ببرهان راجع الى البديهة من قرب او من بعد فان ادعى أن العقل يوجب ذلك ببديهته كابر الحس ولم ينتفع بهذا أيضاً لانه لا يعجز عن التوقح بمثل هذه الدعوى أحد في أي شيء شاء وان ادعى انه أوجب ذلك برهان راجع الى العقل كاف المجيء به ولا سبيل اليه أبدا فان قال ان الله عز وجل أوجب ذلك سئل الدليل على صحة هذه الدعوى التي أضافها الى البارى عز وجل وهذا مالاسبيل اليه لان ماعند الله عز وجل من الزام لايعرف البتة الا بوحي من عنده تعالى الى رسول من خلقه يشهد له تعالى بالمعجزات واما بما يضعه الله عزوجل في العقول وليس في شيء من هذين دليل على صحة دعوي هذا المدعى واما احتجاجه بانه هو الدين الذي اختاره الله عز وجل لكل أحد وانشاه عليه فلا حجة له في هذا لانا لم نخالفه في ان هذا درب على هذا الدين وخلقه الله عزوجل مع من دربه عليه بل نقر بهذا كما نقر بان الله خلقه في مكان ما في صناعة ما وعلى معاش ما وعلى خلق ما وليس في ذلك دليل عند احد من العالم على انه لايجوز له فراق ذلك الخلق الى ماهو خير منه ولا على انه لزمه لزوم المكان الذي خلق فيه والصناعة التي نشأ عليها والقوت الذي كبر عليه بل لايختلف اثنان في ان له مفارقة ذلك المكان وتلك الصناعة وذلك المعاش الى غيره وان فرضا عليه لزوال عن كل ذلك اذ كان مذموماً الى المحمود من كل ذلك وأيضاً فان جميع الاديان التي أوجبها كلها هذا القائل وحقق جميعها فكل دين منها فيه انكار غيره منها واهل كل دين منها تكفر سائر اهل تلك الاديان وكلهم يكذب بعضهم بعضا وفي كل دين منها تحريم التزام غيره على كل احد فلو كان كل دين منها لازماً ان يعتقده من نشاء عليه لكان كل دين منها حقا واذا كان كل دين منها حقاً منها يبطل سائرها وكل ماابطله الحق فهو باطل بلا شك فكل دين منها باطل بلا شك فوجب ضرورة على قول هذا القائل ان جميع الاديان باطل وان جميعها حق فجميعها حق باطل معاً فبطل هذا القول بيقين لاشك فيه والحمد لله رب العالمين واما من قال اني الزم فعل الخير الذي اتفقت الديانات والعقول على انه فضل واجتنب ما اتفقت الديانات والعقول على أنه قبيح فقول فاسد مموه مضمحل أول ذلك انه كذب ولا اتفقت الديانات ولا العقول على شيء من ذلك بل جميع الديانات الا الاقل منها مجموعون على قتل من خالفهم وأخذ أموالهم

وكل دين منها لانحاشي ديناً قائل باحكام هي عند سائرها ظلم وأما المنانية فانها وان لم تقل بالقتل فانها تقول بترك النكاح الذى هو مباح عند سائر الديانات ويقولون باباحة اللياطة والسحق وسائر الديانات محرمة لذلك فما اتفقت الديانات على شئ أصلا ولا على التوحيد ولا على ابطاله لكن اتفقت الديانات على تخطئته وتكفيره والبراءة منه اذا لم يعتقد ديناً فبيناه بطاب موافقة جميع الديانات حصل على مخالفة جميعها وهكذا فليكن السعي المضلل وكذلك طبائع جميع الناس مؤثرة للذات كارهة لما يلتزمه أهل الشرائع والفلاسفة فبطل تعلقهم بشئ مجمع عليه ولم يحصل الا على طمع خائب مخالفاً لجميع الديانات غير متعلق بدليل لاعقلي ولا سمعي وقد قلنا أن العقول لاتوجب شيئاً ولا تقبحه ولا تحسنه وبرهان ذلك أن جميع أهل العقول الا يسيراً فانهم أصحاب شرائع وقد جاءت الشرائع بالقتل وأخذ المال وضرب الانسان وذبح الحيوان فما قال قط أصحاب العقول أنها جاءت بخلاف مافي العقول ولا ادعي ذلك الا أقل الناس ومن ليس عقله عياراً على عقل غيره ولو كان ذلك واجباً في العقول لوجده سائر أهل العقول كما قالوا هم سواء سواء فصح ان دعواهم على العقول كاذبة في باب التقبيح والتحسين جملة وهذا أكسر عام لنفس أقوالهم والحمد لله رب العالمين * ثم نذكر ان شاء الله تعالى البراهين على ابطال حججهم الشغبة المموهة وبالله تعالى نتأيد

﴿قال أبو محمد﴾ أما احتجاجهم بأن قالوا وجدنا أهل الديانات والآراء والمقالات كل طائفة تناظر الأخرى فتنتصف منها وربما غلبت هذه في مجلس ثم غلبتها الأخرى في مجلس آخر على حسب قوة المناظر وقدرته على البيان والتحيل والشغب فهم في ذلك كالمتحاربين يكون الظفر سجالا بينهم فصح أنه ليس ههنا قول ظاهر الغلبة ولو كان ذلك لما أشكل على أحد ولا اختلف الناس فيه كما لم يختلفوا فيما أدركوا بحواسهم وبداية عقولهم وكما لم يختلفوا في الحساب وفي كل شئ عليه برهان لائح واللائح الحق على مرور الزمان وكثرة البحث وطول المناظرات قالوا ومن المحال أن يبدو الحق الى الناس ظاهراً فيعاندوه بلا معنى ويرضوا بالهلاك في الدنيا والآخرة بلا سبب قالوا فلما بطل هذا صح ان كل طائفة تتبع أما مانشأت عليه وأما مايخيل لاحدهم انه الحق دون تثبت ولا يقين قالوا وهذا مشاهد من كل ملة ونحلة وان كان فيها مالا يشك في بطلانه وسخافته

﴿ قال أبو محمد ﴾ هذه جمل نحن نبين كل عقدة منها ونوفيها حقاً من البيان بتصحيح أو افساد بما لا يخفى على أحد صحته وبالله تعالى التوفيق أما قولهم ان كل طائفة من أهل الديانات والاراء يناظر فينتصف وربما غلبت هذه في مجلس ثم غلبتها الاخرى في مجلس آخر على قدر قوة المناظر وقدرته على البيان والتحيل والشغب والتمويه فقول صحيح الا أنه لا حجة لهم فيه على ما ادعوه من تكافؤ الأدلة أصلا لان غلبة الوقت ليست حجة ولا يقنع بها عالم محقق وان كانت له ولا يلتفت اليها وان كانت عليه وانما تحتج بها ويغضب منها أهل المحرفة والجهال وأهل الصياح والتهويل والتشنيع القانعون بان يقال غلب فلان فلانا وان فلانا النظار جدال ولا يبالون بتحقيق حقيقة ولا بابطال باطل فصح ان تغالب المتناظرين لا معني له ولا يجب ان يعتد به لاسيما تجادل أهل زماننا الذين أمالهم نوب معدودة لا يتجاوزونها بكلمة واما ان يغلب الصليب الرأس بكثرة الصياح والتوقح والتشنيع والجعات واما كثير الهدر قوى على أن يملأ المجلس كلاماً لا يحصل منه معني وأما الذى يعتقده أهل التحقيق الطالبون معرفة الأمور على ماهي عليه فهو أن يحثوا فيما يطلبون معرفته على كل حجة احتج بها أهل فرقة في ذلك الباب فاذا نقضوها ولم يبقوا منها شيئاً تأملوها كلها حجة حجة فميزوا الشغبي منها والاقناعى فاطرحوهما وفتشوا البرهاني على حسب المقدمات التي بيناها في كتابنا الموسوم بالتقريب في مائية البرهان وتمييزه مما يظن أنه برهان وليس ببرهان وفي كتابنا هذا وفي كتابنا الموسوم بالاحكام في أصول الاحكام فان من سلك تلك الطريق التي ذكرنا وميز في المبداء مايعرف باول التمييز والحواس ثم ميز ماهو البرهان مما ليس برهانا ثم لم يقبل الا ما كان برهانا راجعاً رجوعا صحيحاً ضروريا الى ما أدرك بالحواس أو ببديهة التمييز وضرورة في كل مطلوب يطلبه فان سارع الحق يلوح له واضحاً ممتازاً من كل باطل دون أشكال والحمد لله رب العالمين وأما من لم يفعل ماذكرنا ولم يكن وكده الا نصر المسألة الحاضرة فقط أو نصر مذهب قد ألفه قبل أن يقوده الى اعتقاده برهان فلم يجعل غرضه الا طلب أدلة ذلك المذهب فقط فبعيد عن معرفة الحق من الباطل ومثل هؤلاء غروا هؤلاء المخاذيل فظنوا ان كل بحث ونظر مجراهما هذا المجرى الذى عهدوه ممن ذكرنا فضلوا ضلالا بعيداً وأما قولهم فصح انه ليس هاهنا قول ظاهر الغلبة ولو كان ذلك لما أشكل على أحد ولما اختلف الناس

فيه كما لم يختلفوا فيما ادركوه بحواسهم وبداية عقولهم وكما لم يختلفوا في الحساب وفي كل ما عليه برهان لايح فقول أيضاً مموه لانه كله دعوي فاسدة بلا دليل وقد قلنا قبل في ابطال هذه الأقوال كلها بالبرهان بمافيه كفاية وهذا لايمكن فيه تفصيل كل برهان على كل مطلوب لكن نقول جملة ان من عرف البرهان وميزه وطلب الحقيقة غير مايل بهوى ولا الف ولا نفار ولا كسل فضمون له تمييز الحق وهذا كمن سأل عن البرهان على أشكال اقليدس فانه لا اشكال في جوابه عن جميعها بقول مجمل لكن يقال له سل عن شكل شكل تخبر ببرهانه او كمن سأل ما النحو وأراد أن يوقف على قوانينه جملة فان هذا لايمكن با كثر من أن يقال له هو بيان حركات وحروف يتوصل باختلافها الى معرفة مراد المخاطب باللغة العربية ثم لا يمكن توقيفه على حقيقة ذلك ولا الى اثباته جملة الا بالاخذ معه في مسألة مسألة وهكذا في هذا المكان الذى نحن فيه لا يمكن ان نبين جميع البرهان على كل مختلف فيه با كثر من أن يقال له سل عن مسألة مسألة نبين لك برهانها بحول الله تعالى وقوته ثم نقول لمن قال من هؤلاء ان ههنا قولا صحيحاً واحداً لاشك فيه اخبرنا من أين عرفت ذلك ولعل الامر كما يقول من قال ان جميع الاقوال كلها حق فان قال لا لانها لو كانت حقاً لكان محالا ممتنعاً لان فيها اثبات الشيء وابطاله معاً ولو كان جميعها باطلا لكان كذلك أيضاً سواء سواء وهو محال ممتنع لان فيه أيضاً اثبات الشيء وابطاله معاً واذا ثبت اثبات الشيء بطل ابطاله بلا شك واذا بطل اثباته ثبت ابطاله بلا شك فاذ قد بطل هذان القولان بيقين لم يبق بلا شك الا أن فيه حقاً بعينه وباطلا بعينه قلنا له صدقت واذا لامر كما قلت فان هذا العقل الذى عرفت به في تلك الاقوال قولا صحيحا بلا شك به تميز ذلك القول الصحيح بعينه مما ليس بصحيح لان الصحيح من الاقوال يشهد له العقل والحواس ببراهين ترده الى العقل والى الحواس ردا صحيحاً وأما الباطل فينقطع ويقف قبل أن يبلغ الى العقل والى الحواس وهذا بين والحمد لله رب العالمين * وأما من ابطل ان يكون في الاقوال كلها قول صحيح فقد اخبرنا انه مبطل للحقائق كلها متناقض لانه يبطل الحق والباطل معاً وبالله تعالى التوفيق اما قولهم لو كان ههنا قول صحيح لما أشكل على أحد ولا اختلف فيه كما لم يختلفوا فيما ادركوه بحواسهم ولا في الحساب فان هذا قول فاسد لان اشكال الشيء على من أشكل

عليه انما معناه انه جهل حقيقة ذلك الشيء فقط وليس جهل من جهل حجة على من علم برهان هذا انه ليس في العالم شيء الا ويجهله بعض الناس كالمجانين والاطفال ومن غمرة الجهال والبلدة ثم يتزيد الناس في الفهم فيفهم طائفة شيئاً لا تفهمه المجانين وتفهم اخرى مالا تفهمه هؤلاء وهكذا الى أرفع مراتب العلم فكلما اختلف فيه فقد وقف على الحقيقة فيه من فهمه وان كان خفي على غيره هذا أمر مشاهد محسوس في جميع العلوم وآفة ذلك ماقد ذكرناقبل وهو اما قصور الفهم والبلادة وأما كسل عن تقصي البرهان وأما الالف اونفار تعدابصاحبهما عن الغاية المطلوبة أو تعد ياها وهذه دواعي الاختلاف في كل مااختلف فيه فاذاارتفعت الموانع لاح البرهان بيقين فبطل ماشغبوا به والحمدلله رب العالمين * وأما قولهم كما لم يختلفوا فيما أدركوه بحواسهم وفي الحساب وفيما أدركوه ببداية عقولهم فقول غير مطرد والسبب في انقطاع اطراده هو انه ليس في أكثر ما يدرك بالحواس و بداية العقول شيء يدعو الى التنازع ولا الى تقليد يتهالك في نصره او ابطاله وكذلك في الحساب حتي اذاصرنا الى ما فيه تقليد مما يدرك بالحواس أوباوائل التمييز وجدفيه من التنازع والمكابرة والمدافعة وجحد الضرورات كالذي يوجد فيما سواه كمكابرة النصارى واستهلاكهم في أن المسيح له طبيعتان ناسوتية ولا هوتية ثم منهم من يقول ان تلك الطبيعتين صارتا شيئاً واحداً وصار اللاهوت ناسوتا تاماً محدثاً مخلوقاً وصار الناسوت ألها تاماً خالقاً غير مخلوق ومنهم من يقول امتزجا كامتزاج العرض بالجوهر ومنهم من يقول امتزجا كامتزاج البطانة والظهارة وهذا حمق ومحال يدرك فساده بأول العقل وضرورته وكما تهالكت المنانية على ان الفلك في كل أفق من العالم لا يدور الا كما يدور الرحي وهذا أمر يشاهد كذبه بالعيان وكما تهالكت اليهود على ان النيل الذي يحيط بارض مصر وزويلة ومعادن الذهب وان الفرات المحيط بارض الموصل مخرجهما جميعاً من عين واحدة من المشرق وهذا كذب يدرك بالحواس وكما تهالكت المجوس على ان الولادة من انسان وان مدينة واقفة من بنيان بعض ملوكهم بين السماء والارض وكتهالك جميع العامة على ان السماء مستوية كالصحيفة لا مقبية مكورة وان الارض كذلك أيضاً وان الشمس تطلع على جميع الناس في جميع الارض في ساعة واحدة وتغرب عنهم كذلك وهذا معلوم كذبه بالعيان وكتهالك الاشعرية وغيرهم ممن يدعى العلم والتوفيق فيه ان النار لا حر فيها وان الثلج لا برد فيه وان

الزجاج والحصا لهما طعم ورائحة وان الخمر لا يسكر وان ههنا أحوالا لا معدومة ولا موجودة ولا هي حق ولا هي باطل ولا هي مخلوقة ولا غير مخلوقة ولا هي معلومة ولا مجهولة وهذا كله معلوم كذبه وبطلانه بالحواس وباول العقل وضرورته وتخليط لا يفهمه أحد ولا يتشكل في وهم أحد ولو لا اننا شاهدنا أكثر من ذكرنا لما صدقنا ان من له مسكة عقل ينطلق لسانه بهذا الجنون وكتلك طوائف على ان اسمين يقعان على مسميين كل واحد من ذينك المسميين لاهو الآخر ولاهو غيره وكالسوفسطائية المنكرة للحقائق وأما الحساب فقد اختلف له في أشياء من التعديل ومن قطع الكواكب وهل الحركة لها او لافلاكها وأما الذى لا يخلو وقت من وجوده نخطأ كثير من أهل الحساب في جمع الاعداد الكثيرة حتي يختلفوا اختلافا ظاهراً حتي اذا حقق النظر يظهر الحق من الباطل وهذا نفس ما يعرض في كل مايدرك بالحواس فظهر بطلان تمويههم وتشبيههم جملة والحمد لله رب العالمين وصح ماأ نكروه من ان كثيراً من الناس يغيبون عن اعتقاد ماشهدت له الحواس وينكرون أوائل العقول ويكابرون الضرورات أما انهم كسلوا عن طلب البرهان وقطعوا بظنونهم وأما لانهم زلوا عن طريق البرهان وظنوا انهم عليه واما لانهم الفوا ماما لت اليه أهواؤهم لالف شئ ونفار عن آخر وأما قولهم وللاح الحق على مرور الازمان وكثرة البحث وطول المناظرات فيقال لهم وبالله تعالى التوفيق نعم قد لاح الحق وبان ظن الباطل وان كان كل طائفة تدعيه فان من نظر على الطريق التي وصفنا صح عنده الحق المدعي من المبطل وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم ومن المحال ان يبدو الحق الى الناس فيعاندوه بلا معني ويرضوا بالهلاك في الدنيا والآخرة بلا معني فقول فاسد لانا قد رأيناهم أتوا أشياء بدا الحق فيها الى الناس فعانده كثير منهم وبذلوا مهجهم فيه وكانهم ماشاهدوا الامر الذى ملأ الارض من المقاتلين الذين يعرفون بقلوبهم ويقرون بالسنتهم انهم على باطل يقتتلون ويعترفون بانهم بالغوا بمهجهم ودمائهم وأموالهم وأديانهم ويوتمون أولادهم ويرملون نساءهم في قتال عن سلطان غائب عن ذلك القتال لا يرجون زيادة درهم ولا يخاف كل امرئ منهم في ذاته تقصيراً به لولم يقاتل أولم يروا كثيراً من الناس يأكلون أشياء يوقنون بانهم يستضرون بها ويكثرون شرب الخمر وهم يقرون انها قد آذتهم وأفسدت أمزجتهم وانها تؤديهم الى التلاف وهم يقرون مع ذلك انهم عاصون لله تعالى

وكم رأينا من الموقنين بخلود العاصي في النار المحققين لذلك يقر على نفسه انه يفعل مايخلد به في النار فان قالوا ان هؤلاء يستلذون مايفعلون من ذلك قلنا لهم ان استلذاذ من يدين بشيء مايبصره لما يدين به وتعصبه له أشد من استلذاذ الاكل والشرب لما يدرى انه يبلغه من ذلك ثم نقول لهم أخبرونا عن قولكم هذا انه ليس ههنا قول سطعت حجته ولو كان لما اختلف الناس فيه أحق وهي هذه القضية التي قطعتم بها وهل قولك هذا ظاهر الحجة متيقن الحقيقة أم لا فان قالوا لا أقروا بان قولهم لم تصح حجته ولا لاح برهانه وانه ليس حقا ماقالوه وان قالوا بل هو حق قد لاحت حجته قلنا لهم فكيف خولفتم في شيء لاحت حجته حتي صار أكثر أهل الارض يعمون عما لاشك فيه عندكم وعن مالاح الحق فيه حتي اعتقدوا فيكم الضلال والكفر واباحة الدم وهذا هو نفس ما أنكروا قد صرحوا انه حق والحمد لله رب العالمين وأما احتجاجهم بانتقال من ينتقل من مذهب الى مذهب وتهالكه في اثباته ثم تهالكه في ابطاله ورومهم ان يفسدوا بهذا جميع البراهين فليس كما ظنوا لان كل متنقل من مذهب الى مذهب فلا يخلو ضرورة من أحد ثلاثة أوجه اما أن يكون انتقل من خطأ الى خطأ أو من خطأ الى صواب أو من صواب الى خطأ وأى ذلك كان فانما أتي في الانتقالين الاثنين الذين هما الى الخطأ من انه لم يطلب البرهان طلبا صحيحا بل عاجزا عنه باحد الوجوه التي قدمنا قبل وأما الانتقال الى الصواب فانه وقع عليه بجد صحيح وطلب صحيح أو بجد وبحث وهذا يعرض فيما يدرك بالحواس كثيراً فيرى الانسان شخصاً من بعيد فيظنه فلانا ويحلف عليه ويكابر ويجرد ثم يتبين له انه ليس هو الذى ظن وقد يشم الانسان رائحة يظنها من بعض الروائح ويقطع على ذلك ويحلف عليه مجداً ثم يتبين له انه ليس هو الذى ظن وهكذا في الذوق أيضاً وقد يعرض هذا في الحساب فقد يغلط الحاسبون في جمع الاعداد الكثيرة فيقول أحدهم ان الجميع من هذه الاعداد كذا وكذا ويخالفه غيره في ذلك حتى اذا بحثوا بحثاً صحيحاً صح الامر عندهم وقد يعرض هذا للانسان فيما بين يديه يطلب الشيء بين متاعه طلبا مردداً المرة بعد المرة فلا يجده ولا يقع عليه وهو بين يديه ونصب عينيه ثم يجده في أقرب مكان منه وقد يكتب الانسان مستمليا أو يقرأ فيصحف ويزيد وينقص وليس هذا بموجب الا يصح شيء بادراك الحواس أبداً ولا الا يصح وجود الانسان شيئاً افتقده أبدا ولا الا يصح

جميع الاعداد أبدا ولا الا يصح حرف مكتوب ولا كلمة مقروءة أبدا لا مكان وجود الخطأ في بعض ذلك لكن التثبت الصحيح يليح الحق من الباطل وهكذا كل شئ أخطأ فيه ولا بد من برهان يليح الحق فيه من الباطل ولا يظن جاهل ان هذه المعاني كلها حجة لمبطلي الحقائق بل هي برهان عليهم لائح قاطع لان كل ماذكرنا لايختلف حس أحد في ان كل ذلك اذا فتش تفتيشاً صحيحا فانه يقع اليقين والضرورة بان الوهم فيها غير صحيح وان الحق فيها ولابد فبطل تعلقهم عن رجع من مذهب الى مذهب ولم يحصلوا الا على ان قالوا انا نرى قوما يخطئون فقلنا لهم نعم ويصيب آخرون فاقرارهم بوجود الخطأ موجب ضرورة ان ثم صوابا لان الخطأ هو مخالفة الصواب فلو لم يكن صوابا لم يكن خطأ ولو لم يكن برهان لم يكن شغب مخالف للبرهان ثم نعكس استدلالهم عليهم فنقول لهم وبالله تعالى نتأيد فاذ قد وجدتم من يعتقد ما أنتم عليه ثم يرجع عنه فهلا قلتم ان مذهبكم هذا كالاقوال الاخر التي أبطلتموها من أجل هذا الظن الفاسد في الحقيقة وهو في ظنكم صحيح فهو لكم لازم لانكم صححتموه ولا يلزمنا لاننا لا نصححه ولا صححه برهان

﴿ قال أبو محمد ﴾ وبهذا الذي قلنا يبطل ما اعترضوا به من اختلاف المدعين الفلسفة والمنتحلين الكلام في مذاهبهم وما ذكروه من اختلاف المختارين أيضاً في اختيارهم لاننا لم ندع ان طبائع الناس سليمة من الفساد لكنا نقول ان الغالب على طبائع الناس الفساد فان المنصف لنفسه أولا ثم لخصمه ثانياً الطالب البرهان على حقيقة العارف به فدليل برهاننا على هذا ماوجدناه من اختلاف الناس واختلافهم كثيرا دليل على كثرة الخطاء منهم وقد وضحنا ان وجود الخطاء يقتضي ضرورة وجود الصواب منهم ولابد وليس اختلافهم دليلا على ان لاحقيقة في شيء من أقوالهم ولا على امتناع وجود السبيل الى معرفة الحق وبالله تعالى التوفيق واما احتجاجهم بانه لايخلو من حقق شيئاً من الديانات والمقالات والآراء من أن يكون صح له بالحواس أو ببعضها أو ببديهة العقل وضرورته أو بدليل من الادلة غير هذين وانه لو صح بالحواس أو بالعقل لم يختلف فيه والزامهم فى الدليل مثل ذلك الى آخر كلامهم فهذا كله مقرر قد مضى الكلام فيه وقد أريناهم انه قد يختلف الناس فيما يدرك بالحواس وببديهة العقل كاختلافهم في الشخص يرونه ويختلفون فيه ماهو وفي الصوت يسمعونه بينهم فيما هو

ويختلفون فيه وكاقوال النصارى وغيرهم مما يعلم بضرورة العقل فساده ثم نقول لهم ان أول المعارف هو ماأدرك بالحواس وببديهة العقل وضرورته ثم ينتج براهين راجعة من قرب أومن بعد الى أول العقل أو الى الحواس فما صححته هذه البراهين فهو حق ومالم تصححه هذه البراهين فهو غير صحيح ثم نعكس عليهم هذا السؤال بعينه فنقول لهم وبالله تعالى التوفيق قولكم هذا باي شيء علمتموه بالعقول أم بالحواس أو بدليل غيرهما فان علمتموه بالحواس أو العقول فكيف خولفتم فيه وان كنتم عرفتموه بدليل فذلك الدليل بما عرفتموه أبا لحواس أم بالعقول أم بدليل آخر وهكذا أبداً وكل سؤال أفسد حكم نفسه فهو فاسد وعلى ان هذا لهم لازم لانهم صححوه ومن صحح شيئاً لزمه ونحن لم نصحح هذا السؤال فلا يلزمنا وقد اجبنا عنه بما دفعه عنا وأما هم فلا مخلص لهم منه وبالله تعالى التوفيق وأما قولهم نسألهم عن علمهم بما يدعون صحته أتعلمونه أم لافان قالوا لانعلمه بطل قولهم اذا قروا بأنهم لايعلمونه وان قالوا بل نعلمه سألناهم أبعلم علمتم علمكم بذلك أم بغير علم وهكذا أبداً فهذا أمر قد أحكمنا بيان فساده في باب أفردناه في ديواننا هذا على أصحاب معمر في قولهم بالمعاني وعلى الاشعرية ومن وافقهم من المعتزلة في قولهم بالاحوال وانما كلامنا هذا مع من يقول بتكافؤ الادلة

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا السؤال نفسه مردود عليهم كما هو ونسألهم أتعلمون صحة مذهبكم هذا أم لافان قالوا لا اقروا بانهم لايعلمون صحته وفي هذا ابطاله والله انما هو ظن لا حقيقة وان قالوا بل نعلمه سألناهم أبعلم تعلمونه أم بغير علم وهكذا أبداً الا ان السؤال لازم لهم لانهم صححوه ومن صحح شيئاً لزمه وامانحن فلم نصححه فلا يلزمنا وقد اجبنا عنه في بابه باننا نعلم صحة علمنا بعلمنا ذلك بعينه لا بعلم آخر ونعقل أن لنا عقلا بعقلنا ذلك بنفسه وانما هو سؤال من يبطل الحقائق كلها لامن يقول بتكافؤ الادلة فبطل كل ماموهوا به والحمد لله رب العالمين

﴿ قال أبو محمد ﴾ ثم نقول لهم انتم قد اثبتم الحقائق وفي الناس من يبطلها ومن يشك فيها وهم السوفسطائية وعلمتم أنهم مخطئون في ذلك ببراهين صحاح فببراهين صحاح أيضا صح ماأبطلتموه أو شككتم فيه من أن في مذاهب الناس مذهباً صحيحاً ظاهر الصحة فاذاسأل عنها أجيب بها في مسألة مسألة

﴿ قال أبو محمد ﴾ ويقال لمن قال لكل ذي ملة أو نحلة أو مذهب لعلك مخطئ وانت تظن انك مصيب لان هذا ممكن في كثير من الاقوال بلا شك أخبرنا أفي الناس من فسد دماغه وهو يظن انه صحيح الدماغ فان انكر ذلك كابر ودفع المشاهدات وان قال هذا ممكن قيل له لعلك أنت الآن كذلك وانت تظن انك سالم الدماغ فان قال لا لان ها هنا براهين تصحح اني سالم الذهن قيل له وها هنا براهين تصحح الصحيح من الاقوال وتبينه من الفاسد فان سأل عنها أجبت بها في مسألة مسألة

﴿ قال أبو محمد ﴾ فاذ قد بطل بيقين ان تكون جميع أقوال الناس صحيحة لان في هذا أن يكون الشيء باطلا حقا معا وبطل ان تكون كلها باطلا لان في هذا أيضا اثبات الشيء وضده معا لان الاقوال كلها انما هي نفي شيء يثبته آخر من الناس فلو كان كلا الامرين باطلا لبطل النفي في الشيء واثباته معا واذا بطل اثباته صح نفيه واذا بطل نفيه صح اثباته فكان يلزم من هذا أيضا أن يكون الشيء حقا باطلا معا ثبت بيقين ان في الاقوال حقا وباطلا واذ هذا لاشك فيه فبالضرورة نعرف ان بين الحق والباطل فرقا موجودا وذلك الفرق هو البرهان فمن عرف البرهان عرف الحق من الباطل وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل فانكم تحيلون على براهين تقولون ان ذكرها جملة لا يمكن وتأمرون بالجد في طلبها فما الفرق بينكم وبين دعاة الاسماعيلية والقرامطة الذين يحيلون على مثل هذا قلنا لهم الفرق بيننا وبينهم برهانان واضحان احدهما ان القوم يأمرون باعتقاد أقوالهم وتصديقهم قبل ان يعرفوا براهينهم ونحن لا نفعل هذا بل ندعوا الى معرفة البراهين وتصحيحها قبل أن نصدق فيما نقول والثاني أن القوم يكتمون اقوالهم وبراهينهم معا ولا يبيحونها للسبر والنظر ونحن نهتف باقوالنا وبراهيننا لكل احد وندعوا الى سبرها وتقييسها واخذها ان صحت ورفضها اذ لم تصح والحمد لله رب العالمين ولسنا نقول انا لا نقدر ان نحد براهيننا بحد جامع مبين لها بل نقدر على ذلك وهو ان البرهان المفرق بين الحق والباطل في كل ما اختلفوا فيه أن يرجع رجوعا صحيحا متيقنا الى الحواس او الى العقل من قرب او من بعد رجوعا صحيحا لا يحتمل ولا يمكن فيه الا ذلك العمل فهو برهان وهو حق متيقن وان لم يرجع كما ذكرنا الى الحواس أو الى العقل فليس برهانا ولا ينبغي ان تشتغل به فانما هو دعوى كاذبة وبالله تعالى التوفيق

وبهذا سقط القياس والتقليد لانه لا يقدر القائلون بهما على برهان في تصحيحهما يرجع الى الحواس أو الى أول العقل رجوعا متيقنا

﴿ قال أبو محمد ﴾ ونحن نقول قولا كافيا بعون الله وقوته وهو ان أول كل ما اختلف فيه من غير الشريعة ومن تصحيح حدوث العالم وان له محدثا واحدا لم يزل ومن تصحيح النبوة ثم تصحيح نبوة محمد صلى الله عليه وسلم فان براهين كل ذلك راجعة رجوعا صحيحاً ضرورياً الى الحواس وضرورة العقل فما لم يكن كذا فليس بشئ ولا هو برهانا وان كان ما اختلف فيه من الشريعة بعد صحة جملتها فان براهين كل ذلك راجعة الى ما أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى اذ هو المبعوث الينا بالشريعة فما لم يكن هكذا فليس برهاناً ولا هو شيئاً وفي أول ديواننا هذا باب في ماهية البراهين الموصلة الى معرفة الحقيقة في كل ما اختلف الناس فيه فاذا أضيف الى هذا ارتفع الاشكال والحمد لله رب العالمين

﴿ الكلام في الالوان ﴾

﴿ قال أبو محمد ﴾ الارض غبراء وفيها حمراء وفيها بيضاء وصفراء وخضراء وسوداء وموشاة والماء كله أبيض الا ان يكتسب لونا مما استضاف اليه لفرط صفائه فيكتسي لون انائه أو ما هو فيه وانما قلنا انه أبيض لبراهين * أحدها انه اذا صب في الهواء بهرق ظهر أبيض صافي البياض * والثاني في انه اذا جمد فصار ثلجا أو برداً ظهر أبيض شديد البياض وأما الهواء فلا لون له أصلا ولذلك لا يرى لانه لا يرى الا اللون وقد زعم قوم انه انما لا يرى لانطباقه على البصر وهذا فاسد جداً وبرهان ذلك ان المرء يغوص في الماء الصافي ويفتح عينيه فيه فيرى الماء وهو منطبق على بصره لا حائل بينهما ولا يرى الهواء في تلك الحال وان استلقي على ظهره في الماء وهذا أمر مشاهد وأما الذي يرى عند دخول خط ضياء الشمس من كوة فانما هو ان الاجسام تحل منها أبدا اجزاء صغار وهي التي تسمي الهباء فاذا انحصر خط ضياء الشمس وقع البصر على تلك الاجزاء الصغار وهي متكاثفة جداً ولونها الغبرة فهي التي ترى لا ما سواها ومن تأمل هذا عرفه يقيناً وان البيوت مملوءة من هذا الضياء المنحل من الارض والثياب والابدان وسائر الاجرام ولكن لدقتها لا ترى الا ان انحصر خط الشمس فيرى ما في ذلك الانحصار منها فقط وأما النار فلا ترى

ايضا

ايضا لانه لالون لها في فلكها وأما المرئية عندنا في الحطب والفتيلة وسائر مايحترق فانما هي رطوبات ذلك المحترق يستحيل هواءفيه نارية فتكتسب ألوانا بمقدار ماتعطيها طبيعتها فتراهاخضراء ولا زوردية وحمراء وبيضاء وصفراء وبالله تعالى التوفيق وهذا يعرض للرطوبات المتولد منها دائرة قوس قزح

« قال أبو محمد » أجمع جميع المتقدمين بعد التحقيق بالبرهان على انه لايرى الا الالوان وان كل مايرى فليس الا لونا وحدوا بعد ذلك البياض بانه لون يفرق البصر وحدوا السواد بانه لون يجمع البصر

« قال أبو محمد » وهذا حد وقعت فيه مسامحة وانما خرجوه على قول العامة في لون السواد ومعنى يجمع البصر انه يقبضه في داخل الناظر ويمنع من انتشاره ومن تشكل المرئيات واذ هذا معنى القبض بلا شك فهو معنى منع البصر والادراك وكفه ومن هذا سمي المكفوف مكفوفاً فاذا السواد يمنع البصر من الانتشار ويقبضه عن الانبساط ويكفه عن الادراك وهذا كله معنى واحد وان اختلفت العبارات في بيانه فالسواد بلا شك غير مرئي اذ لو رؤي لم يقبض خط البصر اذ لا رؤية الا بامتداد البصر فاذ هو غير مرئي فالسواد ليس لونا اذ اللون مرئي ولا بدو مالم ير فليس لونا وهذا برهان عقلي ضروري وبرهان آخر حسي وهو أن الظلمة اذا اطبقت فلا فرق حينئذ بين المفتوح العينين السالم الناظرين وبين الاعمى المنطبق والمسدود العينين سداً أو كفا فاذ ذلك كذلك فالظلمة لاترى ومن الباطل الممتنع ان تكون ترى الظلمة وبالحس نعلم ان المنطبق العينين فيها بمنزلة واحدة من عدم الرؤية ومع المفتوح العينين فيها والظلمة هي السواد نفسه فمن إدعى انهما متغاير ان فقد كابر العيان وإدعى مالا يأتي عليه بدليل أبداً ونحن نجد ان لو فتح في حائط بيت مغلق كوتان ثم جعل على أحداهما ستر أسود وتركت الاخرى مكشوفة لما فرق الناظر من بعد بينهما أصلا ولو جعل على أحداهما ستر أحمر أو أصفر أو أبيض لتبين ذلك للناظر يقينا من بعد أو قرب وهذا بيان ان السواد والظلمة سواء وبرهان آخر حسي وهو ان خطوط البصر اذا استوت فلا بد من أن تقع على شئ مالم يقف فيه مانع من تماديها ونحن نشاهد من بين يديه ظلمة أو هو فيها لايقع بصره على حائط ان كان في الظلمة وسواء كان فيها حائط مانع من تمادي خط البصر أو لم يكن

فصح يقينا ان الظلمة لاترى بل هي مانعة من الرؤية والظلمة هي السواد والسواد هو الظلمة لم يختلف قط في هذا اثنان لا بطبيعة ولا بشريعةولا في معنى اللغة ولا بالمشاهدة فقد صح ان السواد لا يرى أصلا وانه ليس لونا

﴿ قال أبو محمد ﴾ وانما وقع الغلط على من ظن ان السواد يرى لانه أحس بوقوع خطوط البصر على ماحوالى الشيء الاسود من سائر الالوان فلم يتوسط ادراكه ماحوالى الاسود أن بين تلك النهايات شيئاً خارجاً عن تلك الالوان فقدر انه يراه ومن هاهنا عظم غلط جماعة ادعوا بظنونهم من الجهة التي ذكرنا انهم يرون الحركات والسكون في الاجرام والامر في كل ذلك وفي الاسود واحد ولا فرق فان قال قائل انه ان كان في جسم الاسود زيادة ناتئة سوداء كسائر جسده رأيناها فلو لم تر لم تعلم بنتوء تلك الهيئة الناتئة له على سطح جسده قيل له وبالله تعالى التوفيق هذا أيضاً وهم لانه لما لم يمتد خط البصر عند قبض تلك الهيئة الناتئة له وامتدت سائر الخطوط الى أبعد من تلك المسافة وعلمت النفس بذلك توهم من لم يحقق ان هذه رؤية وليست كذلك وتوهموا أيضاً انهم يرون السواد ممازجا لحمرة أو لغبرة أو لخضرة أو لصفرة أو لزرقة فاذا كان هذا هكذا فان البصر يرى مافي ذلك السطح من هذه الالوان على حسب قوتها وضعفها فقط فيتوهمون من ذلك انهم راوا السواد ويتوهمون أيضاً انهم يرونه لانهم قالوا نحن نميز الاسود البراق البصيص واللمعان من الاسود الاكدر الغليظ

﴿ قال أبو محمد ﴾ وهذا مكان ينبغي ان نتثبت فيه فنقول وبالله تعالى التوفيق ان الاملاس هو استواء أجزاء السطح والخشونة هي تباين أجزاء السطح وقد نجد أملس لماعاً وأملس كدراً فاذ ذلك كذلك فالبصيص واللمعان شيء آخر غير استواء أجزاء السطح واذ هو كذلك وهو مرئي فالبصيص بلا شك لون آخر محمول في الملون بالحمرة أو الصفرة أوسائر الالوان وفيما عري من جميع الالوان سواء فاذا قلنا أسود لماع فانما نريد انه ليس فيه من الالوان الا اللمعان فقط فهو لون صحيح وقد عرى من الحمرة ومن الصفرة ومن البياض والخضرة والزرقة ومما تولد من امتزاج هذه الالوان ولعل الكدرة أيضاً لون آخر مرئي كاللمعان وهي أيضاً غيرسائر الالوان فهذا مالا يوجد مايمنع منه بل الدليل يثبت ان الكدرة

أيضاً لون وهو وقوع البصر عليها وهو لايقع الا على لون ومن أبى من هذا كلفناه ان يجد لنا اللمعان والكدرة فانه لايقدر على شيء أصلا غير ماقلنا وبالله تعالى التوفيق فان قال قائل فانا نرى الثوب الاسود يستبين نسج خيوطه ونتوء مانتأ منها وانخفاض ماانخفض فلولا انه يرى ماعلى ذلك كله فالجواب وبالله تعالى التوفيق انا قد علمنا ان خطوط البصر تخرج من الناظر ولها مساحة ماوبعضها أطول من بعض بلا شك لان الخطوط الخارجة من البصر الى السماء أطول من الخطوط الخارجة من البصر الى الجليس لك بلاشك فلما خرجت خطوط البصر الى الثوب المذكور انقطع تمادي بعضها أكثر من تمادي البعض فبالحس علمنا هذا لالان بصرنا وقع على لون أصلا وأيضاً فان النور هو اللون الذي طبعه بسط قوة الناظر واستخراج قوى البصر حتى انه اذا وافق ناظراً ضعيف البنية بطبعه أو بمرض اجتلب جميعه واستلبه كله أو اقتطفه فعلى قدر قوة النور في اللون المرئي وضعفه فيه يكون وقوع البصر عليه هذا أمر مشاهد بالعيان فكلما قل النور في اللون كان وقوع البصر عليه أضعف وكانت الرؤية له أقل حتى اذا عدم النور جملة ولم يبق منه شيء فقد بطل بالضرورة ان يمتد خطوط البصر اليه وان يقع الناظر عليه اذ لانور فيه ولا يختلف ذو حس في العالم في ان السواد المحض الخالص ليس فيه شيء من النور فاذ لاشك في هذا فلاشك في انه لايرى وبالله تعالى التوفيق وأيضاً فان جبلا ذالون ما وأرضاذات لون ما وفيهما غاران مظلمان لا شك ان كل ناظر اليهما فانه لايرى الا ماحول الغارين وانه لايرى ماضمه خط الغارين فاذ هذه كلها براهين ضرورية مشاهدة حسية عقلية فالبرهان لايعارضه برهان أصلا والبرهان لايعارض بالدعوى ولا بالظنون والحمد لله رب العالمين وأمامن كلام الله تعالى فالله يقول * ظلمات بعضها فوق بعض اذا أخرج يده لم يكد يراها * وقوله تعالى * يكاد البرق يخطف أبصارهم كلما أضاء لهم مشوا فيه واذا أظلم عليهم قاموا * فصح يقيناً ان الظلمة مانعة من النظر والرؤية جملة وهو السواد بلاشك فهو لايرى ولا خلاف في أن البصر القليل يداوى بالثوب الاسود والقعود في الظلمة وليس ذلك الا لمنعه من امتداد خط بصره فيكل بامتداده وبالله تعالى التوفيق فان قيل السواد غير الظلمة قلنا انا نجد الارمد الشديد الرمد متى صار في بيت مظلم شديد الانطباق لا يدخله شيء من الضوء أمكنه فتح عينيه بحسب طاقته ولم يألم بالنظر اليه ومتى جعلناه في بيت مضيء

وعلى وجهه وعينيه ثوب كثيف جداً اسود أمكنه فتح عينيه حسب طاقته ولم يألم بالنظر اليه وكانت حاله في تغطية وجهه بذلك الثوب كحاله في الظلمة التامة سواء سواء وكذلك يعرض للصحيح البصر في الحالتين المذكورتين ولا فرق ومتى جعلنا على بصر الارمد ثوباً أبيض ألم ألماً شديداً كألمه اذا نظر في الضوء ولا فرق فان جعلنا على وجهه ثوباً أصفر ألم دون ذلك وان كان أحمر ألم دون ذلك فان كان أخضر ألم دون ذلك على قدرهما في اللون من ممازجة البياض له فصح ان السواد والظلام شيء واحد وقال بعض أصحابنا السواد غير الظلمة وهو لا يرى الا ان الزنجي والغراب والثوب ليس شيء من ذلك اسود وكل ذلك يرى ولون كل ما ذكرنا لون غير السواد الا انه سمي باسم السواد مجازاً وقال بعضهم السواد اسم مشترك يقع على الظلمة ويقع على لون الزنجي والغراب والثوب فكل ظلام سواد وليس كل سواد ظلاماً فان عنيت بالسواد لون الزنجي والغراب والثوب فهو يرى وهو غير الظلمة وان عنيت بالسواد الظلمة فهو لا يرى وقال بعضهم الظلمة لا ترى وليست سوداً أصلا والسواد شيء آخر غير الظلمة وهو لون يرى وقال بعضهم الظلمة والسواد شيء واحد وكلاهما يرى وأقروا بان الاعمى والاكمه والمفقوء العينين والمطبق العينين يرى الظلمة

﴿الكلام في المتوالد والمتولد﴾

﴿قال أبو محمد﴾ الحيوان كله ينقسم أقساماً ثلاثة متوالد ولا بد ولا يتولد ومتولد ولا بد لا يتوالد وقسم ثالث يتوالد ويتولد أيضاً فاما المتولد المتوالد فكبنات وردان فانها تتولد وقد رأيناها تتسافد وكالجعلان فانها تتولد وقد رأيناها تتسافد وكثير من الحيوان المتولد في النبات وقد رأيناه يتسافد ومثل القمل فانا قد شاهدناه يخرج من تحت الجلد عيانا ويحدث في الرؤس وقد يتوالد وقد نجد بعضه اذا قطع مملوء بيضاً وأما المتولد الذي لا يتوالد فالحيوان المتولد في أصول أشفار العينين وأصول شعر الشارب واللحية والصدر والعانة وهو ذوا رجل كثيرة لا يفارق موضعه وما علمناه يتوالد أصلا ومثل الصفار المتولد في البطن وشحمة الارض وكل هذا لا نعلمه يتوالد البتة وقد شاهدنا ضفادع صغاراً تتولد من ليلتها فتصبح مناقع المياه منها مملوأة ومنها الثلاندرية وهو حيوان كبير يشبه الجراذين الصغار بطيئة الحركة وحيوانات كثيرة منها صغير مفرط الصغر يكاد لصغره لا يتجزأ مثالها كثيراً رأيناه في الدوى والدفاتر وهو سريع

المشي جداً ومنها السوس المتولد في الباقلا والدود المتولد في الجراحات وفي الحمص والبلوط وفي التفاح وبين الحشيش وبين الصنوبر وفي الكنف وهي ذوات الاذناب والحباحب المتولد في الخضر وهو في غاية الحسن ومنه مايضيء بالليل كانه شرارة نار والدود ذوات الارجل الكثيرة والذراريح وهذا كثير لايحصيه لا خالقه عز وجل ومنها الضفادع والحجازب فقد صح عندنا يقيناً لا مجال للشك فيه انها تتولد في مناقع المياه دويبات صغار ملس شديدة السواد ذوات أذناب تمشي عندنا ثم صح عندنا كذلك انها تكبر فتقطع أذنابها وتتبدل ألوانها وتستحيل أشكالها وتعظم فتصير ضفادع ثم تزيد كبراً واستحالة ألوان فتصير حجازب

﴿ قال أبو محمد ﴾ قد رأيتها في جميع تنقلها كما وصفنا وقد عرض علينا في مناقع المياه خطوط ظاهرة قيل لنا انها بيض الضفادع وأما الذباب فقد شاهدناها عياناً تتناكح والانثى منها هي الكبار والذكور هي الصغار وشاهدنا البراغيث تتناكح أيضاً والكبار هي الاناث والذكور هي الصغار نشاهد ذلك بان الاعلى هو الصغير أبداً ونجد الانثى مملواءة بيضا اذا وضعت فتلقي بيضها في القباب وفي خلال اجزاء الثياب ثم يخرج

﴿ قال أبو محمد ﴾ وقد رأينا ذباباً صغاراً جداً وذباباً كباراً مفرط الكبر وشاهدنا بابصارنا الدود الطويل الذنب المتولد في الكنف وزبول البقر والغنم يستحيل فيصير فراشاً طياراً مختلف الالوان بديع الخلقة من أبيض وأصفر فاقع وأخضر ولازوردي منقط ولا ندري كيف الحال في العقارب والعناكب والرتيلات والبقوقات والدبر الا اننا ندري ان دود الحرير يتوالد يتسافد الذكور منها والاناث وتبيض ثم تحضن بيضها هذا مالا خلاف فيه وما رأى أحد قط دود حرير يتولد من غير بيضه وكذلك النمل فانه يتوالد وقد رأينا بيضه والعرب تسميه المازن وكذلك النحل يتوالد ويوجد في مواضع من بنائه في تضاعيف القبر الذي فيه العسل وكذلك الجراد والعرب تسميه بيضة الصرد

﴿ قال أبو محمد ﴾ ومارأى أحد قط نحلا يتولد ولا نملا يتولد ولا جراداً يتولد الا في اكذوبات لاتصح وأما سائر الحيوان فتتوالد ولا بد من مني أو بيض فكل ذي أذن بارزة يلد طائراً كان أو غير طائر كالخفاش وغيره وكل ماليس له أذن بارزة فهو يبيض طائراً كان أو غير طائر كالحيات والجراذين والوزغ وغير ذلك

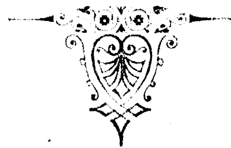
﴿قال أبو محمد﴾ فطلبنا أن نجد حداً يجمع مايتولد دون مايتوالد أو مايتوالد دون مايتولد فلم نجد الا انا رأينا كل ذي عظم وفقارات لاسبيل البتة الى از يوجد من غير تناكح كحيوان البحر الذي له العظم والفقارات ورأينا مالا عظم له ولا فقار فمنه مايتولد ولا يتوالد ومنه مايتولد ويتوالد معاً وكل ذلك خلق الله عزوجل يخلق ماشاء كما شاء لااله الا هو وليست القدرة في الخلق في خلق ماخلقه الله عزوجل حيواناً ذا أربع أو ذا ريش من بيضة أومن مني باعظم من القدرة من خلقها من تراب دون توسط بيضة ولا مني ولا البرهان عن الصنع والابتداء في احداهما باوضح منه في الآخر بل كل ذلك برهان على ابتداء الخلقة وعلى عظيم القدرة من البارى لااله الا هو

﴿قال أبو محمد﴾ وقد ادعى قوم انه يتولد في الثلج حيوان ويتولد في النار حيوان وهذا كذب وباطل وانما قاسوه على تولد حيوان مافي الارض والماء والقياس باطل لانه دعوى بلا برهان ومالا برهان له فليس بشيء وبالله تعالى التوفيق

﴿قال أبو محمد﴾ واذا حصلت الامر فالحيوان لايتولد من الماء وحده ولا من الارض وحدها ولكن مما يجتمع من الارض والماء معاً فتبارك الله أحسن الخالقين لامعقب لحكمه لااله غيره عز وجل * تم السفر الثالث بتمام جميع الديوان من الفصل في الملل والآراء والنحل بحمد الله وشكره على حسن تأييده وعونه * ووافق الفراغ منه في تسعة أيام خلت من شهر ذي القعدة سنة ١٢٧١ احدى وسبعين ومائتين بعد الالف * من هجرة من له العز والشرف * على يد الفقير الى الله محمد بن موسى غفر الله له ولوالديه وللمسلمين آمين وصلى الله على سيدنا محمد النبي الامي وعلى آله وصحبه وسلم

تم بعون الله تعالى وحسن توفيقه طبع كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل على ذمة السيد احمد ناجى الجمالي ومحمد أمين الخانجى وأخيه في شهر شعبان المعظم من شهور سنة ١٣٢١ هجرية والحمد لله على ذلك كثيراً

﴿ فهرست الجزء الخامس من كتاب الفصل في الملل والاهواء والنحل ﴾



جدول الخطاء والصواب الواقعين في الجزء الخامس من كتاب الفصل

سطر	صحيفة	خطاء	صواب
٣	٢	م لا	أم لا
١	٤	هجتها	ابهجتها
١٤	»	انفسنا	بانفسنا
٢٥	»	كل ذي ذلك	كل ذلك
٤	٥	ملافاة	ملاقاة
٤	٦	يسحرهم	يسحر
١٩	٨	ولامدر	اومدر
٢	٩	شارع	سارع
٤	١٢	وتقصرهم	وعنصرهم
١٥	١٣	ويقرعه	ويفزعه
٦	١٣	اجنحت	جنحت
١	١٥	بها	بها حيوان
١٢	»	وتفريق	وتفرق
٢٥	١٦	كالقطس	كالفطس
٨	١٧	أبوامحمد	أبو محمد
»	»	نزع	نازع
١٨	»	محارب	محاربه
١٩	١٨	الجن	الجنون
٢٤	١٩	الحسد	الجسد
٤	٢٢	تصيرهم	مصيرهم
٢٢	٢٣	لايجيز	ولايجوز
١٣	٢٧	ونزع	ونازع
١٣	٣٢	لحد	لحمد
٢١	»	ايصل	ليصل
٣	٣٤	اصدق	اطبق
٢٣	»	لايالون ان يقولوا	لايالون بان تقولوا
٧	٣٧	يدبرنا	تدبرنا
١١	٣٧	أفلا كهوا	أفلا كها
٣١	»	القفاء	القضاء

سطر	صحيفة	خطأ	صواب
٩	٤١	اوندرى	ندرى
١٥	٤٣	المعجب	المجيب
٢	٤٦	انه يدخل	انه لايدخل
٥	٤٧	هذا	هذه
١٢	٤٩	أفهذا	فهذا
١١	٥٠	بقاء	والبقاء
٧	٥٣	غيرهغيره	غيره
٧	٥٤	والتمييز	والتمييز
١١	»	ومسمى	وقسم
١١	»	اتشبه ما	تشبه ما
٤	٥٥	فن قولهم	فلا بد من قولهم
٢٢	»	ان	انه
١٨	٦٩	أول من قال ذلك	أولا
٢٤	٧٢	غريبة	عربية
٣	٧٨	او كان	لوكانت
١٤	٨٠	لايخلو	لايخلو
١٨	٨١	يتوسطه	يتوسطه
١	٩٤	أوليست	وليست
١٤	٩٩	ان يجزؤا	ان تجزء
١٤	»	»	»
٤	١٠٤	الخيطة	الحيطة
٢٤	١٠٤	فيه له	فيه ان له
١٠	١٠٥	وان	وانه
٢١	»	سفدا	صفوا
١	١٠٦	المجدولة	المخذوله
٦	١١٠	فوجدناه	ووجدناه
١٦	١١١	اصفاق	اطباق
٢٤	١١٧	واحداً	واحدة
٦	١٣٠	تمدا	قودا